

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 1

قسم اللغة و الأدب العربي

كلية اللغة و الأدب العربي والفنون

الخطاب المسرحي الجزائري المعاصر

دراسة تداولية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي

إشراف د/ متقدم الجابري

إعداد: سعاد حميتي

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ. د. عبد الرزاق بن السبع	أستاذ التعليم العالي	جامعة- باتنة 1-	رئيساً
د. متقدم الجابري	أستاذ محاضر	جامعة- باتنة 1-	مشرفاً ومقرراً
أ. د. السعيد جاب الله	أستاذ التعليم العالي	جامعة- باتنة 1-	عضواً مناقشاً
د. ليلي كادة	أستاذ محاضر	جامعة بسكرة	عضواً مناقشاً
أ. د. محمد بن الزاوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة	عضواً مناقشاً
د. خديجة عنيشل	أستاذ محاضر	جامعة ورقلة	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 2017/2016

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(رَبِّّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي

أَمْرِي (26) وَأَخْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27)

يَفْقَهُوا قَوْلِي)

سورة طه الآية (25-26-27-28)

الإهداء

إلى القلوب التي غمرتني بعطفها وإلى كل من ساعدني:

والدي

إخوتي

أستاذي المشرف د/متقدم الجابري

إلى روح والدي وأستاذي المشرف (د. صالح

لمباركية) طيب الله ثراهما.



مقدمة



يعود اهتمامي بالدراسات المسرحية وخاصة المسرحيات الجزائرية إلى الفترة التي اخترت فيها موضوع رسالة الماجستير والتي تطرقت فيها لأحد شعراء الثورة الجزائرية الثائرة وهو محمد العيد آل خليفة في مسرحيته الشعرية بلال بن رباح،¹ وكانت دراسة أسلوبية، فارتأيت أن أوصل المسيرة في مرحلة الدكتوراه، ودائماً مع المسرح الجزائري، ولكن هذه المرة عزمت على دراسة بعض المسرحيات الجزائرية المعاصرة. وستكون الدراسة دراسة تداولية، هذا المنهج الذي دارت حوله نقاشات عديدة خاصة حول حدوده غير الواضحة إذ تقع التداولية كأكثر الدروس حيوية في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية واللسانية²، وبذلك تستوعب جميع وحدات التحليل لكونها لا تدرس جانباً محدداً، وهذا ما لمسناه من خلال معالجتنا للنصوص المسرحية والتي وجدناها على مستوى التحليل - لا تنتمي إلى مستوى واحد بل تعددت مستوياتها، فتراوحت بين اللسانيات والسيمايولوجيا والسوسولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع والدلالة وهذا ما أكد لنا مقولة "التداولية لا تدرس جانباً محدداً في اللغة، بل تستوعبها جميعاً وليس لها وحدات تحليل ولا أنماط تجريدية"³، ولم تصبح التداولية درساً يعتد به إلا في العقد السابع من القرن العشرين "فالتداولية لم تصبح علم أو مجال يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي بجامعة أكسفورد هم أوستن Auestin، وسيرل Searle J.e، وجرايس H.P.Grice..."⁴، إذ توصلت الدراسات إلى أن التداولية تقوم بدراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل أي "دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية عامة..."⁵، فتكون الدراسة إذن خاصة بدراسة ما عجزت اللسانيات عن دراسته وهو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي إلى جانب السلوك الذي يولد المعنى، فيتحقق دراسة ما يعرف بالبعد الانجازي للكلام" إذ عمد الباحثون إلى المنهج التداولي ليمدهم برؤى متعددة نتيجة لقصور الدراسات الشكلية وإهمالها لمقاربة اللغة في تجليها الحقيقي، أي في

¹ - محمد العيد آل خليفة، مسرحية بلال بن رباح، المطبعة العربية بالجزائر.

² - فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب 1986، ص 07.

³ - محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر 2002، ص 10.

⁴ - المرجع نفسه، ص 9، 10.

⁵ - المرجع نفسه، ص 14.

مقدمة

الاستعمال التواصلي بين الناس...⁶، فالتداولية إذن تضم مستويات متداخلة كقواعد الخطاب والأفعال الكلامية، والعمليات الذهنية، والقواعد السلوكية..... وعلاقة كل ذلك بظروف الاستعمال فهي - التداولية- كما عرّفها ايلوار Eluerd: " إطار معرفي لمجموعة من المقاربات التي تهتم بثلاثة معطيات هي المخاطب والمخاطب، والسياق، الاستعمال اللغوي العفوي..."⁷، وبذلك ستقوم التداولية باستنتاج ما سيتشكل من كلام بين المتكلم والمخاطب والوضعية التبليغية، وهذا ما سنجده لاحقا في مسرحياتنا المعاصرة، أو ما سنحاول الكشف عنه من خلال تتبع الحوارات المتبادلة بين أطراف الكلام وفق سياق لغوي محدد وسيلته الوضعية التبليغية.

إن هدفنا من هذه الدراسة التطبيقية هو دراسة الخطاب المسرحي الجزائري المعاصر دراسة تداولية، هذه الزاوية الجديدة والحديثة المنهج والنشأة، وقد اعتمدت في هذه الدراسة التطبيقية على المنهج التداولي، هذا الأخير الذي أعطى أهمية للكلام الذي أهملته الدراسات اللسانية وبالأخص اللسانيات السوسيرية، وهي عوامل جعلتني أعكف على دراسة بعض المسرحيات الجزائرية المعاصرة وفق هذا المنهج الجديد محاولة الكشف عن بعض ميزاته وخصائصه بإسقاط جوانب التحليل فيه على هذه المسرحيات كما لا ننسى بعض الدراسات التي تؤرخ لهذا المنهج ولهذه الدراسة وذلك من خلال الإشارة أو الوقوف عند أهم مبدعيه

ولنبداً بالباحثين الغربيين: Reboul Anne and Moeschler Jacques

(Dictionnaire encyclopédique de pragmatique)، هذا الكتاب الذي عولجت فيه التداولية (موضوعها، اهتماماتها وعلاقتها بالعلوم المعرفية والذي ترجمه فيما بعد كل من سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني تحت عنوان: التداولية اليوم علم جديد في التواصل.

- Austin : quand dire c'est faire
- Maingueneau : pragmatique pour le discours littéraire
- Gouvard La pragmatique outils pour l'analyse littéraire
- Youle, George: pragmatics

⁶ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان - بيروت، ط1، 2004، ص 20، 21.

⁷ -Eluerd : La pragmatique linguistique 1985, p 79.80

مقدمة

ودراسات وكتب غربية كثيرة ألفت في التداولية، وكلها عالجت التداولية وخصائصها وجوانب البحث فيها وعلاقتها بالعلوم المعرفية الأخرى، كما لا ننسى الجهود العربية - التي قدمت في هذا المجال إذ أول من كتب في هذا المنهج الجديد واستعمل مصطلح التداولية في اللغة العربية هو أحمد المتوكل، هذا الأخير الذي ألف الوظائف التداولية في اللغة العربية، والدكتور مسعود صحراوي بكتابه التداولية عند العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، وكتاب في اللسانيات التداولية للدكتور خليفة بوجادي، ودراسات كثيرة أهمها الدراسة التي قدمها الدكتور عمر بلخير حول تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ومدخل إلى دراسة الظواهر التداولية في اللغة العربية للدكتور نفسه، كما نشير إلى بعض الأطروحات والمقالات منها: تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب أنموذجاً للدكتورة رحيمة شيتير والأفعال الكلامية في سورة البقرة للدكتور محمد مدور، ومقال للدكتورة هاجر مدقن تحت عنوان: آليات تطبيق المنهج التداولي على النص التراثي، وإلى غير ذلك من الدراسات المتنوعة في هذا المجال والتي حاولت الكشف عن هذا المنهج الجديد وضبط حدوده وجوانبه.

وبعد قراءاتي المتعددة وتصفحني للعديد من هذه الدراسات والكتب والبحوث، شدّ اهتمامي بالمضامين والدراسات التطبيقية للكثير من النصوص سواء كانت شعرية أم نثرية، فحاولت دراسة فن من الفنون الحيوية وهو المسرح، وذلك من خلال تطبيق بعض جوانب البحث التداولي على هذا الفن.

ومن هنا جاء بحثي للمسرح الجزائري المعاصر مختلفاً من حيث المضامين ولكنه يشبه إلى حدّ ما الدراسات السابقة من حيث جوانب البحث التداولي، محاولة الكشف عن خصائص هذا المنهج وطرق تحليل جوانبه المتعددة، وذلك أحد مبررات دراستي هذه، والتي ارتأيت من ورائها أن أحاول ولو بالقدر اليسير تقديم نتائج وإثارة جملة من الإشكاليات التي أحاول من خلالها الكشف عن مضامين هذا المنهج والخصائص التي تميزه عن غيره من المناهج الأخرى، ووفق هذه المعطيات والعناصر، كانت خطتي للبحث في الموضوع كالتالي: قسمت الرسالة إلى مدخل - تمهيد - وبابين تسبقهما مقدمة وتتلوهما خاتمة.

المدخل: تحت عنوان: حفریات التداولية حيث تبحث فيه نشأة التداولية وجذورها العربية والغربية، إذ قدمت صورة شاملة عن نشأتها وخصائصها وأبرز من ألف فيها من

مقدمة

الغربيين والعرب، فحاولت أن أتتبع الجذور العربية الأولى للتداولية انطلاقاً من المفهوم المعجمي لها خاصة عند ابن فارس والزمخشري والفيروزآبادي، والرازي وطه عبد الرحمان ثم إلى الشواهد القرآنية والتي وردت فيها كلمات تعبر عن التداولية ثم انتقلت إلى المفهوم الاصطلاحي عند الغربيين كأوستين ومانقونو، وجون سيرل وهانسون وفرانسوازارمينيكو... إضافة إلى التعريفات التي قدمها العرب كطه عبد الرحمان، وأحمد سالم ولد الأمين، محمد صلاح الشريف، وأحمد المتوكل، والقائمة طويلة لمن حاولوا التأسيس لهذا المنهج أو الاتجاه وإرساء دعائمه لأجل الاهتمام بما أهملته اللسانيات السوسيرية والبنوية وهي قضية الكلام).

التمهيد: كان حول تتبع مسار الحركة المسرحية الجزائرية المعاصرة من سنة 1921 إلى يومنا هذا، حاولت من خلال هذا الطرح أن أتتبع المراحل التي مرّ بها المسرح الجزائري، إذ كانت مرحلته الأولى من 1921 إلى 1926 والتي لم يكن للجزائريين مبادرة فعالة فيها بقدر ما كانت للمحتلين الفرنسيين؛ فالفن كان غريباً على المجتمع الجزائري ولم تكن لديه أدنى فكرة عنه، أمّا المرحلة الثانية فكانت من 1926 إلى 1934 والتي تميزت بتقديم أعمال واقعية وكان من روادها رشيد القسنطيني ودحمان، وسلاحي علي فجل أعمالهم كتبت باللغة العامية التي يفهمها العامة من الناس فكان هذا ما يوافق مستواهم الثقافي، بينما تميزت المرحلة الثالثة والممتدة من 1934 إلى 1939 بتقديم مواضيع سياسية وبشكل عام، أمّا المرحلة الرابعة من 1939 إلى 1945 فقد كانت المرحلة الأكثر نضجاً إذ كتبت المسرحيات بلغة عربية فصحة وبأسلوب راق تفهمه الشعوب إذ كانت المواضيع صورة صادقة عما يعانيه الشعب من معاناة إضافة إلى المسرحيات التاريخية والحاضرة بقوة وجلها كانت مقتبسة من التاريخ القديم.

المرحلة الخامسة من 1945 إلى 1962 تميزت بتأسيس فرقة مسرح الغد عام 1946 على يد (رضا حاج حمو)، إضافة إلى تأسيس فرق مسرحية أخرى، فكان من رواد هذه المرحلة محمد الصالح رمضان، وأحمد توفيق المدني، وأحمد رضا حوجو، وتتنوع لغة المسرحيات بين الفصحى والعامية، تلتها مرحلة سادسة من 1962 إلى 1972، تميزت بتكوين كوادر مسرحية سنة 1965 تنتمي إلى مدرسة أسست ببرج الكيفان، وهي المرحلة التي تقلد فيها مصطفى كاتب منصب مدير المسرح عام 1963، عالجت موضوعات

مقدمة

سياسية هامة كالبيروقراطية والانتهازية، هذه الأخيرة التي كتب فيها رويشد مسرحية كوميدية رائعة (الغولة).

أما المرحلة الأخيرة من 1973-1981، فتميزت بظهور مسارح جهوية في كل من وهران وعنابة وقسنطينة وسيدي بلعباس وقد أنتجت في هذه المرحلة مسرحيات (باب الفتح، بوحدبة، سلاك الحاصلين، دار الطباشير القوقازية....) وارتكزت أغلب الأعمال على التحولات التي شهدتها الجزائر في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية....

- حاولت أن ألحق هذا التمهيد بالمسرح وعلاقته بالتواصل البشري، فتحدثت عن أهمية التواصل وتبادل أطراف الكلام ودوره في التعبير عن انشغالات متنوعة وفق وظيفة مرجعية تترسخ من خلالها المعلومات في ذهن المتفرج أو القارئ.

الباب الأول: خصص هذا الباب للكشف عن علاقة التداولية ببعض العلوم المعرفية الأخرى، ولدراسة نظرية الأفعال الكلامية فقسم الباب إلى:

الفصل الأول: أفرد لدراسة العلاقة بين التداولية والعلوم المعرفية الأخرى كالدلالة وتحليل الخطاب واللسانيات والفلسفة والمنطق وعلم اللغة النفسي وعلم اللغة الاجتماعي والنحو الوظيفي.

الفصل الثاني: خصص لدراسة نظرية الأفعال الكلامية، إذ مهّدت لهذا الفصل بتصنيف الأفعال الكلامية عند العرب ثم عند الغربيين وخاصة عند كل من أوستين وسيرل، بعدها اتجهت إلى دراسة الأفعال الإخبارية ودورها في تحقيق التواصل بين أطراف الحديث تلتها الأفعال الإنجازية بشقيها الصريحة وغير المباشرة، ثم انتقلت إلى دراسة متضمنات القول، إذ تطرقت إلى كل من الافتراض المسبق ثم الاستلزام الحوارية.

الباب الثاني: (جوانب البحث التداولي + استراتيجيات الخطاب):

الفصل الأول: خصص لدراسة جوانب البحث التداولي والذي انطلقت فيه من دراسة الإشارات كالإشارات الشخصية والزمانية والمكانية والاجتماعية ودورها في تحقيق التواصل بين أطراف الحديث في سياق محدد وموقف معين. ثم ختمت الفصل بدراسة المونولوج

مقدمة

بصفته أحد العناصر الأساسية في الخطاب المسرحي وما تضمنه من إحياءات ساهمت في تحقيق ما يصبو المتكلم إليه من خلال حواراته المتبادلة مع المخاطب.

الفصل الثاني: استراتيجيات الخطاب المسرحي: حيث أفرد هذا الفصل لتحديد مفهوم الاستراتيجية في الخطاب ثم لدراسة قوانين الخطاب كمبدأ التعاون بقوانينه (المشاركة، الإفادة، الصدق والإخبارية والشمول..)، هذه الأخيرة التي أسهمت في تحقيق التواصل وتبادل أطراف الكلام بين المتكلم والمخاطب بطريقة واضحة حيث أسهمت هذه القوانين في تحقيق التوافق والصدق في العملية التبليغية التواصلية. ثم انتقلت إلى دراسة استراتيجية الإقناع، حيث ركزت على أحد آلياتها وهي الحجاج بأصنافه وتقنياته المتنوعة التي حققت التواصل والتأثير في أطراف الخطاب.

وخلص البحث إلى خاتمة حاولت من خلالها أن استجمع بعض النتائج التي توصلت إليها والتي كشفت لنا ولو بالقدر اليسير بعض خصائص المنهج التداولي ومدى توفره في مسرحياتنا التداولية، وما تميزت به بعض المسرحيات الجزائرية المعاصرة من خصائص في ظل المنهج التداولي. والتي تبقى مجرد محاولة لأن مجال البحث والدراسة مستمر لأجل إرساء دعائم هذا المنهج الغير واضح الحدود.

- أما عن منهج البحث، فقد اعتمدت في دراستي هذه المنهج التداولي والذي يعد من أصعب وأعقد المناهج لكونه لم يرس على وحدات تحليل واضحة وذلك لتداخله مع علوم معرفية أخرى كاللسانيات والدلالة وعلم اللغة النفسي... هذا المنهج الذي يهتم بالكلام وبالوضعية التبليغية المتبادلة التي تتم بين المتكلم والمخاطب ولصعوبة هذا المنهج فقد حاولت أن أعتمد على بعض الدراسات السابقة والتي حاولت أن تسهم في الكشف عن هذا المنهج الغامض مبدئياً فركزت بالدرجة الأولى على كتاب استراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري، هذا الأخير الذي أبدع في الكشف عن بعض العناصر والتي بدت لي غامضة للوهلة الأولى إضافة إلى كتاب الدكتور عمر بلخير (تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية. وهو كتاب قيم دلل لي بعض الصعوبات التي واجهتني في الدراسة التطبيقية، ضف إلى ذلك قلة المراجع التطبيقية

مقدمة

المتخصصة في هذا المجال الحديث النشأة الغامض الحدود، فإلى أي مدى حاول هذا العرض أن يكشف عن حدود التداولية كمنهج اخترته لدراسة أو لتحليل بعض المسرحيات الجزائرية المعاصرة؟ وما مدى توفر جوانب البحث التداولي في مسرحياتنا المعاصرة؟ هل أدت هذه الدراسة إلى تحقيق ما يعرف بالتواصل والتأثير في المخاطب؟ وهل حاول هذا المنهج فعلا أن يهتم بما أهملته اللسانيات وخاصة السوسيرية؟

أسجل في الأخير شكري الخالص إلى أستاذي الجليل رحمة الله عليه الدكتور صالح لمباركية الذي كان أستاذا وأبا لي سهر على سير هذه الأطروحة إلى آخر نفس في حياته إلى أن تولى الدكتور متقدم الجابري الإشراف على هذه الأطروحة، والذي أقدم له الشكر الجزيل هو الآخر وذلك لقبول الإشراف أو إكمال ما بدأته مع الدكتور صالح لمباركية رحمة الله عليه، إذ سهر هو الآخر على توجيهي ودعمني وتشجيعي على مواصلة العمل إلى أن تم هذا العمل على بركة الله وعونه وإلى الأساتذة الكرام أعضاء اللجنة الموقرة والذين سيهتمون بمراجعة هذا البحث وبإبداء كل التوجيهات والملاحظات القيمة والبناءة والتي سأعمل فيما بعد على العمل بها

أقدم الشكر الخالص لكل من ساعدني وذل لي صعوبات الغوص في هذا المجال الصعب والغامض مبدئيا.

والله ولي التوفيق.



مدخل



مدخل:

يعد المسرح أحد أنواع التواصل والتبليغ؛ إذ يعرض هذا الفن على الجمهور لأغراض متعددة، فقد يكون قصد التسلية كالمسكيات مثلاً أو لغرض التعليمية والتوعية كالمسرح التاريخي والديني والتربوي، أو لأغراض أخرى.

وقبل أن نتحدث عن تطور الحركة المسرحية في الجزائر، عن مراحلها التاريخية، وعن إسهامات رجالات المسرح بأعمالهم المتنوعة، والتي لم ترق بعد إلى مستوى المسرح بألياته وتقنياته وميكانيزماته. علينا أولاً أن نفهم ماذا تعني كلمة المسرح، "إنه عرض للحياة البشرية المشتركة والعلاقات المترابطة بين الفرد والمجتمع من جهة، وبين الفرد والواقع الموضوعي من جهة أخرى، أو كما يتصوره هذا الفرد عن جوهر الشيء"، إنه الأعمال الأدبية المجمعة مثل مسرح ايسن أو المسرح الفرنسي¹

وبهذا يكون المسرح هو الفن الذي يزيح الحدود والفواصل بين البشر وسمح لهم بالتواصل والاحتكاك والمشاركة الفعالة لأجل نقل التجارب وصحيحها، وبذلك يمنح الإنسان القناعة في البقاء والوجود والتطور " فالمسرح يتيح روعة التطور، ويزيح الحدود والفواصل بين البشر يجمعهم في مكان محدد وزمن محدد للتفكير المشترك في قضية محددة..."²، فهو إذن مرآة المجتمع والأمة وعصارة الجمال لديها.

أما إذا ما انتقلنا إلى تعريف المسرحية فنسجد أنها تعني " فن أو تقنية تحويل النص إلى خطاب مسرحي محمل بدلالات كثيفة تفتح على مجالات أبعد من حدود السرد"³؛ وبذلك تتكون المسرحية أو تعمل المسرحية على نقل النص المسرحي من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل أي نقل النص المكتوب إلى عرض مسرحي مرح تملأه الحيوية والنشاط.

1- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحديين، التعااضدية العمالية للطباعة والنشر، الجمهورية التونسية، 1986، ص 321.

2- د. نعيمة إبراهيم الغنام، مسرح الحركة، روعة التواصل، مجلة اليوم 23 يوليو 2012 العدد 14283. Follon f.AL . yanm

3- الارديس نيكول: علم المسرحية، ترجمة دريني خشبة، دار سعد الصباح، الكويت ط2، ص 26.

مدخل: مراحل تطور الحركة المسرحية الجزائرية.

إن المسرح هو أكثر الأشكال الفنية حملاً للتراث من أجل تحقيق أهداف متنوعة منها الاجتماعية والسياسية والفنية، والدينية والأخلاقية والتربوية وبذلك يكون المسرح " ... صورة مصغرة للعالم والحياة"¹. هذه الصورة التي سعى الكاتب من خلالها إلى إقامة العلاقة بين نصه و الجمهور أو بينه و بين القارئ " فالكاتب المسرحي بعمله يسعى إلى إقامة علاقة بينه وبين الجمهور أو القارئ إذ يجعل الخطاب بينه وبين الجمهور ممكناً..."²

تتكون بذلك العلاقة بينه وبين الجمهور مباشرة وذلك من خلال الشخصيات والممثلين التي تؤدي الخطاب مباشرة على شبه المسرح أو علاقة غير مباشرة وذلك من خلال قراءة الجمهور لنص مسرحي ما لم يعرض على خشبة المسرح" فالمسرحية مصطلح يطلق بشكل عام علما يكتب من أعمال مسرحية، للمسرح في بلد ما وضرب مثالا بالدراما الإنجليزية أو الدراما الفرنسية..."³، فالعمل المسرحي هو ما كتب ليعرض على خشبة المسرح لأجل التوعية أو الترفيه أو نقل تجربة ما كما أنه نص مكتوب كتب ليقرأ؛ فهو كما عرفه إدوارد جوردين كريج: " إن فن المسرح لا هو تمثيل فقط ولا نص مسرحي فقط، إنه ليس مشاهد أو مناظر فقط ولا قصص إنه توليفة هذه العناصر، الفعل الذي هو جوهر التمثيل والكلمات والعبارات التي تشكل قوام المسرحية والسطور والأسلوب واللون الذي يصنع مشاهد المسرحية والإيقاع الذي هو جوهر فن الرقص..."⁴، فتكون المسرحية بذلك فن من فنون التعبير عن صورة من صور الحياة.

والمسرح الجزائري هو أحد الفنون التي يسعى مؤلفوها من خلالها إلى تحقيق هذه الأهداف و سنشرع لاحقا في تتبع المراحل التي مر بها المسرح الجزائري من 1921 إلى يومنا هذا.

1 -Maingueneau p. Nouvelles tendances en analyse du discours, paris Hachette, 1987 p 18-19
2- إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية 14-15، 2001.
3- شكري عبد الوهاب، النص المسرحي، دار فلور للنشر، ط2، 2001، ص 08، 09.
4- المرجع نفسه، ص 09، 10.

مراحل تطور الحركة المسرحية الجزائرية:

لقد عرف المسرح الجزائري الكثير من الصعوبات، ومرّ بمراحل تاريخية متعددة تخللتها صعوبات حقة، وبالرغم من هذه المراحل قصيرة إلا أن كل منها تتميز بصفات خاصة التي تعطي لها الاستقلالية عن سابقتها وسنتتبع الآن المراحل التي مر بها المسرح الجزائري لأجل تسليط الضوء على أهمية نشأة وتاريخ المسرح الجزائري.

1- المرحلة الأولى (1921 إلى 1926):

انحصرت هذه المرحلة ما بين 1921 و1926، وهي مرحلة لم يقم فيها المسرح الجزائري بمبادرة من الجزائريين، وإنما كانت المساهمة من طرف المحتلين الفرنسيين، وذلك لأسباب كثيرة" نذكر منها بعد قاعات المسرح عن الأدباء الفرنسيين نفسها، كما أن الجزائريين - تقريبا - جلّهم كانوا يجهلون هذا الفن ويجهلون الطريق المؤدي إليه¹، ومنهما محاولات جورج أبيض عام 1921 والتي كانت تهدف إلى نشر فن المسرح في شمال أفريقيا باءت هي الأخرى بالفشل ويعود ذلك إلى لامبالاة الجمهور الذي لم يتقبل هذا الفن الوافد إليه لصعوبة تقبل لغته الفصحى من جهة ولمخالفته للتقاليد ثانيا.

كان ظهور المسرح الجزائري من خلال العروض الشعبية التي كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بذوق الجماهير الشعبية والتي كانت - تقريبا - غير مثقفة، كالكاتشات التي تقدم في المقاهي والأحياء الشعبية والتي كانت تعكس وتعبر عن آمال وطموحات الشعب، وكانت هذه الكاتشات مرفوقة بالغناء الشعبي الخفيف الذي يساعد على إيصال الفكرة من جهة والفكاهة من جهة أخرى.

يعدّ الأمير خالد من أبرز الشخصيات العربية الإسلامية التي وقفت في مواجهة العدو، ومن الذين أرسوا دعامة المسرح أو الفن المسرحي في الجزائر وذلك من خلال إدراج هذا الفن ضمن الوسائل التثقيفية " إذ بحكم تواجد الأمير خالد بفرنسا للدراسة، فقد أطلع على أهمية المسرح، فطلب من الممثل اللبناني جورج أبيض أن يبعث له ببعض المسرحيات

1- بوعلام رمضاني، المسرح الجزائري بين الماضي والحاضر، المكتبة الشعبية المؤسسة الوطنية للكتاب نقلا عن مجلة الثقافة ع 1980/55 - الجزائر.

مدخل: مراحل تطور الحركة المسرحية الجزائرية.

لتمثيلها في الجزائر وعند عودته إلى القاهرة أرسل له عدة مسرحيات سنة 1911 منها مسرحية ماكبت لشكسبير تعريب محمد عفت المصري...¹، هذا إضافة إلى جمعيات عديدة أسهمت هي الأخرى في إرساء دعامة المسرح الجزائري منها جمعية البليدة وجمعية المهديّة التي قدمت مسرحية المروءة والوفاء، وقد بقي نشاط هذه الجمعيات مستمر على قيام الحرب العالمية الأولى، وكان الهدف من المسرحيات المعروضة آنذاك هو الرفع من معنويات الشباب الجزائري وزرع الحماس فيه. إن نشاط هذه الجمعيات - النشاط الثقافي والفكري - أكد لنا بداية ظهور الفن المسرحي قبل مجيء جورج أبيض إلى الجزائر، هذه الزيارة التي يعدها الباحثون البداية الفعلية للفن المسرحي سنة 1911.

لقد أكد لنا أبو القاسم سعد الله أن زيارة جورج أبيض إلى الجزائر لم تكن هي البداية الفعلية للفن المسرحي بالجزائر، بل الحركات والنشاطات الثقافية للجمعيات هو من حاول إرساء وبداية الفن المسرحي بالجزائر إضافة إلى محاولة جورج أبيض وليست زيارة الفرقة المصرية بقيادة جورج أبيض سنة 1911 هي وحدها التي حركت في الجزائريين الاهتمام بالمسرح، بل هناك عوامل عدة ساعدت على النهضة الفكرية والأدبية في الجزائر نذكر منها: تطور الأحداث السياسية في البلاد والتخلي عن السلاح واللجوء إلى الوسائل السلمية... ظهور الصحافة... الجمعيات والنوادي الفكرية والأدبية والفرق والرياضة... توسع سبل المعرفة والتعليم لدى الشباب الجزائري:²، هذه العوامل إذن بإضافة إلى زيارة جورج أبيض إلى الجزائر ساعدت على بعث نخبة من الذين استجابوا لهذا الفن فتابعوا عروضه خاصة الأسر الراقية وبعض المثقفين، وكما ذكرنا سابقا عبر مسرح هذه الفترة أيضا عن طموحات الشعب البسيطة والمرتبطة بذوق الجماهير غير المثقفة التي كانت تتابع العروض في المقاهي والأحياء والتي كانت عبارة عن سكاتشات مرفقة برقصات ولمسات غنائية فكاوية.

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج8، ص 440.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص 442.

2- المرحلة الثانية 1926-1934:

وهي المرحلة المحصورة ما بين عام 1926 وعام 1934، وقد امتازت هذه المرحلة بظهور وبروز فنانيين قدموا أعمال مسرحية اهتمت بقضايا الشعب أي مسرحيات واقعية. كان ذلك في مطلع العشرينات وقد وصف لنا هذه المرحلة رجل وطبيب الحضارة مالك بن نبي بقوله: "لقد بدأت في الأرض هيمنة وحركة وكان ذلك إعلانا لنهار جديد وبعثا لحياة جديدة فكأن هذه الأصوات قد استمدت قوتها الباعثة من جمال الدين، بل لكونها صدى لصوته البعيد وقد بد أن معجزة البعث تتدفق من كلمات ابن باديس فكانت تلك ساعة اليقظة وبدأ الشعب الجزائري الحذر يتحرك من يقظة جميلة مباركة بها استيقظ المعنى الجمالي وتحولت مناجاة الفرد إلى حديث الشعب"¹، وهذا ما يبين لنا دور الإصلاحية التي تزعمها كل من جمال الدين الأفغاني وعبد الحميد ابن باديس والتي كان هدفها النهوض بالشعب الجزائري دعوته إلى اليقظة والحركة.

أما إذا انتقلنا إلى سنة 1931، نجد أنها كانت فترة تحول في تاريخ المسرح الجزائري وهذا راجع إلى الجهود المقدمة من طرف الجمعيات والمدارس والأندية التي تأسست لأجل نشر الوعي" حيث تأسست جمعيات فتحت مدارس وأندية وبدأ الفن يسترد أنفاسه حيث تأسست سنة 1934 جمعية الشبيبة الإسلامية بمدينة المهديّة... وفي سنة 1936 أسس محمد اسطنبولي جمعية هلال الراضية، وفي سنة 1940 أسست فرقة تمثيلية موسيقية أطلق عليها اسم فرقة رضا باي..."²، هذه الفرق والأندية التي حاولت خلق فن مسرحي جزائري يعبر عن طموحات الشعب ويكشف عن معاناته وآهاته.

أما أشهر رجالات المسرح في هذه المرحلة أو الفترة فهم رشيد القسنطيني هذا الأخير الذي تعلق به الجمهور لأدائه الرائع والمسلي، فقد كان أبرز فنان في تلك الفترة. وبجانبه كان أيضا دحون وسلالي علي الذي كتب مسرحية جحا باللهجة العامية، وهذا مراعاة لمستوى الشعب الثقافي، وهناك أيضا محي الدين بشطارزي الذي مثل مسرحيات تدعو إلى التحلي بالأخلاق والتربية الدينية، ومحمد التوري، وعبد الرحمان الجيلالي، ومحمد الرازي

1- مالك بن نبي، ضمن أبو القاسم سعد الله ص 443...

2- محمد محمود اسطنبولي، مجلة آمال عدد 35 سبتمبر، أكتوبر 1976 الجزائر، ص 71.

مدخل: مراحل تطور الحركة المسرحية الجزائرية.

لقد عاش هذه الفترة ما بين 1947 حتى 1954 قرابة المائة كاتب قدموا مائة واثنى عشرة مسرحية¹، وما يمكن بقدر الإشارة إليه هنا أن أغلب نصوص هذه الفترة مفقودة وغير متوفرة والتي بلا شك لم تطبع.

المرحلة الثالثة: 1934-1939.

انحصرت هذه المرحلة ما بين عامي 1934 و1939؛ حيث كان ظهور الأحزاب السياسية الوطنية والتي كان لها الدور الرائد في إعطاء المسرح الطابع السياسي؛ إذ كان لنشاط رشيد القسنطيني الدور البارز في كتابة مسرحيات نقدية ساخرة للفرقة الشعبية باللهجة العامية هذه الأخيرة التي خلقت نوعا من العلاقة بين المسرح والجمهور، وكان موضوع المسرحيات يدور حول النضال السياسي ودوره في إبراز تاريخ وهوية الشعب الجزائري.

المرحلة الرابعة 1939-1945:

مثلت هذه الفترة فترة حاسمة في تاريخ المسرح الجزائري، فترة الحرب العالمية الثانية- حيث حدث الانقطاع بين المسرح والجمهور وذلك لتزايد رقابة الاستعمار وبروز أحزاب سياسية وطنية في شكل جديد، وعلى الرغم من ذلك كان المسرح هو المنفذ الوحيد المعبر عن أوضاع الوطن والشعب وكان هذا المسرح أكثر نضجا" ولعل المسرحيات الاجتماعية التي ظهرت في أعقاب الحرب العالمية الثانية كانت أكثر نضجا وتطورا سواء من الناحية الشكلية أو الأسلوبية وحتى اللغوية، وهذه المسرحيات تميزت أولا بالأسلوب الأدبي الراقى وباللغة العربية الفصحى التي تفهم في جميع أنحاء الوطن الجزائري الذي تفهم في جميع الأقطاب الأخرى²

هذه الأخيرة التي مثلت الوطن وواقع الجزائر، فكانت صورة صادقة تعبر عن معاناة الشعب الجزائري في تلك الفترة.

1- أحمد سيوطي، المسرح الجزائري 1926-1989 ص 61، دبت، د.ط.
2- نصر الدين صبيان إنتباهات المسرح العربي الجزائري ص 171.

مدخل: مراحل تطور الحركة المسرحية الجزائرية.

أما المسرحيات التاريخية، فقد كانت حاضرة بقوة، إذ كانت جلها مقتبسة من التاريخ القديم، وذلك لإمام وجمع ماضي الأجداد وأعمالهم العظيمة الخالدة" إذ يوقظ في النفس الحمية الوطنية ويقذف في القلوب شعلة من النور الذي ينبثق عنه إيمان بالماضي الذي هو منطلق الحاضر، ومتطلع للمستقبل"¹، فكان هدف المسرح التاريخي هنا هو ربط الماضي بالحاضر من خلال بطولات وأعمال الأجداد، أما عن الذين كتبوا في المسرح التاريخي نجد أحمد توفيق المدني في مسرحيته التاريخية حنبعل، هذه الأخيرة التي قدمها فرقة هواة المسرح العربي التي أنشأها محمد الطاهر فضلاء. ومن المسرحيات أيضا نجد مسرحية الصحراء ليوسف وهبي والكاهنة لعبد الله ناقلي، وكاهنة الأوراس لمحمد البشير الإبراهيمي وروما ويوغرطة لعبد الرحمان المازوي.

لقد كان للمسرحيات التي تعلقت بالتاريخ العربي الإسلامي الحضور القوي فنجد منها: الخنساء، أميرة الأندلس، حلاق بغداد، وعنتر وعبلة، والبرامكة، هارون الرشيد... هذه المسرحيات التي مثلها زعماء الإصلاح الذين كانوا من دعاة الاقتداء بالسلف الصالح من المسلمين الذي جاهدوا من أجل رفع راية الإسلام والمسلمين" فلأفكار الدينية الدور الفعال والبارز في سبيل نشر الوعي وانتشار المجتمع الجزائري من مطالب السياسية الاستعمارية"²، وما تجدر الإشارة إليه أن أغلب النصوص قد ضاعت لأنها لم توثق وتطبع وبقي منها القليل لمسرحية الخنساء لمحمد الصالح رمضان، والمولد النبوي الرحمان مازوي وبلال بن رباح لمحمد العيد آل خليفة ونظرا لما قام به الاستعمار من إغلاق للمسارح والعروض المسرحية أضطر كتاب المسرح الجزائري إلى القيام باقتباس وتقديم عروض مسرحية بعيدة عن واقعهم المعاش، حتى لا يلفتوا نظر الاستعمار لأعمالهم التي تدعو إلى النضال ونشر الوعي، فأصبح بذلك المسرح لا يعكس واقعهم الوطني المأساوي ومنهم من تحدى هذا الاضطهاد وواصل العمل ونذكر منهم محمد التوري ومصطفى قزدرلي.

1- عبد المالك مرتاض قنون النشر الأدبي في الجزائر 1931-1954 ص 205
2- نصر الدين صبيان، اتجاهات المسرح العربي في الجزائر ص 162.

المرحلة الخامسة 1945-1962

امتدت هذه المرحلة من 1945 إلى 1962. وقد تميزت بتأسيس فرقة مسرح الغد عام 1945 على يد (رضا حاج حمو)، إضافة إلى فرق مسرحية أخرى كانت ضمن فالمركز الجهوي للفن المسرحي، وما تجدر الإشارة إليه أن العروض المسرحية كانت تكتب بالفصحى، ومنها نجد: الناشئة المهاجرة عام 1947 لمحمد الصالح رمضان، والتي كان موضوعها الهجرة النبوية، وقد مثلت لأول مرة في تلمسان وقد أعقبتها مسرحية للكاتب نفسه وهي رواية الخنساء، وهي مسرحية وتقع في ثلاثة فصول أو تتكون من ثلاثة فصول وهي مستوحاة من التاريخ الإسلامي، وتدور أحداثها حول الشخصية العربية المخضومة (الخنساء) " فالمسرحية في مجملها نص أدبي تعرض إلى أخبار الشعراء والخلفاء والحكام ضمن حياة الشاعرة العربية الخنساء والتي أفنت حياتها بكاء وحرزنا"¹

أما أحمد توفيق المدني، فقد كتب حنبعل، هذه الأخيرة التي تحدثنا عن البطل حنبعلوطلاتته ومواقفه التاريخية، وهي مسرحية تتكون من أربعة فصول وهي مستوحاة من التاريخ المغربي القديم، ومن مواقف هذا البطل الوطنية والبطولية الداعية إلى الشجاعة قوله: " لقد ولدتنا أمهاتنا أحرار... وما هي قيمة الحياة لدنيا إذ لم تكن حياة عزة وشرف وكرامة"²

وقد أسس أحمد رضا حوحو فرقة المزهر القسنطيني عام 1949 وكما كان لمحمد الطاهر فضلاء الدور البارز في المسرح حيث أسس فرقة هواة المسرح العربي عام 1947، ومن ضمن أعماله نجد الصحراء وهو نفي مقتبس من مسرحية ليوسف وهي والكاهنة لعبد الله ناقلي وكاهنة لأوراس لمحمد البشير الإبراهيمي، وروما ويوغرطة لعبد الرحمان ماضي...

أما إذا انتقلنا إلى النصوص المسرحية التي كتبت بعد 1954، أي بعد الثورة التحريرية الكبرى، والتي لاقت صعوبات كبيرة إبان الثورة التحريرية من جراء المواجهة الفرنسية والقوانين الجائرة، ولكن كل هذه الصعوبات لم تقف أمام البعض بل زادت عزيمتهم" إذ

1- د. صالح مباركية، دراسات مسرحية (2) لمسرح في الجزائر ودراسة موضوعاته و فنية، ص30.
2- أحمد توفيق المدني، حنبعل ص 27.

مدخل: مراحل تطور الحركة المسرحية الجزائرية.

أبرزت ثورة نوفمبر 1954 مسرحا خاصا قريبا من المسرح التسجيلي الوثائقي لكن يختلف عنه بأنه يعطي صورا حية عن الثورة في مختلف مراحلها الجهادية فهو مسرح نضالي يعبر عن الأزمات النفسية التي يحياها الثوار حين يواجهون العدو ثم هو تصوير للوقائع الحربية والكمائن والهجمات والقتل والاعتقال¹. فهو إذن مسرح يصور لنا صورة التعذيب والترهيب التي مارستها القوات الفرنسية على الأهالي والسكان، ومن النصوص المسرحية التي صورت لنا ذلك نجد (أبناء القصب) و(دم الأحرار) لـ عبد الحليم رايس، هذا الأخير الذي سجلت أنامله الوقائع بكل صدق وعفوية لقد كتبت مسرحية (أبناء القصب) بالعاصمة الجزائرية، ودارت أحداثها بالقبّة، لتعرفنا بحالة أسرة جزائرية مع الثورة، إذ يرفض أفراد هذه الأسرة الاستعمار ويقاومونه بطرق خاصة، "فمسرحية أبناء القصب هي ملحمة بطولية صورت أسرة جزائرية خلال فترة الاحتلال الفرنسي، في وقت بلغت فيه الثورة أوجها..."²

أما إذا ما انتقلنا إلى مسرحية (دم الأحرار). فسنجدها هي الأخرى مسرحية نضالية، ولكنها اهتمت بأخبار و أحداث و بطولات الفدائيين الجزائريين ونزاعاتهم مع الفرنسيين، وتجري أحداثها بمغارة في الجبل، وتنتهي أحداث المسرحية بانسجام الثوار مع إخوانهم لقهر المستعمر الغاشم.

ومع بزوغ فجر الاستقلال 1962 والقضاء على المستعمر الفرنسي، بدأت حركة الفن والثقافة والأدب تدب بشكل عام، وذلك لأجل كتابة وتسجيل سنوات قهرهم و حرمانهم وجهادهم في أعمال فنية رائعة.

لقد كان للقضايا الاجتماعية الصدارة في التأليف المسرحي، فسنوات الثورة أحرزت تحولات على الجانب الاجتماعي والثقافي والاقتصادي وخاصة السياسي هذا الأخير الذي مثل أشكال الانتهازية البيروقراطية كان من الطبيعي أن تكون رسالة المسرح الجزائري امتدادا للمهمة التي قام بها قبل الثورة التحريرية، وهذا ما دفع الحكومة إلى تأسيسه بإجراء وطني يخدم الثقافة الوطنية والاشتراكية

1- صالح لمباركية، المسرح في الجزائر دراسة موضوعاتية فنية ص53.
2- رويشد الغولة، مخطوط، من أرشيف المسرح الوطني الجزائري مطبوعة عدد الصفحات 53، ص1.

المرحلة السادسة 1962-1972

كان لابد للمسرح الجزائري أن يكتسب نفسا طويلا لمواصلة الدرب وللتعبير عن الواقعية الثورية ويكون خادما للحقيقة كما يسعى لمحاربة كل الظواهر السلبية، ولقد أنشئت في هذه الفترة مدرسة لتكوين الكوادر المسرحية سنة 1965 ببرج الكيفان، كما لا ننسى لمرحلة التي تقلد فيها مصطفى كاتب منصب مدير المسرح عام 1963، هذا الأخير الذي بدأ حياته كمثل ومخرج مسرحي، وكما ذكرنا سابقا، فالنصوص المسرحية عالجت موضوعات سياسية هامة كالبيروقراطية و الانتهازية، هذه الأخيرة التي كتب عنا المسرحي المعروف رشيد مسرحية كوميدية¹ عنوانها الانتهازية والمحسوبة، إذ " تجري أحداثها في الجزائر وهي باللهجة الجزائرية وفيها خلط كبير بين اللغة العربية الفرنسية وهي اللغة السائدة في تلك الفترة بين أفراد المجتمع الجزائري...."² ومن ذلك مثل نجد كلمات مثل: مير... كوميسار.. الإبريفي...

لقد صورت لنا المسرحية ونقلت لنا صورا واضحة عن الانتهازية ومحاولة احتلال الأموال بدعوى لاتصال والجهاد.. فالكوميديا عند رويشد هي الجسر الذي يوصل كلمته إلى الجمهورية" فالفكاهة عند رويشد كما هي عند محمد من قطاف الذي يقول: إنها لا تضحك الجمهورية فحسب بل تجعله يضحك على نفسه فيكشف نفسه وموقعه في المجتمع"³، إلى جانب مسرحية الغولة قدم رويشد حسن طيرو)و(البوابون).

هذا عن رويشد وبعض أعماله، أما إذا انتقلنا إلى (كاتب ياسين) فنسجد له الحضور القوي في التأليف المسرحي إذ كتب(الجثة المطوقة) و(صاحب النعل المطاطي)، إضافة إلى عبد الرحمان كاكي الذي ساهم في العمل المسرحي من خلال الأعمال التي قدمها (كلواحد و حكمه) و(القراب و الصالحين) و(ديوان القراقوز) و(إفريقيا مثل الواحة و)132 سنة). هذه الأخيرة التي تدور أحداثها حول موقف الشعب من الاستعمار الفرنسي" إذ جاءت المسرحية في مشاهد ولوحات قصيرة، وفي قوالب مختلفة، منها ما هو شعر شعبي

1- رويشد الغولة، ص 1.

2- أحسن تليلاني، المسرح الجزائري، ودراسات في الجذور التراثية وتطور المجتمع مجلة الراشدية HTTP .WWW

YACHIDIA. NET

3- صالح لمباركية ، المسرح الجزائري (2)، دراسة موضوعاته و فنية، ص 103.

مدخل: مراحل تطور الحركة المسرحية الجزائرية.

ملحون، ومنها ما هو كلام شعبي مرصع بالحكمة و الأمثال، ومنها ما هو رقص معبر، ومنها ما هو غناء، وكل ذلك ليعبر عن لوحات تاريخية لهذه القصة الشعبية الوطنية"3

المرحلة السابعة 1973-1982

في هذه المرحلة أنشئت المسارح الجمهورية في كل من وهران عنابة وقسنطينة و سيدي بلعباس وقد أنتجت المسرحيات التالية من هذه الفترة (باب الفتوح، بوحدة سلاك الحاصلين، العاقرة، دار الطباشير القوقازية قف، بني كليون آه يا حسان ، هي قالت وأنا قلت.. وكان مكان إنتاجها هو العاصمة.

أما مسرح وهران الجهوي فقد أنتج: الجفوة، حمام ربي، الخبزة، حوت يأكل حوت، النحلة وهي للأطفال وكل هذه المسرحيات كانت من إنتاج جماعي، وقد أنتج مسرح عنابة مسرحيتين هي: (بوعلام زيد القدام) و (يوم الجمعة خرجوا الريام) من تأليف سليمان بن عيسى.

ومن الملاحظ هنا أن مسرح وهران كان هو البارز والمسيطر إذا ما قورن بمسرح كل من الجزائر العاصمة وعنابة، ومن الذين برزوا في هذه الفترة و من مسرح وهران نجد عبد القادر علولة بأعماله الكثيرة منها: الأقوال، الأجواد كما لا ننسى ولد عبد الرحمان كاكبي والهاشمي نور الدين وعباس الأخضر ورويشد والقائمة طويلة.

لقد ارتكزت أغلب النصوص المسرحية في هذه الفترة على التحولات التي شهدتها الجزائر في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية ، والتي لاقت اهتماما من طرف ثلة من المسرحيين الذين قدموا أعمالا فردية و جماعية لفن مسرحي عبر عن انشغالات واهتمامات الشعب الجزائري الاجتماعية السياسية و الثقافية.

مدخل: مراحل تطور الحركة المسرحية الجزائرية.

المسرح والتواصل البشري:

يعد المسرح أحد أنواع التواصل والتبليغ فهو الفن الذي يعرض على الجمهور ولأغراض متنوعة فقد يكون قصد التسلية من خلال العروض الفكاهية أو لأغراض تعليمية كالمسرحيات التاريخية والدينية والتعليمية...الكاتب المسرحي وهو يكتب نص مسرحيته، لا يصرح علانية بمقاصده فنحن نفهم هذه المقاصد أليا من خلال الأدوار التي تؤديها الشخصيات، فتواصل هذه الشخصيات فيما بينها هو ما يكشف عن المقاصد التي يرمي الكاتب إليها" إذ وضع KIR ILAM نموذجا للتواصل يحاول أن يشمل كل تشعبات الإرسال و التلقي في العملية المسرحية وهو يبدأ في مصادر الإرسال (رجل المسرح، المخرج، مصمم الديكور، المؤلف، الموسيقى... بتشكيل جهاز الإرسال (جسد، صوت، أغراض، ديكور، إضاءة... مكونا بدوره إشارات وحركات، أصوات، روائح، ديكور، إضاءة... يتم إرسالها بواسطة قناة (كلام، إيماءات، موسيقى وهنا يأتي المستقبل وهو مجموعة من المتفرجين الذين يتلقون الرسالة عبر العيون، الأذان...."¹

هذا عن المسرحية التي تعرض فعناصر التواصل فيها تتم بين الجمهور والشخصيات والوسائل الأخرى:

الشخصيات كمرسل +المتلقي (كمستقبل للمتلعب)+ اللغة كوضع تتمثل في الحركات والإشارات الجسمية+ زمان ومكان المسرحية +الموسيقى، الديكور....

وعلى خلاف ذلك تتم العملية التواصلية المكتوبة بين المرسل والمتلقي والموضوع فقط+ سياقها أي سياق الحوار بين شخصياتها.

فمن خلال التواصل والحوار الدائم بين الشخصيات المسرحية هو ما يميز المسرح عن بقية الفنون الأدبية الأخرى. ويكون هذا الحوار والتواصل وفق مستويات إرسال حددتها EBERSFELD: " المستوى الأول يكون فيه المتكلم هو المؤلف المسرحي ويتجلى

1- جلال زيال المدخل إلى السيمياء في المسرح وزارة الثقافة، عمان، ط1992، ص3، 104-105

مدخل: مراحل تطور الحركة المسرحية الجزائرية.

فياالتوجيهات المسرحية ... ويشمل مؤشرات الأسماء، الأماكن، الأشخاص، و وصف الأشياء... المستوى الثاني تكون فيه الشخصية س متكلمًا و ع مخاطبًا...¹

فالعرض المسرحي إذ عندEBERSFELD هو فن باق إلى الأبعد حتو إن عرض على خشبة المسرح، فالنص المكتوب يبقى كما هو، أما العرض فقد يتغير من فترة لأخرى أو من حقبة إلى أخرى. من خلال التواصل والحوار تتحقق وظائف متنوعة منها التعبيرية التي تجسد بوسائل مادية من طرف الممثل ووسائل كالديكور و الإضاءة من طرف المخرج المسرحي أما الوظيفة الأخرى فتتمثل في التبليغ أي اتخاذ المواقف المتنوعة إزاء إجابة معينة تلفظ بها المتلقي.

كما لا ننسى الوظيفة المرجعية والتي بفضلها تترسخ المعلومات في ذهن المتفرج والقارئ كأن تكون معلومات تاريخية أو سياسية أو دينية

أما الوظيفة الأخيرة فهي ما يعرف بالوظيفة الشعرية، التي تتعلق بالخطاب وبعلاقة علاماته النصية. هذه العلاقات التي تفرض على الشخصية ولا يحق له تغييرها أو التلطف بغيرها أثناء التحوار والتواصل فيما بينها . فالوظيفية التخاطبية كما تحدها ORCCHIONI وضعية تتحقق فيما كل قوانين الخطاب ومهمات أفعاله المتنوعة فهي: تلك التي تحصل بين الشخصيات أثناء تحاورها لأن توظيف قوانين الخطاب أو كذا المهمات وأفعال الكلام لا تحقق إلا من خلال ذلك...²، فالحوار هو الذي يوثق الصلة بين المؤلف والجمهور أو بين المؤلف والقارئ ولكن إذا ما ركزنا على النص البصري المعروف فنجد أن الجملة الحوارية هي الجملة التي وضعت خصيصا للنطق" فالحوار المسرحي فعل من الأفعال به يزداد المدى النفسي عمقا أو الحدث المسرحي تقدما إلى الأمام فلا ركود في لغة المسرح كأن تكون خطابية أو وصفية أو قصصية...³ فأداة التواصل هي الحوار. الحوار الذي يدور بين الشخصيات بسلاسة وواقعية حتى يكون نقل الواقع كما هو في الحياة الحقيقية، كما أن

1 - ANNE. UBERSFELD. LIRE LE THEATRE .2EME EDITON. EDITI ONS. SOCICIALES. PANIS 1981-P227-228

2 -CK ORECCHIONI. POUR UNE APPROCHE PRAGMATIQUE DU DISCOURS THEATRAL PRATIQUES N41MARS. 1984. P46- 47 48

3- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، مطبعة نهضة مصر القاهرة، 1977، ص612-613.

مدخل: مراحل تطور الحركة المسرحية الجزائرية.

الحوار جزء من أجزاء الحدث وليس مجرد حوار وحسب" ولذلك ينبغي أن يكون له دور في دفع الحديث نحو التطور، والكشف عن شخصية صاحبه وأفكاره وعواطفه والاتصال بما سبق وبما سيحدث، والأسلوب الأفضل للحوار يتسم بالجمل القصار والعبارات الواضحة واجتناب المبتذل من الألفاظ والأساليب...¹ حتى يتم تبليغ مقاصد الخطاب بجمل واضحة ومعبرة يسهل على المتلقي فهمها وتأويلها.

أما إذا انتقلنا إلى المسرح والواقع اللغوي أي اللغة التي يكتب بها الحوار فيجب مراعاة الواقع اللغوي لشخصيات النص المسرحي إذ... يقف أنور المعداوي من الأداء بين لغة الأداء في القصة و لغة الحوار في المسرحية موقفين مختلفين: في لغة السرد يقترح استعمال اللغة الفصحى المبسطة، وفي لغة الحوار يشترط مراعاة الواقع اللغوي للشخصيات التي يجري بينها الحوار...²، أي أن لغة الحوار يجب أن تكون قريبة من الواقع اللغوي حتى يتسنى للشخصيات نقلها نقلا يتناسب وقدرات المترجمين أو القارئ، فالشخصيات المسرحية تتعرف عليهم من خلال ما يقولون، ومما يفعلون³

فنحن لا يمكننا التعرف عليهم بروية صورة شمسية لهم مثبتة فوق لوحة صماء ساكنة، ولكننا نبدأ في التعرف عليهم مما يقولون و مما يفعلون فالشخصية المسرحية ماثلة بأدوارها و حواراتها المليئة بالحركية وفت الانتباه، وبذلك يستطيع النص المسرحي التأثير في الجمهور إن عرض وفي القارئ إن تفحص النص وفك رموزه وفهم المقصود منه.

إذ لا يمكن إنكار دور القصد في عملية التواصل، فالممثل يرغب في التعبير عن ذاته، كما يرغب في التعبير عن الشيء الآخر، والغرض من التبليغ لا يقتصر على تبليغ علم أو معرفة ما... فالقصد يستلزم المعرفة والتبليغ قد يحتوي على عناصر لم نرغب في تبليغها، أو لم تتم معرفتنا بها و المسرح بما يحتويه من غنى في العلاقات وتعقيد في نظاميتها يتجاوز مرحلة القصد الأولى في التبليغ⁴ وبذلك نعد المسرح نوع من الأنواع التي يتم

1- محمد الدالي، الأدب المسرحي المعاصر، عالم الكتب القاصرة، ط1 1999، ص 315-316.

2- محد مصايف، فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث، ودراسات ووثائق الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص 71، 72.

3- سامي منير عاصر، من أسرار الإبداع النقدي في المسرح والشعر، منشأة المعارف، الأسكندرية. ط 1987 ص 101، 102.

4 - ANNE UBERSFELD. LIRE LE THIATRE. P37.38

مدخل: مراحل تطور الحركة المسرحية الجزائرية.

بها التبليغ والتواصل، ويرغب الكاتب من خلاله نقل فكرة ما حتى وإن لم يصرح بها علانية، وعناصر التبليغ تختلف بحسب النص المسرحي أي المعروض على خشبة المسرح أو المكتوب فقط وقد سبق التطرق لهذه العناصر.

⇒ الباب الأول ← الفصل الأول: حفريات التداولية

1- حفريات التداولية.

2- علاقة التداولية بعض العلوم

1-2- التداولية وتحليل الخطاب

2-2- التداولية واللسانيات

2-3- التداولية وفلسفة المنطق.

2-4- التداولية وعلم الدلالة.

2-5- التداولية وعلم اللغة النفسي

2-6- التداولية وعلم اللغة الاجتماعي

2-7- التداولية والنحو الوظيفي.

3- المونولوج

مدخل

حفريات التداولية:

الجدور العربية للتداولية:

1- المفهوم المعجمي والاصطلاحي للتداولية:

يرجع مصطلح التداولية إلى مادة (د و ل)، وقد وردت في مقاييس اللغة على أصلين: "أحدهما يدلّ على تحوّل شيء من مكان إلى آخر، والآخر يدلّ على ضعف واسترخاء، فقال أهل اللغة: إنْدَالَ القَوْمُ إذا تحوّلوا من مكان إلى مكان. ومن هذا الباب، تَدَاوَلَ القَوْمُ الشيءَ بنهم: إذا صارَ بعضهم إلى بعضٍ. وَالدُّوَلَةُ وَالدُّوَلَةُ لغتان. ويقال بل الدولة في المَالِ وَالدُّوَلَةُ في الحرب، وإنّما سمياً بذلك من قياسِ البَابِ؛ لأنّه أَمْرٌ يَتَدَاوَلُونَهُ، فَيَتَحَوَّلُ (من هذا إِنْدَاكَ) مِنْ هَذَا إِلَى ذَلِكَ، وَمِنْ ذَلِكَ إِلَى هَذَا"¹.

فمدارُ اللَّفْظِ لُغَةً هو التحوّل، بعد أن كَانَ مَوْضِعُهُ مستقرّاً. لا تكادُ المعاجم الأخرى تخرج من هذه الدلالات، وقد جاء في أساس البلاغة للإمام الزمخشري: "دَالَتْ لَهُ الدولة، ودالت الأيام بكذا. وأدَالَ الله بني فلان من عدوهم: جعل الكثرة لهم عليه. وعن الحجاج: إنَّ الأرض سَتْدَالُ مِنَّا كما أدلنا منها (...). وإليه يداول الأيام بن النَّاسِ مرّة لهم ومرّة عليهم، والدَّهْرُ دُوَلٌ وَعُقْبٌ وَنُوبٌ تداولوا الشيء بينهم"².

ونجد في معاجم أحرَبَان "الدولة: انقلاب الزمان من حال إلى حال، الدولة: العَقَبَةُ (النوبة) في المال. وتداولوه: أخذوه بالدول"³، وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرّة، وهذه مرّة"⁴، وبذلك يكون معنى لفظ دول. دالاً على الاسترخاء، والتحوّل. والانتقال، والتمكين وأكثرها استعمالاً وبروزاً التحوّل والانتقال، هذا الأخير الذي يقتضي أكثر من حال، وتلك حال اللغة، فهي متحوّلة من حال لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السامع، كما أنها منتقلة بين النَّاسِ إذْ

1- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط2، ج2، 1991، ص 314.

2- الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، عرّف به أمين الخولي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1982، ص 139.

3- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، لبنان، دت، ج4، ص 42.

4- الرازي: مختار الصحاح، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1987، ص 215.

يتداولونها بينهم، وهذا ما جعل كلمة تداولية، هي الأكثر ثبوتاً بهذه الدلالة. من المصطلحات الأخرى كالذرائعية، والنفعية، والسياقية وغيرها من المفاهيم والمصطلحات؛ فمجال دلالة (الدولة) العام، هو التداول: أن يكون مرة لدى هؤلاء ومرة لدى آخرين، وهذا أهم ما سيتأثر به هذا اللفظ- التداول- هو معنى المشاركة، وتعدّد مواضع التداول، وما تأخذه إحدى هذه المواضيع من اشتقاقات قوله تعالى: " وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ"1؛ ويقول في هذا التفسير الذي قدّمه لنا الزمخشري: أي: " وَلَا تُقْفُوا أَمْرَهَا وَالْحُكُومَةَ فِيهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا بِالتَّحَاكُمِ"2.

ومنه أيضاً قوله تعالى: "وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ"3، وما ذكره الزمخشري بشأنها قوله: "... نُدَاوِلُهَا: نُصَرِّفُهَا بَيْنَ النَّاسِ، نُدِيلُ تَارَةً لِهَؤُلَاءِ وَتَارَةً لِهَؤُلَاءِ؛ كقوله، وهو من أبيات الكتاب فَيَوْمًا عَلَيْنَا وَيَوْمًا لَنَا وَيَوْمًا نُسَاءُ وَيَوْمًا نُسَرُّ... يُقَالُ دَاوَلْتُ بَيْنَهُمُ الشَّيْءَ فَتَدَاوَلُوهُ"4.

ولقد تناول (طه عبد الرحمن) هذا المفهوم لتقديم منهج التقريب التداولي للتراث الإسلامي، باقتراحه مفهوم المجال التداولي، ومما ذكره في ذلك: " أن الفعل (تداول) في قولنا: (تداول الناس كذا بينهم)، يفيد معنى (تناقله الناس، وأداروه بينهم)"5، وبذلك يكون الفعل (تداول) قسماً للفعل (دار)، والذي من دلالته نقلُ الشيء وجريانه، وبذلك يكون المعنى العام للفعل (تداول) هو التّواصل، " فمقتضى التداول أن يكون القول موصولاً بالفعل"6.

ومن الشواهد القرآنية التي استعمل فيها هذا المعنى، قوله تعالى: " مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ"7، وبيئتها: " كَيْ لَا يَكُونَ ذَلِكَ الْفِيءُ دُولَةً يَتَدَاوَلُهُ الْأَغْنِيَاءُ مِنْكُمْ، يصرفه هذا مرة في حاجات نفسه وهذا مرة في أبواب البرّ وسبيل الخير"8.

1- سورة البقرة، بعض الآية، ص 188.

2- الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دبت، ج4، ص 82.

3- سورة آل عمران، بعض الآية 140.

4- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 466.

5- طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، دط، 1993، ص 243.

6- المرجع نفسه، ص 243-244.

7- سورة الحشر، الآية 07.

8- القرآن الكريم وبهامشه مختصر من تفسير الإمام الطبري للتيجني، مَدْيَلًا بأسباب النزول للنيسابوري، والمعجم المفهرس بمواضيع آيات القرآن الكريم مروان العطية، يقدم له وراجعه مروان سوار، دار الفجر الإسلامي، ط7، 1995، ص 546

وفصل تفسيرها الزمخشري، قائلاً: " كي لا يكون الفيء الذي حقّه أن يُعطِيَ الفقراء ليكون لهم بُلغَةً يَعِيشُونَ بها جداً بين الأغنياء يتكاثرون به، أو كي لا يكون دولة جاهلية بينهم، ومعنى الدولة الجاهلية أنّ الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لأنهم أهل الرياسة والدولة والغلبة..."¹، كما شرح الزمخشري في موضوع آخر الدّولة ب: " ما يتداول" يعني كي لا يكون الفيء شيئاً يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء... والدّولة بالفتح بمعنى التداول؛ أي كي لا يكون ذا تداول بينهم أو كي لا يكون إمساكه تداولاً بينهم لا يخرجونه إلى الفقراء..."². هذا عن المفهوم المعجمي لمصطلح التداولية؛ أما إذا انتقلنا للحديث عن المفهوم الاصطلاحي لهذا المصطلح فسننطلق من التأسيس العام لهذا المفهوم وهو: Pragmatique في الدرس اللساني الغربي الحديث، وهو دراسة اللغة حال الاستعمال؛ أي حينما تكون متداولة بين مستخدميها" فقد أختار طه عبد الرحمان مصطلح (التداوليات) مقابلاً للمصطلح الغربي (براغماتيقا)، لأنّه يوفي المطلوب حقّه، باعتبار دلالاته على معنيين " الاستعمال" و " التفاعل" معاً، ولقي منذ ذلك الحين قبولاً من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"³.

وبذلك يكون التحديد الاصطلاحي لهذا المصطلح عند طه عبد الرحمن هو: " وصف لكلّ ما كان مظهرًا من مظاهر التّواصلِ والتّفاعلِ بين صانعي التراث من عامّة النّاس وخاصتهم"⁴، وكثيراً ما يشكو الدارسون حديثاً من قلة الاهتمامات بالدراسة التداولية في الثقافة العربية الحديثة بشكل عام⁵، ولكن لا ننكر بروز جهود جادة في هذا المجال نحو جهود وأعمال الدكتور طه عبد الرحمن، لا سيما في كتابه (في أصول الحوار وتجديد علم الكلام)؛ حيث يستند إلى المنطق والفلسفة واللسانيات في دراسة التراث، حيث ينطلق من " أنّ الخطاب في حقيقته لغة تبليغية تدللية توجيهية"⁶، كما يؤرّ أن اللسانيات ثلاثة مجالات⁷ وهي الدّالياتوالدلالياتوالتداوليات، هذه الأخيرة التي تشمل الدراسات الواصفة لعلاقات الدوال

1- الزمخشري، الكشف، ج4، ص 82.

2- المرجع نفسه، ص 82.

3- طه عبد الرحمن؛ في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص 27.

4- طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 244.

5- مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 04، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1998، ص 249.

6- طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 27.

7- المرجع نفسه، ص 28.

الطبيعية ومدلولاتها مع الدالين بها، وأبواب هذا القسم ثلاثة: أغراض الكلام ومقاصد المتكلمين وقواعد التخاطب، ثم يقترح شروطا للحوارية بشكل عام"ومما تتضمنه شروط التداول اللغوي، وتلخص في الشروط النطقية، الاجتماعية، الاقناعية والاعتقادية"¹، هذا عمّا قدّمه لنا طه عبد الرحمن، أمّا أحمد المتوكل فخلاصة ما قدّمه لنا: "... أن التحليل التداولي للغة يقتضي الاهتمام بتحديد طبيعة الوظائف التداولية في اللغة العربية التي سبق ذكرها، وأهم ما يميّز دراساته الوظيفية للغة أنها تستند إلى التركيب ، الدلالة والتداولية"².

وهذا ما كان يميّز الدرس اللغوي العربي القديم، الذي يقوم على دراسة اللغة أثناء الاستعمال منذ بدايته، والشاهد على ذلك ما يذكره لنا السيوطي في اللغة أنها تؤخذ استعمالاً لا قاعدة، فجعل مخرج كتابه (الاقتراح في علم أصول النحو) هو ما نطقت به العرب بعدّ الأصل في كلّ ظاهرة؛ إذ يقول في ذلك: " إذا أتاك القياسُ إلى شيءٍ ما، ثمّ سمعتَ العرب نطقت فيه بشيءٍ آخر على قياس غيره، فدع ما كنتَ عليه"³، وهذا ما بيّن لنا قيمة الاستعمال وما تتداوله العرب في اللّغة، وأهميته في تحديد أساليبها وطرق أدائها.

وإذا ما عدنا إلى علوم تراثنا العربي من نحو، وبلاغة، فقه أصول، تفسير وقراءات، بعدّها وحدة متكاملة في دراسة اللغة، فيمكن أن نميّز من اتجاهاتها ما يهتم بوجه استعمال اللغة وما يتّصل بها من قرائن غير لفظية نحو: منزلة المتكلم وعلاقته بالسامع وحالة كلّ منهما، النفسية، الاجتماعية والأدائية (حركة، صمت، ظروف التواصل الزمانية والمكانية وغيرها، وهذا ما تصبوا إليه الدراسة التداولية.

المفهوم الاصطلاحي الغربي للتداولية:

من المفيد أن نذكّر أن نشأة التداولية توافقت تقريبا مع نشأة العلوم المعرفية، " ويمكن إرجاع نشأة التداولية إلى سنة 1955 عندما ألقى جون أوستين محاضراته في جامعة هارفارد.

1- المرجع السابق، ص 37 وما يليها.

2- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب 1989.

- الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.

3- السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق محمد حسن إسماعيل، الشافعي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1/1998، ص 116.

ضمن برنامج محاضرات وليام جايمس¹، على أن ماكسيكو يرجع استعمالها إلى سنة 1440 قائلاً: "تعود كلمة التداولية في أصلها الأجنبي programmatique إلى الكلمة اللاتينية pragmaticus والتي يعود استعمالها إلى 1440²، ومبناها على الجذر Pragma، ومعناها الفعل Action³.

ثم صارت الكلمة بفعل اللآحقة، تطلق على كل ما له نسبة إلى الفعل أو التحقق العملي، أما في الفرنسية، فقبل أن تدخل إلى مجال الدراسات الفلسفية والأدبية، فإنها استعملت في المجال القانوني، وتحديدًا في عبارة Pragmatique Sanction، وعني المرسوم، أو المنشور، أو فحواه، الذي يهدف إلى تسوية قضية هامة، باقتراح الحلول العملية والنهائية في الوقت نفسه، ثم كان توظيفها في مجال العلوم البحتة؛ لتدل على كل بحث، أو اكتشاف، له صفة إمكانية التطبيق العملي، وفي وقت متأخر تسللت الكلمة إلى اللغة المستعملة، في عبارات من مثل: هذا تفكير عملي، أو هو شخص عملي، للدلالة على أن شخصًا ما، ميال إلى إيجاد الحلول العملية والواقعية لما قد يطرح من إشكالات.

أما في الاصطلاح اللساني، فتعني ذلك الاهتمام المنصب على مستوى لساني خاص، يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالسياق المرجعي لعملية التخاطب، وبالأفراد الذين تجري بينهم تلك العملية، التواصلية⁴، وبعبارة أخرى: فإنّ التداولية تركز اهتمامها كمستوى لساني أفقي، يعد أعلى تفاعل لهرم البنية اللغوية، وهي علوية متفرعة مدمجة - على مجموع الضوابط والمبادئ التي تحكم عملية تأويل الرموز - والإشارات اللغوية، في إطار جهاز تلك الدلائل⁵.

ويمكن إرجاع نشأة التداولية - في الدرس الغربي - إلى سنة 1955، عندما ألقى جون أوستين محاضراته في جامعة هارفارد ضمن برنامج وليام جايمس" وعند التحدّث عن التداولة ينبغي عدم خلطها بالنعفية، ذلك التيار الفلسفي الذي يمثله أساسًا الأمريكي وليام جيمس

1- أن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، لبنان ط1، تموز 2003، ص 27.

2-Mascidico, dictionnaire encyclopédique de la langue française, édition de la connaissance, 1997, p 876.

3-Dominique Maingueneau : pragmatique pour le discours littéraire, édition Nathan, université paris, 2001 p4-jean Michel Gouvard : la pragmatique outils pour l'analyse littéraire, Armand colin paris 1998 p4.

4-Mascidico, dictionnaire encyclopédique de la langue française, édition de la connaissance, 1997, p 876.

5- بسام قطوس: دليل النظرية النقدية المعاصرة، مكتبة دار العروبة لنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2004م.

وجون ديوي أو رتشارد رورتي قبل أن تظهر بمدة طويلة دراسات في هذا المجال¹. وتُعنى التداولية في رأي الأمريكي شارلز موريس 1938 " بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها والذي استقر في ذهنه أن التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلم والخطاب وظرفي المكان والزمان (الآن، هنا) والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئياً خارج اللغة نفسها، أي المقام الذي يجري فيه التواصل"²، ولكن محاضرات وليام جيمس ستكون بوتقة التداولية اللسانية وستمثل فيها قطب الرحي طوال ثلاثين سنة، أما بقية المحاضرات التي ألقاها أوستين سنة 1955 فقد كانت غايتها وضع أحد أسس الفلسفة التحليلية الأنجلو سكسونية "... فقد أنطلق أوستين من ملاحظة بسيطة مفادها أن الكثير من الجمل التي ليست استفهامية أو تعجبية أو أمرية لا تصف مع ذلك أي شيء ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب"³، وذلك أن هذه الجمل لا تستعمل لوصف الواقع بل لتغييره..." فقد فكر أوستين في جمل من قبيل " أمرك بالصمت "... أو " أعدك بأن آتي غداً " فهذه الجمل لا تقول شيئاً عن حالة الكون إنما تسعى إلى تغييره، فقائل " أمرك بالصمت يسعى إلى فرض الصمت على مخاطبه يُحتمل أنه يسعى إلى الانتقال من حالة الضجيج في الكون إلى حالة السكون فيه"⁴، فهذه الجمل لا تصف الكون ولا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، "... فالأب وهو يقول: نظف أسنانك" يُنجز عملين بصفة متزامنة، فهو يُنجز عملاً قولياً يتمثل في نطقه بجملة " نظف أسنانك"، ويُنجز عملاً مُتضمناً في القول يتمثل في أمره ابنه بتنظيف أسنانه"⁵، فالعمل الأول قولي، أما العمل الثاني فهو متضمن في القول، توفي أوستين سنة 1960 بعد فترة وجيزة من تقديم محاضرات وليام جيمس التي نُشرت بعد وفاته سنة 1962، ومع ذلك ذاع صيت عمله وكان وراء العديد من البحوث اللاحقة في مجال الأعمال اللغوية.

من أتباع أوستين نجد الفيلسوف الأمريكي جون سيرل، الذي أعاد تناول نظرية أوستين وطور فيها بعدين من أبعادها الرئيسية هما: المقاصد والمواضع، إذ لا يهتم سيرل إلا

1- أن ربول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 29.

2- المرجع نفسه ص 29.

3- المرجع نفسه ص 30.

4- المصدر السابق، ص 30.

5- المرجع نفسه، ص 32.

بالأعمال المتضمنة في القول، فلقد شكّ في وجود أعمال تأثير بالقول ولم يحفل بحقّ بالأعمال القولية...¹، إذ يتمثل إسهام سيرل الرئيسي في التمييز داخل الجملة بين ما يتصل بالعمل المتضمّن في القول في حدّ ذاته، وهو ما يسميه اسم القوة المتضمنة في القول، وما يتصل بمضمون العمل وهو ما يسميه اسم المحتوى القضوي...² فجملة أعدك بأن أحضر غدًا يقصد بها في مقام أول الوعد بأن يحضر غدًا، ويحقق هذا المقصد بفضل قواعد لسانية تواضعية تحدد دلالة جملة " أعدك بأن أحضر غدًا"²، فإن للقائل نية الوعد بالحضور غدًا ويحقق هذه النية بإنتاج هذه الجملة؛ لأنه ينوي وهو يتلفظ بهذه الجملة أن يبلغ مخاطبه بقصده الوعد بأن يحضر غدًا لِمَا لِمُخاطِبِهِ من معرفة بالقواعد المتحكمة في معنى عبارات اللغة التي يتكلمانها" فللقائل مقصدين: أ- الوعد بالحضور غدًا؛ ب- إبلاغ هذا المقصد من خلال إنتاج جملة " أعدك بالحضور غدًا" بموجب القواعد التواضعية المتحكمة في تأويل هذه الجملة في اللغة المشتركة³، فكلمة " أعدك" هو اسم القوة المتضمنة في القول، " وأحضر غدًا" هو اسم المحتوى القضوي.

كما أسهم سيرل في تحديد الشروط التي بمقتضاها يكلّل عمل متضمّن في القول بالنجاح...⁴ فيميّز بين القواعد التحضيرية ذات الصلة بمقام التواصل (يتحدّث المخاطبون اللغة نفسها، ويتحدثون بنزاهة)، وقاعدة المحتوى القضوي (يفتضي الوعد من القائل أن يسند إلى نفسه إنجاز عمل في المستقبل) والقواعد الأولية المتعلقة باعتقادات تمثّل خلفية (يتمنى من تَلَفُّظَ بِأَمْرٍ أن يُنَجِّزَ العمل الذي أمرَ به، وليس بديهياً أن يُنَجِّزَ دون هذا الأمر) وقاعدة النزاهة ذات الصلة بالحالة الذهنية للقائل (ينبغي عليه أن يكون عند الإثبات أو الوعد نزاهة، والقاعدة الجوهرية التي تحدّد نوع التعهد الذي قدّمه أحد المتخاطبين، وقواعد المقصد والمواضعة التي تحدّد مقاصد المتكلّم والكيفية التي ينفذ بها هذه المقاصد بفضل المواضعات اللغوية⁴، وبذلك مكّن هذا التحديد سيرل من تقديم تصنيف جديد للأعمال اللغوية كان أساساً لمنطق الأعمال المتضمنة في القول.

1-1- أن ربول، المرجع السابق، ص 33.

2- المرجع السابق، ص 33.

3- المرجع نفسه، ص 34.

4- المرجع السابق، ص 34.

ويقول (مانقونو) في حديثه عن التداولية: "إنه من الصعب الحديث عن التداولية، لأنّ هذا التعبير يغطيه العديد من التيارات من علوم مختلفة، تتقاسم عددًا من الأفكار... واللسانيون ليسوا وحدهم المعنيين بالتداولية بل تعني الكثير من علماء الاجتماع إلى المناطقة؛ وتتجاوز اهتماماتها بمجموع الأبحاث المتعلقة بالمعنى والتواصل، وتطغى على موضوع الخطاب لتصبح نظرية عامة للنشاط الإنساني"¹، وهذا لاتساع حدود التداولية وعدم وضوح معالمها وهذا ما صرّح به (فرانسواز أرمينكو) قائلاً: " هي درس جديد وغزير إلاّ أنّه لا يملك حدودًا واضحة... تقع التداولية كأكثر الدروس حيوية في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية واللسانية"²، فالتداولية إذا علم متشعبٌ وغزير يشغل اهتمام المناطقة والسيميائيين والفلاسفة والسوسيوولوجيين والسيكولوجيين والبلاغيين وعلماء التواصل، واللسانيين، وبذلك فهي - التداولية- " لا تدرس جانبًا محددًا في اللّغة، بل تستوعبها جميعًا وليس لها وحدات تحليل ولا أنماط تجريدية"³، فهي على مستوى التحليل، لا يمكن أن نصنّفها في أي مستوى من المستويات.

ويؤكد (فان ديك) تاريخ اهتمام هذا العلم وتداخله مع العلوم الأخرى بقوله: " براغماتية هذا العلم الذي بدأ تطوّره على نحو صحيح منذ السنوات العشرين الأخيرة له خاصية التداخل مع عدة تخصصات أخرى، وقد حفّزته علوم الفلسفة واللّغة والأنثروبولوجيا، بل علم النفس والاجتماع أيضًا"⁴، وهذا ما صعّب تحديد تعريف للتداولية، واستقرارها على مصطلح قارّ، وبذلك تعدّدت التسميات العربية المقابلة للمصطلح الأجنبي Pragmatique؛ فقيل: البراغماتية والبراغماتيك البرجماتية والبرجماتيك، وليس بين هذه الاصطلاحات فرق بعدها مقلًا حرفيا للكلمة الأجنبية، وقيل التداولية المقامية، الوظيفية، السياقية، الذرائعية، النّفعية... وبين هذه التعبيرات فروق لا تسمح باستعمالها مترادفة، لتكون قابلة للمصطلح الأجنبي بمفهومه الذي سيعرض لاحقًا.

1 -Maingueneau, introduction aux lectures, lanalyse. Du discours, l'archive hachette, paris, 1991, p170.

2- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986، ص 07.

3- محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية مصر، 2002، ص 10.

4- فان ديك: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق محمد سعيد البحري، القاهرة، ط1، 2001، ص 114.

وتتلاقى التداولية التي أرساها (أوستين) في كثير من المفاهيم مع البلاغة القديمة، منذ أرسطو حتى وقتنا الحاضر، " لا سيما مع البلاغة العربية في دراستها للإنشاء والخبر في باب المعاني"¹.

ونجد من الباحثين من يقول بـ " البلاغة التداولية، التي تقف مهمتها على مطالبة المتكلم بان يعي مقامات مخاطبيه ومستوياتهم المختلفة"²، وهذا ما يسمى بمراعاة مقام ومستوى المخاطب، حتى تحصل العملية التواصلية على أكمل وجه.

وتجدر الإشارة إلى أنّ المفاهيم التداولية لها أصول معرفية خاصة ومنابع فكرية، ونذكر من هذه المفاهيم، المفهوم الذي جاءت به فلسفة اللغة العادية، هذا التيار الذي أسسه الفيلسوف لودفيغ فيتغنشتاين، فمادته الأساسية هي اللغة واستعمالاتها، فالاستعمال هو الذي يكسب تعليم اللغة واستخدامها.

لقد تبنى تراث فلسفة اللغة العادية كلّ من أوستين وجون سيرل، هذه الفلسفة التي تدرس اللغة اليومية كما يتكلمها الشخص العادي، والتي انبثقت منها فيما بعد ظاهرة أو نظرية الأفعال الكلامية والتي سنتحدث عنها لاحقاً، لنبين مناخها الفكري العام وانفتاحها على اللغة دراسة و فهمًا وتوضيحًا.

ونضيف إلى جانب هذه المفاهيم والمبادئ مفهوم نظرية المحادثة المنبثق من فلسفة غرايس في مبدأ التعاون. "ونظرية الملاءمة" التي ولدت من رحم علم النفس المعرفي.

إنّ مهام التداولية تتلخص في دراسة استعمال اللغة، أي تدرس اللغة حين استعمالها وباعتبارها كلامًا محددًا صادرًا من متكلم محدد وموجه إلى مخاطب محدد بلفظ محدد وفي مقام أو سياق تواصلية محدد لغرض تحقيق فعل محدد. كما تشرح لنا الكيفية التي يتم بها معالجة الملفوظات وبيان أفضلية التواصل المباشر على التواصل الحرفي.

1- محمد صلاح الشريف وآخرون، تقديم عام للاتجاه البراغماتي، ضمن كتاب أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، وزارة التربية، تونس، ط2، 1990، ص 95.

2- محمد سالم ولد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة (مقال). مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مج 28، عدد يناير، مارس 2000، ص 62.

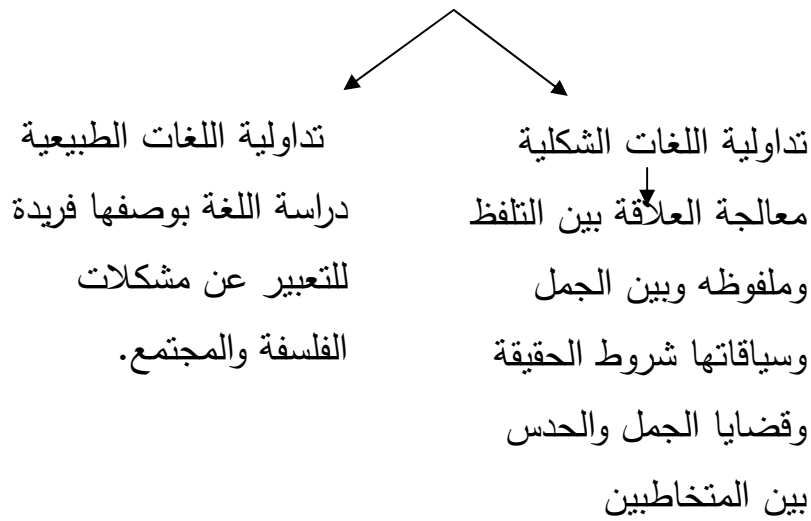
إنّ دراسة استعمال اللغة لا يعني التركيز على البنية اللغوية فحسب بل تتجاوزها إلى دراسة أحوال الاستعمال في الطبقات المقامية المختلفة حسب أغراض كلّ من المتكلمين والمخاطبين؛ لذلك نجد للتداولية روابط وثيقة تربطها باللغة والإدراك والآليات والمقاصد والمبادئ التي تقوم عليها كالأفعال الكلامية، والاستلزام التخاطبي، ومتضمنات القول، الافتراض المسبق الأقوال المضمرّة، والمسلمات الحوارية... الخ.

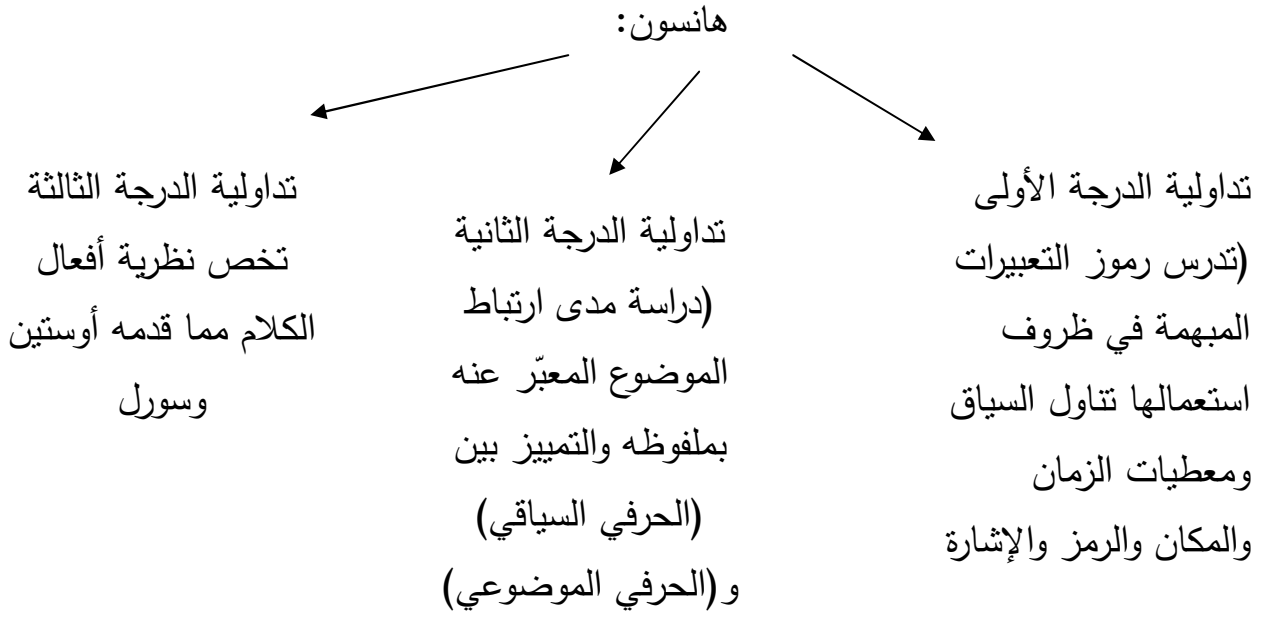
وما تجدر إليه الإشارة في الأخير أن التداولية كانت ولا تزال محط اهتمام المنطقة والسيمايين والفلاسفة والسيكولوجيين والبلاغيين الجدد وعلماء التواصل واللسانيين، وهذا أدى إلى وجود تداوليات متعددة يوحدتها العنصر الشكلي للممارسة في إطار استراتيجيات توجه الحوار والنقاش، كتداولية البلاغيين الجدد، وتداولية السيكولوجيين وتداولية اللسانيين... الخ.

وبذلك فهي على مستوى التحليل لا يمكن أن نصنفها في أي مستوى من المستويات ولا تدرس جانبا محددًا في اللغة بل تستوعبها جميعًا.

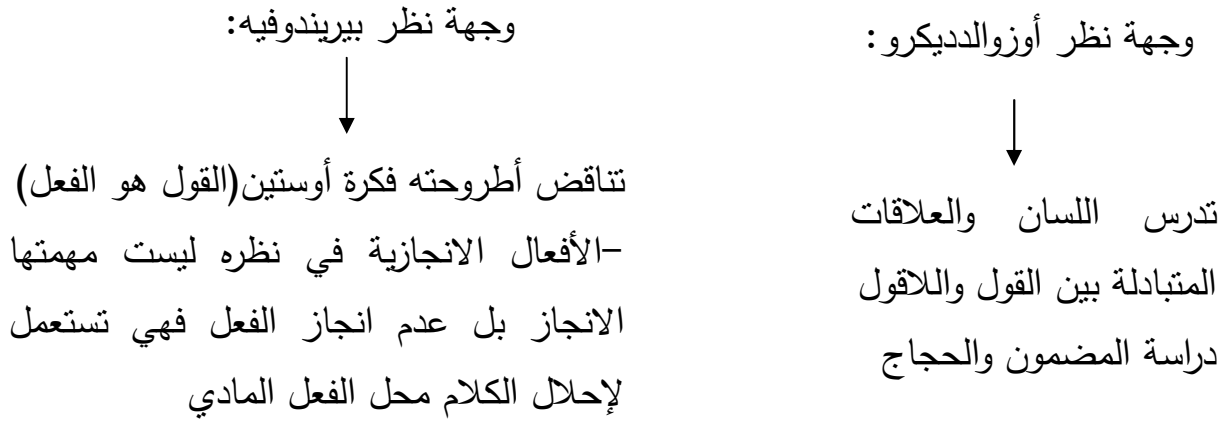
أما عن أشكال تطور التداولية فسنلخصه في المخطط الآتي الذي يشمل تصورات كلّ من: فرانسواز أرمينيكو، وهانسون، جان سيرفوني.

فرانسواز أرمينيكو:





أماجان سيرفوني فقد ميّز بين ثلاث وجهات نظر تتعلق بالتداولية بعد أوستين وهي:



وجهة نظر رمارتان

- مجال البراغماتية ليس الجملة ولكنها تتداخل على مستوى الملوفوظ، وهي نتيجة للآلية الدلالية التي تشكل هذه الكلمة علامة لها.
- كما لا ننسى في الأخير أيضًا أن ننوّه إلى أن لاستعمال التداولية شروط تحكمها وتقيدها ولا تكون ولا تتحقق إلاّ بها " حيث حاول هامس فوندرليش 1972 وصف شروط استعمال التداولية، واشترط أن يكون لدى كل متواصل قدرات من النوع الآتي:

- أن يكون لديه مفهوم عن الواقع وعن العوالم الممكنة التي يمكنه استنباطها منه.
- أن ينشئ اتصالاً وأن يستطيع حصره.
- أن يستطيع الإدراك، وأن يمتلك ذاكرة / وقدرة التوقع أيضاً بالنسبة لسياق الكلام، وسيقاق الموقف المستمرين
- أن يستطيع الخوض في أدوار اجتماعية تجاه الآخرين.
- أن يستطيع إعادة إنشاء شروط اجتماعية.
- أن ينطق بأبنية صوتية مناسبة، وأن يكون من خلال ذلك صيغاً لغوية جديدة للبناء
- أن يدرك أبنية ويستطيع فهمها باعتباره صيغاً لغوية وتعبيراً عن مركب لفعل كلامي.
- أن يستطيع استخدام وسائل لغوية مصاحبة ووسائل غير لغوية استخداماً مناسباً وفهماً فهما ملائماً¹، هذه إذن شروط استعمال التداولية كما وضعها لنا هامس فوندرليش.

أما عن وظيفة التداولية فتحدها أوركيوني في " استخلاص العمليات التي تمكن الكلام من التجذر في إطاره الذي يشكل الثلاثية الآتية (المرسل- المتلقي- الوضعية التبليغية. إن أي تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني لسياق الذي تؤول فيه الجملة...²، أي دراسة الاستعمال اللغوي الذي يتمحور في ثلاثية تجمع بين المرسل والمتلقي والوضعية البليغية.

أما عن وظيفتها كمذهب فلسفي: " فهي فلسفة تصور العصر العلمي الذي نعيش فيه اليوم بصفة عامة، وتصور الحياة العملية التي يعيشها الأمريكيون في مدينتهم الصناعية الحديثة بصفة خاصة...³.

أما عن جملة الأسباب التي أدت إلى ظهور التداولية فنوجزها في:

1- عبد الحفيظ تحريشي، التداولية مفاهيم ومصطلحات، موقع اللسانيات والتربية، مقال نشر في 3 مارس بواسطة Mektaba.

2 -Orchionic.k. enonciation de la subjectivité dans le langage paris, Armand. Colin 1980. P 184. 185.

3- منصور عبد العزيز الحجيلي، البراغمتية عرض ونقد، الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة للأديان والفرق والمذاهب، مجلة الدراسات العقدية ع.4، المدينة المنورة مستوردة من الانترنت بتاريخ 1935/05/27هـ.

<http://aqueeda.org/book/el-pragmatijepdf>

-اللسانيات التوليدية التحويلية التي لاحظت وجود ظواهر تركيبية ظاهرية يستحيل تفسيرها دون مراعاة السياق.

-أن النحو لا ينبغي تفسيره على أساس الحدس اللغوي، بل على أساس ملاحظة الاستعمال الحقيقي للغة محل الدراسة.

-إقصاء الدلالة من البحث اللساني في التيارات البنيوية وخصوصا الأمريكية.

- الحاجة إلى البعدين الدلالي والتداولي إلى جانب البعد النحوي التركيبي

- استثمار منجزات اللسانيات في علوم مختلفة كالأسلوبية والبلاغة.

-لقد حاولت التداولية معالجة القصور الذي عانت منه البنيوية التوليدية، كما أنها اهتمت باللغة المستعملة من قبل المتكلم وبذلك يتحول الدرس اللساني إلى درس للإنجاز اللغوي، كما أكدت من جهة أخرى على ضرورة الربط بين المتكلم والسياق الخارجي في تحديد المعنى الذي يقصده المتكلم. وبذلك فهي: " تهتم بالأسئلة الهامة والإشكاليات الجوهرية في النص الأدبي المعاصر. لأنها تحاول الإحاطة بعدد من الأسئلة من قبيل: من يتكلم وإلى من يتكلم؟ ماذا تقول بالضبط عندما تتكلم؟

... كيف تتكلم بشيء وتريد قول شيء آخر...¹، وبذلك تحاول التداولية دراسة أو الإجابة.

عن كل ما عجزت اللسانيات السابقة عن الإجابة عليه بمفهوم أوسع للتواصل وشروط الأداء.

ومع ذلك تبقى نشأتها غير مستقرة، وهذا ما جعل منها تداوليات متنوعة فنجد تداولية البلاغين والتي تهدف إلى الإقناع، وتداولية اللسانيين، وتداولية المناطقة وتداولية الفلاسفة...، كونها لا تنتمي إلى أي مستويات الدرس اللغوي صوتيا كان أو صرفيا أم نحويًا أم دلاليًا أم...، ولارتباط التداولية بعدة ميادين ومجالات فأوستين على سبيل المثال يهتم لما أسماه بالتعامل اللغوي داخل الوسط الاجتماعي؛ فالتداولية عنده وانطلاقا من هذا المفهوم " اتجاه

1- فان ديك، علم النص مصدر سابق، ص 130-131.

تجتمع فيه ميادين معرفية مختلفة، كعلم اللغة الخالص والبلاغة والمنطق وفلسفة اللغة، وعلم النفس وعلم الاجتماع...¹، فهي ميدان اجتمعت فيه معارف متنوعة لغرض تحقيق التواصل أو تبادل أطراف الكلام بين المتكلم والمستمع فالهدف إذن هو الاتصال والتبليغ وهذا ما دعا إليه أيضا امبرتو إيكو، من خلال اهتمامه بالقارئ كطرف مهم أثناء استجابته للنص الذي يقع بين يديه " إنه جعل اللغة جانبا من جوانب التحليل، وليست هي الجانب الوحيد، فقد أعتمد على جوانب خارجة عن اللغة كالسياق والقارئ والناقل... فتجاوز مقولة دراسة اللغة بذاتها ولأجل ذاتها السوسيرية...²، فما يخدم التداولية هو تحقيق العملية التواصلية التبليغية. أما كارل بوهلر فقد حاول أن يكشف عن أغراض المتكلمين ومقاصدهم وذلك باعتماده أو صوغه للوظائف تحقق العملية التواصلية التبليغية وهي " التمثيل والتعبير والنداء والوظيفة المزدوجة- النداء - التعبير"³.

-وتولت البحوث في مجال التداولية لغرض تحديد مجالها وعناصر البحث فيها وتحديد مستوياتها وموضوعاتها، فحاولوا تقديم مميزات خاصة بها تميزها عن غيرها من المجالات اللغوية إذ حدّدوها بقولهم " تقوم التداولية على دراسة الاستعمال اللغوي، كما أنها توظف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي من حيث صيغة مركبة من السلوك الذي يولد المعنى... ليس لها وحدات تحليل خاصة بها، ولا موضوعات مترابطة... فهي تدرس اللغة دراسة وظيفية عامة..."⁴، فهي إذن مجال تجتمع فيه معارف وميادين متنوعة هدفها تحقيق التواصل والتبليغ.

علاقة التداولية ببعض العلوم:

1- التداولية وتحليل الخطاب:

يشارك تحليل الخطاب مع التداولية في الاهتمام أساسًا بتحليل الحوار، ويقتسمان عددًا من المفهومات الفلسفية واللغوية. كالطريقة التي توزع بها المعلومات في جُملي ونصوص،

1- الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 10-11.

2- المرجع نفسه، ص 15.

3- المرجع نفسه، ص 07/06.

4- حامد خليل، المنطق البراغماتي عند تشارلز برس، مؤسس الحركة البراغماتية، دار الينايبع، مصر، 1996، ص 198/197.

والعناصر الإشارية والمبادئ الحوارية. أمّا عن مفهوم الخطاب فسننحدث عنه مفصلاً عن العرب والغرب وورود كلمة خطاب - خطب- في القرآن الكريم وفي المعاجم العربية.

القرآن الكريم:

إنّ الجسم الإنساني يلعب دوراً هاماً في تحقيق التفاعل الاجتماعي الذي يتمثل في التواصل بين أفراد المجتمع أنظر إلى قوله تعالى:

"وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ"¹، وقوله تعالى: "وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَاعْرِفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ"²، كما ورد في القرآن الكريم- الخطاب- بصيغ متعددة منها: صيغة الفعل في قوله تعالى: (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)³، وبصيغة المصدر في قوله تعالى: (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا)⁴، وفي قوله تعالى عن داوود عليه السلام: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ)⁵، وفي قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً لِوَالِي نَعَجَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ)⁶.

أما مادة (خطب) فنجدها في لسان العرب تعني: (الخطاب، والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً وهما يتخاطبان)⁷.

ومادة خ ط ب عند الزمخشري (خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، وخطب الخاطب خطبة جميلة...، ومن المجاز: فلان يخطب عمل كذا، يطلبه وقد أخطبك الصيد فأزمه، أي أكتبك وأمكنك وأخطبك الأمر، وهو أمر مخاطب، ومعناه أطلبك من طلبت إليه حاجة فأطلبني...)⁸

1- سورة المنافقون: الآية 4.

2- سورة محمد: الآية 30

3- سورة الفرقان: الآية 63

4- سورة النبا: الآية 37.

5- سورة ص: الآية 20

6- سورة ص: الآية 23.

7- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الحادي عشر، ط3، دار صادر بيروت، 1999، ص 361.

8- الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، معجم في اللغة والبلاغة، مكتبة لبنان ناشرون ط1، 1996، ص 112.

ولا يكاد يختلف مفهوم الخطاب حديثاً، عما تناوله الدرس العربي القديم، ومن شواهد ذلك ما ذكره الزمخشري، وهو يفسر قوله تعالى: (وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ)¹، ومعنى فصل الْخِطَابِ عنده " البين من الكَلِمِ الْمُلَخَّصِ الَّذِي يَتَّبِعُهُ مَنْ يَخَاطَبُ بِهِ لَا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ. وَ مِنْ فَصَّلَ الْخِطَابِ، وملخصه: أن لا يخطئ صاحبه مزان الفصل وَالْوَصْل (...). وكذلك مزان العطف وتركه، والإضمار وَالإِظْهَار والحذف والتكرار... وفصل الخطاب-: الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاقد والحق والباطل والصواب والخطأ"²؛ فالمتأمل في الدرس العربي، على اختلاف علومه، يجد أنه لم يفصل البنى اللغوية التي تناولها عن واقع استعمالها، فضلا عن وصف اللغة أثناء استعمالها خطاباً، وهذه من أهم القيم التداولية التي يتميز بها، والتي لا يختلف فيها عن مجال التداولية الذي حدده اللسانيون حديثاً في وصف اللغة في استعمالها دون تجريدتها من تداولها العادي.

يقول ابن يعيش في شرحه: " والمضمرات لا لبس فيها، فاستغنت عن الصفات؛ لأن الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات. والأحوال المقترنة بها: حضور المتكلم والمخاطب والمشاهدة لهما..."³، وهذا يبين لنا بأن الخطاب ينحصر في ناحيته الشكلية، بدلالة الاهتمام الاهتمام بتصنيف الأداة اللغوية المستعملة التي تشير إلى طرفه الآخر.

كما عرّف الخطاب الأصوليون بأنه: (الأرضية التي استقامت أعمالهم عليها، بل كان هو محور بحثهم فقد تردّد كثير من اشتقاقات مادة (خطب) في مواضع متعددة عندهم، ومن بين الأدلة على ذلك إيرادهم لاسم الفاعل (مُخَاطَبٌ) ولإسم المفعول (مخاطب) بوصفهما طرفي الخطاب"⁴.

أمّا الأمدي، فقد عرّف الخطاب تعريفاً بيّناً بقوله: (أنّه اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه)⁵، ونفهم من هذا التعريف أن العلامات غير اللغوية لا يعتد

1- سورة ص: الآية 20.

2- الزمخشري- الكشاف، ج3، ص 365.

3- ابن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ج3، ص 84، 85.

4- فخر الدين الرّازي: المحصول في علم الأصول، علّق على حواشيه محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية مج 1،

ط1420هـ/1990م/ ص 403-404.

5- الأمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2 1406هـ/1986م، ج1،

ص 136.

باستعمالها في الخطاب أما من ناحية لفظ الخطاب فهو (أحد مصدري الفعل خاطبَ، يُخاطبُ خطابًا ومُخاطبَةً، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم، نقل من الدلالة على الحدث المجرد من الزمن إلى الدلالة على الاسمية، فأصبح في عرف الأصوليين يدل على ما خوطبَ به وهو الكلام)¹.

لقد حدّد السكاكي طبيعة الخطاب (الشكر، التهئة.....)، بحسب الظروف المحيطة، وبحسب غرض الكلام وقصده. ثمّ بحسب المخاطب قائلاً: (لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهئة يباين مقام التعزية، وكذا مقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ... وكذا مقام الكلام ابتداء يغير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار...؛ جميع ذلك معلوم لكلّ لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغير مقام الكلام مع الغبيّ، ولكلّ من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر²، فنصّ السكاكي كما نرى، يختلف كثيراً عما يعرضه الدرس الحديث في نظرتة إلى دلالة الخطاب والمقام؛ فالعناصر التي ذكرها السكاكي - الظروف، الغرض، القصد - متضافرة في إنتاج الخطاب، كما يشرحه الدرس اللساني الحديث.

ومن أشكال الاهتمام بتنوع الخطاب لتنوع مقاماته، ما ذكره الزركشي في (وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن)؛ " حيث ميّز بين خطاب العام الذي يراد به العموم، والخاص الذي يراد به الخصوص، وخطاب الخاص المراد به العموم، وخطاب العام الذي يراد به الخصوص³، وهي كلّها مقسمة بحسب الأغراض التواصلية التي يتوخاها المتكلم، فيتحدّد شكل الخطاب ونوعه بحسب ذلك.

وقد يأخذ الخطاب صيغة مخالفة لما يقتضيه الحال، إذا خرج الكلام من مقتضى الظاهر إلى خلاف الأغراض نحوية وبلاغية، وفي ذلك قيم تداولية ترتبط بالمتكلم أو بالسامع نحو:

1- إدريس حمادي: الخطاب الشرعي وطرق استنثاره، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط1، 1994، ص 21.

2- السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه همامة وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص 168.

3- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988، ج2، ص 225-217.

- وضع المضمّر موضع الظاهر؛ في نعم عبدًا (العبد) هو الله أحد، وفي هذا يقصد المتكلم أن يمكن ما يتلو الضمير في ذهن السامع؛ لأنّ الضمير تهيئة وتشويقًا، فيتمكن بعد وروده " لأنّ المحصول بعد الطلب أعزّ من المنساق بلا تعب"¹.
- مجاوبة المخاطب بغير ما يترقب، وهو الذي سمّاه الجرجاني المغالطة، والسكاكي الأسلوب الحكيم.
- ومن إجابة السائل بغير ما يتطلب تنبيهها على أنّه الأولى أو الأهمّ، نحو قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ)²؛ حيث أنهم سألوا عن الهلال لم يبدو دقيقًا ثم يتزايد، حتى يستوي، ثم ينقص حتى يعود كما كان. فأبي فائدة تحت ذلك؟ فأجيبوا ببيان حكمة ذلك وهي معرفة المواقيت والحلول والآجال.
- وضع الماضي موضع المستقبل، تنبيهها على تحقق وقوعه³، نحو قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ)⁴، أو الإشراف: أي مشاركة وقوعه؛ أي مقارنته نحو قوله تعالى: (وَلْيُخْشِ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا)⁵، لو شارفوا أن يتركوا⁶، أو لإبراز غير الحاصل في معرض الحاصل لقوة الأسباب الظاهرة كقول المشتري: اشتريت، حال انعقاد أسبابه، ولا خلاف بين ما يعرضه هذا العرض الأخير، وبين فكرة الأفعال الإنجازية.

النص كخطاب:

الخطاب يرادف الملفوظ (Enoncé) أو ملفوظًا أكبر من الجملة أي مجموعة من الجمل، تصوّرات تقترب كثيرًا من مفهوم النصّ إن لم تكن مرادفة له.

1- السيوطي: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، وبهامشه، أحمد الدمنهوري: حلية اللب المصون على الجوهر المكنون، دار الفكرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، د.ت، ص 28.
2- سورة البقرة، بعض الآية 189.
3- السيوطي: شرح عقود الجمان، ص 30.
4- سورة الزمر: آية 68.
5- سورة النساء: آية 9.
6- السيوطي، شرح عقود الجمان، ص 30.

يصبح الخطاب ضمن الممارسة اللغوية وسيلة للمعرفة وبالتالي يتحول إلى نص *Texte*. إن كثيراً من اللغات لا تفرق بين النص والخطاب، وهذا ما يدفعنا الآن إلى البحث عن مفهوم الخطاب عند الغربيين والفرق بينه وبين النص.

الخطاب عند الغربيين:

يطلق مفهوم الخطاب إجمالاً على أحد المفهومين؛ يتفق في أحدهما مع ما ورد قديماً عند العرب، أما المفهوم الآخر، فيتسم بجذته في الدرس اللغوي الحديث. وهذان المفهومان هما:

الأول: أنه ذلك الملفوظ الموجه إلى الغير، بإفهامه قصداً معيناً

الآخر: الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة.

ولقد تناوله أكثر من باحث وفق المفهوم الأول إذ (انطلق *DAVID HUME* من الثنائية التي أصبحت معهودة منذ سوسير أي اللغة والكلام التي تكوّن اللسان. ويفضّل قيوم استعمال كلمة *Discourse* عوض كلام *Parol*؛ ذلك ليؤكد ما يكتسبه الإنجاز اللغوي من أوجه ربما لا يحويها لفظ كلام مباشرة، مثل الوجه الكتابي- الحركات الجسدية- السياق- [...]). الخ¹، وهذا يعني أن اللغة موجودة بالقوة في حين أنّ الخطاب هو ما يوجد بالفعل.

وهناك من يعرف الخطاب، بالنظر إلى ما يميّزه بالممارسة داخل إطار السياق الاجتماعي بغض النظر عن رتبته حسب تصنيف النحويين، أي بوصفه جملة أو أكثر أو أقل، فلا فرق بين هذه المستويات النحوية في الخطاب لأنّ: "الملفوظ منظوراً إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، والمقصود بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في مقام معين، وهذا الفعل هو عملية التلفظ وبمعنى آخر يحدّد بنفست الخطاب بمعناه الأكثر اتساعاً بأنه (كلّ تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما)²؛ فالمتكلم هو منشئ الخطاب ومنتجّه، والسامع هو من يُنشأ له الخطاب ومن أجله، وهو مشارك في إنتاج الخطاب مشاركة فعّالة

1- عبد الحميد كمن: المدرسة النفسية النظامية، ضمن كتاب (أهم المدارس اللسانية)، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، مارس 1986، ص 55، 56، ضمن عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 37.
2- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط3 1987، ص 19.

تداولية المخاطب في النحو العربي:

أما عن تداولية المخاطب في النحو العربي، فستتضح لنا من خلال قيمة السامع في الدرس النحوي من خلال جملة شواهد أهمها مفهوم الكلام وأقسامه؛ حيث قسم اعتدادا بالسامع، وفي هذا قيمة تداولية. يقول ابن فارس في باب (مراتب الكلام في وضوحه وإشكاله): "أما واضح الكلام فالذي يفهمه كل سَامِعٍ عرف ظاهر كلام العرب"¹؛ فوضوح الكلام على مدى فهم السامع له، بناءً على الأساليب اللغوية التي يعرفها. وهذا ما يبيّن لنا عدم فصل بين المتكلم والسامع؛ فالمتكلم هو فاعل الكلام، بوصفه يتكلم إلى سامع؛ وبالتالي فإن حضوره يستدعي وجود السامع.

ففائدة الكلام، تتحدّد بوجود السامع دون غيره، وقد ورد ذلك في شرح ابن عقيل في شرح الكلام عند النحاة: "اللفظ المفيد فائدةً يحسن السكوت عليها... والكلم ما تركّب من ثلاث كلمات فأكثر ولم يحسن السكوت عليه، نحو إن قام زيد"²، ففي عبارة (يحسن السكوت، لم يحسن السكوت) اهتمام بالمخاطب الذي يصدر عنه السكوت على الأداء أو عدمه؛ أي أن تعريف الكلام كان بالنظر إلى موقف اتصالي ما، وهي قيمة تداولية معتمدة في بيان الكلام من غيره عند النحاة.

وبالتالي، فإن ما يحكم الفرق بين الجملة والكلام والقول عند النحاة أربعة مقاييس، منها ما يرتبط بالمتكلم، ومنها ما يرتبط بالمخاطب، ومنها ما يرتبط بالخطاب في ذاته، وهي: الإسناد، القصد، الإفادة وحسن السكوت، وهي مقاييس تداولية في الواقع، لا سيما الثلاثة الأخيرة التي لا تتحقق إلا بالاستخدام الفعلي للغة.

أما عن تداولية الخطاب في حدّ ذاته في النحو العربي، فهي تحظى بقيمة كبيرة في الدرس النحوي العربي، ويتبين لنا ذلك من خلال دراسة النحاة لأغراض الأساليب، وخروج أسلوب من معنى حقيقي لاصق إلى معنى آخر؛ كخروج أداة الاستفهام من الدلالة على السؤال إلى

1- ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، حققه وقدم له مصطفى الشويبي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، لبنان 1963، ص 74.

2- محمد محي الدين عبد الحميد: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ط2، د.ت.ج.1، ص 14.

الدلالة على معانٍ أخرى، نحو الإنكار والاستتباط، وغيرهما، ونحو الدلالات التي فصلها ابن هشام لـ (ال) التعريف وجعلها نوعين عهدية وجنسية¹.

ومن مباحث النحو العربي التي اهتمت بتداولية الخطاب أيضاً، التقديم والتأخير، فتناول النحاة دواعي تقديم المسند إليه، ومنها أن يتمكن الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشويقاً إليه².

ومن مباحث الاهتمام بالخطاب ذاته، التعبير بالجملة الفعلية واختلافه عن التعبير بالجملة الاسمية؛ حيث يكون الأول عندما يلتقي السامع الخبر لأول مرة وليس لديه فكرة عنه. أما الثاني، فيكون حين يملك السامع على الأقل أدنى معرفة بموضوع الحديث، لكن المتكلم يرسله بقصد ومبالغة. ولقد ذكر ابن الأثير أمثلة منها قوله تعالى: "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ"³؛ فقد عبروا بالفعل حين حديثهم مع المؤمنين، وبالاسمية مع إخوانهم الكفار، "لأنهم في مخاطبة إخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر والبعد... وأما الذي خاطبوا به المؤمنين فكان تكلفاً وإظهاراً للإيمان، خوفاً ومداجاةً... ولأنهم ليس لهم في عقائدهم باعث قوي على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به إخوانهم"⁴.

وتحدثت النحاة أيضاً عن الوحدات اللغوية، نحو الضمائر، أسماء الإشارة، الظروف الزمانية والمكانية، وزمن الفعل... وغيرها من الوحدات التي لا تتحدد مدلولاتها إلا بالنظر إلى عناصر المقام والعبارات التي ترد فيها، وهي بذلك ذات دلالات تداولية، اشترك في دراستها النحويون قديماً، واللسانيون والتداوليون حديثاً.

ربما رادف مصطلح الخطاب مصطلح النص في بعض استعمالاته، وإن كان في الخطاب (إيحاءً بأن النص يتجاوز كونه مجرد سلسلة لفظية بها قوانين لغوية، إلى الظروف

1- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1991، ج1، ص 61 وما يليها.

2- القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط5، 1980، ص 135.

3- سورة البقرة، آية 14.

4- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1990، ج2، ص 51.

المقامية)¹، وهذا ما يؤكد لنا دلالة الخطاب على الاستعمال والاستخدام من النص، إلى جانب تجاذبه من طرف الدراسات اللسانية، والسيمائية والأدبية، وبذلك فهو يعدّ حقلً للسانيات النصية، لأنه (يقوم على: دراسة الاستعمال الفعلي للغة، من خلال متكلمين فعليين، في مقامات فعلية)²، ومن هنا نرى تجاوز مجال اللسانيات النصية من (دراسة الخطاب بعده نصًا، إلى عده نشاطًا فاعليًا أساسيًا، يعتمد المعارف المقامية والسياقية)³، وهذا ما يعدّ مجالًا واسعًا وثرًا للدرس التداولي.

أما عن التحليل التداولي للخطاب، فهو يتجاوز البنيوية ويعتمد معطيات السيمولوجيا أساسًا له من ناحية والتداولية والاتصال من ناحية أخرى حتى أصبح بالإمكان فهم السيمولوجيا بوصفها بلاغة معاصرة، بحسب ما يقول رولان بارت، أو يمكن أن تكون منهجًا جديدًا في تحليل الخطاب.

فبلاغة الخطاب كمفهوم مرهون بالاعتداد به كعلم لكل أنواع الخطاب من منظور تداولي وظيفي لغوي، مما يعني الاقتراب من الخطاب ذاته بوصفه موضوعًا خارجيًا بافتراض وجود فاعل منتج تكون له علاقة حوارية مع مخاطب أو مرسل إليه وأصحاب هذا المذهب يرون الخطاب ينقسم إلى نوعين كبيرين:

الخطاب المباشر والخطاب غير المباشر بحسب حضور القائل في نظامه وعود الضمير على المتكلم أو الغائب فيه؛ ثم ما لبث هذا الاتجاهان حتى أسفرا عن منظومة متسقة من الإجراءات التي تفيد من المنظور التداولي في اللغة بقدر ما تستثمر إمكانات التحليل السيمولوجي للوحدات الوظيفية في النصوص تحت عنوان شامل هو تحليل الخطاب.

تحليل الخطاب والبراجماتية:

1- أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، مصدر سابق، ص 16.

2 -Maingueneau : les termes clés de l'analyse du discours, seuil, collection. Mémo, Février, paris, 1996, p11.

3 - Jean Michel Adam : Linguistique textuelles des genres de discours aux texte, édi Nathan, 1999, paris, France, p 34.

لقد تنبّه اللغويون منذ الستينيات من هذا القرن إلى أن تحليل الجملة المفردة في النص لا يفي بتحليل المعنى الإجمالي للنص بمغزاه المباشر وغير المباشر سواء كان هذا النص منطوقاً أو مكتوباً، كما بدأ اللغويون الأمريكيون أمثال روس ومكولي ولا كوف يعترفون بأهمية دراسة المعنى إلى جانب دراسة البنية التركيبية، قائلين بأنه ليس في مقدور اللغوي أن يصف النحو بمعزل عن المعنى، ومن هنا بدأ إدخال دراسة السياق بمكوناته المختلفة والوظائف اللغوية المتعددة، إلى جانب دراسة الملامح اللغوية في تحليل الخطاب، وقد تطلب هذا الاتجاه الجديد أن يتجاوز الدارس حدود الجملة إلى التراكيب أو الوحدات الأكبر من الجملة، وأن يقوم بدراسة الضوابط التي تدخل في إطار الأسلوبيات وعلم الدلالة أكثر منها في علم النحو، مما يعرف الآن ببراجماتية تحليل الخطاب " والبراجماتية بهذا المفهوم هي دراسة المعنى في المواقف المختلفة، أي بالإشارة إلى متحدث معين أو مستخدم معين للغة. وتختلف البراجماتية عن علم الدلالة Semantics بأن الأخير يعنى بدراسة المعنى في حد ذاته، أي بمعزل عن مواقف معينة"¹.

ومن بواكير المحاولات التي تمت في مجال تحليل الخطاب الدراسة التي قام بها ت. إ. ف. ميتشل للغة البيع والشراء في بنغازي التي نشرها عام 1957 في مجلة هسبري في باريس بعنوان: لغة الشراء والبيع في بنغازي"، وقد حاول ميتشل أن يتعرف على معنى النصوص التي سجلها عن طريق وظائفها واستخداماتها في المواقف المختلفة، " فبدأ بتصنيف مادته وفق العلاقة بين هذه النصوص والمحيط الذي تستخدم فيه، ثم تخير عددًا محدودًا من هذه المواقف وتقصى العلاقة بين مكوناتها وبين الجمل والعبارات التي استخدمت لتصريف الأعمال المختلفة المتعلقة بالشراء والبيع من حيث الشخصيات المشتركة (مثل المشتري والبائع والسمسار الذي يقوم بعملية المزايدة وصاحب السلعة أو البضاعة التي تعرض في المزاد... وكذا النشاطات أو الأعمال الكلامية أي الجمل والعبارات والألفاظ، وكذا الأعمال غير الكلامية المعبرة المعينة للغة من حركات جسمانية وإيماءات وتعبيرات..."²، وعن الربط بين كلّ موقف والألفاظ والمصاحبات اللغوية التي تستخدم فيه يقول ميتشل: " غالبًا ما يكون

1- علي عزّت، الاتجاهات الحديثة في علم الأسلوب وتحليل الخطاب، شركة أبو الهول للنشر، 1996، ط1، طبع في دار نوبار، القاهرة ص 50.

2- علي عزّت، المرجع السابق، ص 50.

من الصعب أن نصل بين مستويين تقريرين: المستوى السياقي والمستوى اللغوي أي المصاحبات اللغوية والمصاحبات اللغوية الممتدة إذ أن الموقف يقرر إلى حدّ كبير نوع المصاحبة اللغوية في أي نص معروف¹.

وثمة أساليب يمكن إتباعها في دراسة (تحليل) برامجتية الخطاب اقترحها مجموعة من اللغويين أمثال ساكس، وسنكلير، وكولتهارد، وإدمندسون، وبراون، ويول، وفان ديك، ومن بين هذه الأساليب: " تبادل الأدوار بين المتخاطبين.

علامات الحوار أو الخطاب

ألقاب التخاطب

المبادئ التعاونية في الخطاب

التماسك في النص².

1 - Mitchell, T.F : The Language of Buying and selling in Cyrena, ica, Hespèris 44, 1957,p53.
2- علي عزّت، المرجع السابق، ص 54.

تبادل الأدوار:

ويقصد بتبادل الأدوار " التنسيق أو التنظيم التتابعي للخطاب"¹، أي توزيع الكلام عبر متخاطبين؛ فالمتحدث التالي يمكن أن يبدأ بمجرد أن ينتهي المتحدث الحالي، مع مراعاة عادات كلّ شعب في التحاور، فعادات التحاور تختلف من شعب إلى شعب.

علامات الخطاب:

وتتضمن استخدام مجموعة من المفردات لا يمكن أن تفسر بالرجوع إلى النحو التقليدي أو الدلالة التقليدية للجمل المفردة مثل، حسناً، من فضلك، بالتأكيد....الخ والتي كانت تصنف نحويًا على أنها ظرف أو أداة عطف أو جار ومجرور. " ومن المراجع التي تهتم بدراسة هذه العلامات كتاب علامات الخطاب للكاتبة الأمريكية ديورا شفرين الذي نشرته مطبعة جامعة كمبردج عام 1987"²، وقد تناولت في هذا الكتاب علامات الخطاب في الإنجليزية من منظور برجماتي " فتصنفها إلى علامات إدارة المعلومات مثل: oh، وعلامات الاستجابة مثل: well، وأدوات ربط الخطاب مثل، or، but، and، ثم علامات السبب والنتيجة مثل، so، because، ثم الظروف الزمنية وهي now، then، وعلامات المعلومات والمشاركة « I mean y'know»³.

ألقاب التخاطب:

تكشف هذه الألقاب عن علاقة الأدوار بين المتخاطبين من حيث المركز الاجتماعي والسيطرة والمودة والألفة ودرجة البعد والاقتراب أو الصداقة والمحبة" ففي مسرحية آرثر ميلر " موت جائع متسول، Death of a Salesman، نستطيع أن نلمح أبعاد العلاقة بين الزوج ويليوا الزوجة ليندا من حيث أوقات الصفاء أو العناء أو الاقتراب أو البعد من خلال الألقاب التي يتبادلانها أثناء الحوار، ففي الخطاب الصفاء يتبادلان ألقاب المحبة التي تتم عن قرب شديد، كما يدل على ذلك الحوار التالي:

1- علي عزّت، المرجع السابق، ص 54.

2- المرجع نفسه، ص 55.

3-Schiffrin, Deborah : Discourse Markers. Cambridge, Cambridge University press, 1987

ضمن عبد الهادي ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب، ص 75.

ويلي: لست قلقة من أجلي، أليس كذلك، يا حبيبتي؟

ليندا: حاول أن تسترخي يا عزيزي... الخ¹.

المبادئ التعاونية في الخطاب:

وهي مبادئ أو حكم سائرة تتحكم في أصول الخطاب، اقترحها بول جرابيس في مقاله: المنطق والحوار عام 1975، ويمكن أن تنطبق هذه القواعد على الحوار العادي كما تنطبق على الحوار الأدبي في المسرحيات وغيرها من الأجناس الأدبية. وتتضمن هذه المبادئ وفقاً لجرابيس:

العلاقة المباشرة: ينبغي أن يكون حوارك ذا علاقة مباشرة بالموضوع، بمعنى أن تجعل مشاركتك في الحديث مرتبطة بالإطار الحالي للموضوع.

-الكم: عليك أن تجعل مشاركتك في الحديث بالقدر المطلوب، أي أن يتضمن حديثك المعلومات الضرورية دون زيادة عن المعرفة المطلوبة.

الكيف: ينبغي على المتخاطبين المشتركين في حديث ما أن يقولوا شيئاً ملائماً عند هذه النقطة من تطور أو يسر الحديث، وعليهم أن يتجنبوا الإبهام والإطالة غير الضرورية.

النوع: حاول أن تجعل مشاركتك أو إسهامك في الحديث الجاري أصدق ما يكون.

كما أضاف جرابيس تعبير المغزى الحواري *Conversational implicature* لكي يشير إلى مخالفة المتخاطبين لهذه الأحكام بغرض الحفاظ على الأهداف الاتصالية المتبادلة، "وعلىنا وفق هذا المفهوم أن نفسر تطور معنى من المعاني التي ترد خلال الحديث عن طريق التمييز بين ماتعنيه الجملة في ظاهرها وما يعنيه الحديث من استخدام هذه الجملة..."²، وقد ظهرت في الآونة الأخيرة تطبيقات عديدة للمنهج البراجماتي سواء على مستوى الحوار العادي أي الحديث اليومي أو على مستوى النصوص الأدبية وبخاصة في المسرحيات "

1- علي عزت، المرجع السابق، ص 55.

2- المرجع نفسه ص 56.

ومن أوائل هذه التطبيقات المثال الذي أورده كولتهارد في كتابه " مقدمة لتحليل الخطاب"¹، فتحدث عن التكنيك الذي اتبعه شكسبير في مسرحية عطيل، ذلك أنه جعل إياجو يثير الشك والريبة في نفس عطيل عن طريق سلسلة من الأسئلة التي يمتنع عن الإجابة عليها.

2- التداولية واللسانيات:

لقد كان لظهور لغويات سوسير تأثير واضح في وصف ظواهر اللغة وفي إحداث قطيعة مع مناهج تقليدية متنوعة ورأى أن وصف اللغة يجب أن يكون وصفاً واقعياً أي وصفها كما هي ومن هنا كان المنهج الوصفي هو السائد في الدراسات اللغوية الحديثة والتي أولت عناية بالنظريات اللسانية من البنيوية إلى التوليدية والتي أكدت أن أهمية اللسانيات تنحصر في دراسة اللغة (صوتياً، صرفياً نحويًا ودلاليًا) وبذلك تكون مهمتها " دراسة طرق التنظيم بين مجموع الأصوات ومجموع المعاني، بين الشكل وبين المعنى بتعبير أوجز"².

لقد ركزت اللسانيات على علم التركيب وعلم المعاني في دراستها للنصوص وبذلك التركيز على الجانب الصوري الوصفي. أي وصف اللغة كما هي، فاللغة تدرس - حسب وجهة نظرهم- دراسة شكلية وصفية فقط إلى أن جاءت المدرسة البنيوية التي رأت أن العمل أو النص الإبداعي ما هو إلا لعبة أو رقعة شطرنج للبناء التركيب فيكون بذلك " تحليل العمل الإبداعي أو النص الإبداعي على أساس أنه آلة لتصنيع الأشكال اللغوية القابلة للتفكيك وإعادة التركيب والبناء ... فهو لعبة شطرنج أساسها المداخل المعجمية المرموقة وفق قوانين البنيوية... باعتبار أن مفهوم البنية يقوم أساساً على العلاقات قبل أن يقوم على الكيانات المعزولة..."³، فيكون بذلك دراسة نظام اللغة بمعزل عن نوايا المتكلم وسياق التلفظ⁴، فدراسة نظام اللغة يكون بوصف نظامها وشرح شروطها وقوانينها لتمثل فيما بعد منظومة مشتركة بين الأفراد الناطقين بها مع إبعاد المعايير الذهنية لأجل إثبات موضوعيتها " فتكون دراسة

1 -Coulthard M : An introduction to DiscourseAnalysis, London Longman, 1977p 170-181.

2 -Moschler et anneReboule, dictionnaire encyclopédique de pragmatique p 18, 19, 20

3- محمد الحناش، الأساس المعرفي لمنظومة الإبداع مقارنة لسانية تداولية

- مجلة التواصل اللساني، المجلد العاشر، العددان 1، 2، 2001 ص 73، 98.

4 - G- Siouffi et .P.R. raen. Raemdonck : 100 fiches pour Comprendre la linguistique, Rosny, novembres, 1999 P50.51.52.

اللغة في حدّ ذاتها ومن أجل ذاتها"¹، كما لا ننسى مجهودات حلقة براغ ودراستها للغة الأدبية، والتي تجلّت في أفكار دي سوسير؛ فالنظام اللغوي عندهم يتكون من وحدات اللغة المعروفة إضافة إلى وسائل التعبير والتي ستؤدي وظيفتها، التواصلية فيما بعد وفق النظام اللساني " فمهمة اللساني دراسة الوظيفة الفعلية للغة، فاللغة حقيقة فعلية كما تشمل اللغة، المستوى العاطفي إلى جانب المستوى الذهني والبحث في العلاقة بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة لأنهما غير متطابقتين"².

أما السوسيرية الحديثة أو ما يسمى بالجلوسيماتيكية وهو الاتجاه الذي يمثله هيلمسليف وزميله برونالد، والذي ثار على الأساليب القديمة لدراسة اللغة، فكان عرضهما " وصف البنية الشكلية للغات"³، مستندا في ذلك إلى بحوث دوسوسير، ولكن مع الإلحاح على ضرورة الاتصال بين المضمون والتعبير أثناء عملية التواصل ففكرة التعبير كانت الجديد الذي جاء به هلمسليف وزميله إلى جانب الشكل والمادة وبذلك " تتحقق دراسة علاقة بشكل التعبير بشكل المحتوى ووصفهما"⁴، وإلى جانب ذلك نجد الوصفية الأمريكية وتحليلها المادي للغة بزعامة فرانز بواس (Franz Bowass، وإدوارد ساپير Edward Sapir) (بلومفيلد Blomphild)؛ فاعتمد بواس في دراسته على اللغة المنطوقة وبالتحديد الكلام، وأهتم ساپير بدراسة الأنماط اللغوية دون تصورات سابقة، أما بلومفيلد فقد أعلن تمسكه الشديد بالمبادئ السلوكية في دراسة اللغة دراسة علمية" إذ جعل اللسانيات شعبة من شعب علم النفس السلوكي..."⁵

أما اللسانيات ما بعد البنيوية فقد مهدت لنشأة ما يعرف باللسانيات التداولية، وذلك لما قدمته من فلسفة اللغة حديثا " فتعود اللسانيات في منتصف القرن العشرين لتستند إلى الدرس الفلسفي ومقولاته..."⁶؛ فالفلسفة هي مهد الدراسات اللسانية والتداولية خاصة فمنها كانت

1- دي سوسير، علم اللغة العام، ص 253.

2- خليفة بوجادي اللسانيات التداولية ص 22.

3- المرجع نفسه، ص 25.

4- المرجع نفسه، ص 26.

5- المرجع نفسه، ص 28.

6- المرجع نفسه، ص 32.

الانطلاقة "وهذا ما نجده وبصفة خاصة في بحوث كلّ من روسل وفيتغنشتاين"¹؛ فقد قاما بدراسة معمقة للغة المثالية والتي عدلا عنها فيما بعد ليعود إلى دراسة اللغة العادية.

فاستعمال اللغة في التواصل هو ما يفسّر لنا التداخل الواضح بين اللسانيات والتداولية وماله من تأثير على النظام اللغوي، فقد أولت التداولية الاهتمام الكبير لهذا الاستعمال، وهو ما يقرّ بصعوبة التمييز بين اللسانيات والتداولية وهذا ما أكده فرانسوا لاترفارس F. Latreverse²، غير أن ما أهملته اللسانيات سابقا ستعمل التداولية على الاهتمام به وهو علاقة اللغة بمستخدميها أو مستعملها، وبذلك يكون الإلمام بكل العناصر المساهمة في عملية الإبلاغ والتواصل فيكون التوجه الاتصالي الوظيفي للغة، وهذا ما نلمسه في مجال التعليم؛ فالتعليم لا يقتصر فقط على تعليم البنى اللغوية أو النحوية، بل يتجاوز ذلك إلى ممارسة هذه البنى خلال التعرف على دلالاتها وأحكامها واستخداماتها، وهذا ما سعت إليه التداولية " حيث عدّت البعد التداولي للغة ممارستها واقعا أحد أهداف العملية التعليمية..."³، ويكون بذلك تركيز اللسانيات على علم المعاني وعلم التركيب على خلاف التداولية التي تسعى إلى التركيز على الجانب الاتصالي، أي علاقة الإشارة بمستخدميها "فاللغة لا تقتصر على علمي النحو والمعاني والتراكيب، بل يتجاوز ذلك إلى الاتصال..."⁴، أي لا يمكن أن نعزل اللغة عن استخداماتها أو استعمالاتها.

ووفق هذا السياق " لم يعد النص مغلقاً أو بنية شكلية معزولة عن سياقها وعن تقنياتها العلمية كالإيماء والافتراض المسبق، والإقناع، والأفعال الكلامية..."⁵، فالتداولية إذن ستهتم بالبعد التواصلية على غرار اللسانيات التي تهتم بمعالجة المعطيات اللغوية (التراكيب، الأصوات، الدلالة...).

1- محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1985، ص 29، 30.
2 - F. Latreverse : La pragmatique (histoire et critique) pièremardaga, édition, Bruscelles, Belgique, 1987 P 161, 162, 163.

3- خليفة بوجادي، اللسانيات التداولية، ص 50.

4- ميجان الروبلي وسعد البازعي، دليل النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3 2000، ص 169-170.

5- المرجع نفسه، ص 169-170.

إن التداولية تتدرج بوضوح ضمن النظام المركزي للسانيات " : فمن هذا المنطلق يمكن دراسة التأويل التداولي للأقوال في رأي سبريروولسن من إيضاح طريقة اشتغال عمليات النظام المركزي"¹، فالمنظومة اللغوية ستسعى لتوفير مداخل للمنظومات التصورية، وعند ذلك تبدأ المعالجة التداولية للأقوال والأفعال. وبذلك يكون الكشف عن عملية التأويل التداولي.

3- التداولية والفلسفة والمنطق.

لقد ولدت التداولية متأثرة بالدراسات الفلسفية والمنطقية، فهي المنبع الحقيقي للتداولية والذي استمدت منه أفكارها ومعانيها ومنطقاتها إضافة إلى علم النفس وعلم الاجتماع وعلوم الاتصال والانثروبولوجيا...

لقد كان للمدرسة الفلسفية التحليلية الدور البارز في تكوين التداولية ومجال تداخلها مع التداولية يكمن في اللغة " فأولى مهام الفلسفة هي البحث في اللغة وتوضيحها وقد اعتبر فلاسفة التحليل هذا المبدأ المنهجي علاقة قوة منهجهم وحقانيته ومن أهم ما أنكرته الفلسفة التحليلية على ذلك الفكر الفلسفي القديم أنه لم يلتفت إلى اللغات الطبيعية ولم يولها ما تستحق من الدراسة والبحث فسعت إلى ردم هذه الهوة باتخاذ اللغة موضوعا للدراسة باعتبارها أولى الأولويات في أي مشروع فلسفي..."²، فموضوع الدراسات الفلسفية التحليلية هو اللغة، إذ أنه لا يتم فهم بدون لغة" ففهم الإنسان لذاته ولعالمه يركز على المقام الأول على اللغة فهي التي تعبر عن هذا الفهم"³؛ ويجب ذكر ثلاثة فلاسفة بوجه خاص على أنهم القوة الموحية للبراغماتية اللغوية أثناء تطورها في السبعينات وهم ج. ل. أوستن J.L. Austin وج. ر سيرل. J.R Seurl، وه. ب غرايس H. P Grice " مع العلم أن مصطلح البراغماتية لم يظهر في أي عمل من أعمالهم"⁴، إذ ارتبطت الفلاسفة الثلاثة بصلة وثيقة بالتراث الفلسفي في أكسفورد وكلهم ينتمون إلى مدرسة فلسفة اللغة العادية. إذ كان اهتمامهم بالطريقة التي تعبر فيها اللغة الإنسانية الطبيعية عن المعاني كطريقة لفهم طبيعة الفكر

1- أن روبرول، جاك موشلار، المرجع السابق، ص 74، 75.

2- محمد محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب دار الكتاب الجديد بيروت ص 100، 101.

3- مسعود صحراوي، في اللسانيات التداولية، ص 23.

4- جيفري ليش وجيني توماس، البراغماتية المعنى في السياق

والمنطق والتخاطب ولذا نسميهم فلاسفة التخاطب...¹ وسيكون ذلك بالحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى.

وتلك هي المنابع الأولى لنشأة التداولية، ونجد ذلك من خلال أعماق كل من الفيلسوف الألماني (فريج) وعالم الرياضيات البريطاني (روسل) " إذ عملا على تطوير قضايا الفلسفة التحليلية، والتي أنتجت بعد ذلك الفلسفة الأولستينية في اللغة"²، فعالج كل من فريج وروسل القضايا التداولية كالظواهر التي من قبيل الإحالة والاستلزام الحواري، وأفعال الكلام...³، فكان وصف اللغة عند أصحاب هذا الاتجاه في استعمالاتها، وممن تجدر الإشارة إليهم في هذا المجال فيتغنشتاين وألعاب اللغة، حيث حاول هذا الأخير التنظير للجانب الاستعمالي للغة، إضافة إلى اهتمامه بالعلاقة بين اللغة والفكر، " فاللغة عنده ليست وسيلة للفهم أو ... بقدر ما هي وسيلة تأثير في الآخرين، وذلك لارتباطها بالمواقف المحسوسة في التواصل..."⁴، ففكرة ألعاب اللغة عنده تنطلق من فكرة أن الأخذ بعين الاعتبار سياق الملفوظية لفهم دلالة التعبير اللغوي وذلك من خلال كتابه بحث في الفلسفة والمنطق 1921 والذي أوضح فيه فكرة التلاعب باللغة أوضح فيه فكرة التلاعب باللغة أو بالكلام⁵، فالأفعال التي تلفظها كلها تتعلق بممارسات نحيها ونعيشها .

أما أوستين، فنجد مساهماته الفلسفية أو في فلسفة اللغة من خلال محاضراته، والتي ساوى فيها بين بنية اللغة وبنية الفكر " فاللغة في مفهومه تتجاوز وظيفة الاتصال إلى وظيفة التأثير، وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية."⁶، كما أشار إلى فكرة الملفوظية إذ عدّ كل قول ملفوظ عملاً⁷، فعمل في الأخير إلى تقسيم ملفوظاته إلى تقريرية وإنجازية وقد أشرنا في المدخل إلى مجهوداته لإرساء مفهوم التداولية.

1 -Ibid.

2 - Philippe Blanchet : la pragmatique d'austina.Goffman, collection référence, édition, Bertrand- Lacoste paris France, 1995 p. 15.16

3- أحمد المتوكل، المرجع السابق، ص 14، 15.

4- فرانسواز أرمينكو، المرجع السابق، ص 21، 22، 23.

5- فيتغنشتاين: بحث في الفلسفة والمنطق نقلا عن بيار أشار: سوسولوجيا اللغة تعريب عبد الوهاب قرو، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص 96.

6 - Austin : quand dire c'est faire p 14.

7- خليفة بوجادي، المرجع السابق، ص 53.

وإلى جانب أوستين نجح (بيرس)، والذي يعدّ من الأوائل الذين درسوا العلاقة انطلاقاً من مفاهيمها الفلسفية، والتي تعدّ أساس النشاط العلاماتي فهو يلح أنّه حين نفكر فنحن علامة¹، وبذلك نجد أن بيرس يربط المعنى بظروف الاستعمال والتواصل، إضافة إلى تمييزه بين الدلالة والتداولية، " حيث أن الدلالة تهتم بدراسة المؤولات بينما تذهب التداولية إلى دراسة بقايا هذه المؤولات..."².

أما ما يتعلق بدراسة الدليل وتصورات الفلسفة الواسعة، فقد أشار إلى ذلك موريس، إضافة إلى دراساته المعمقة لعلم النفس السلوكي والسمياء.

كما يسعى هذا الأخير إلى محاولة الجمع بين العلوم الفيزيائية والعلوم الإنسانية إذ " رأى أن ما سيوحدهما هو العلامات، كما ألح على ضرورة دراسة علاقة البنية اللغوية بالموضوعات المتداولة إلى جانب دراسة البنية الشكلية للغة المستعملة في التداول وبالأشخاص المستخدمين لها..."³. فكل بنية لغوية شكلها اللغوي ودلالاتها اللغوية التي تتضح أثناء استعمالها أو استخدامها بين الأشخاص وأثناء الخطاب والتواصل

كما لا ننسى جهود سورل الفلسفية وهو أحد مؤسسي الدرس التداولي ونجد ذلك في إعادة تصنيفه للأفعال الكلامية، أي إعادة تصنيف ما قدمه أوستين، " إضافة إلى ما ساهم به المنطقة من أبحاث تتعلق بالفلسفة اللغوية ومنهم نجد كرناي وبوردن ولأكوف... جرابيس وما قدموه من قواعد تتعلق بالكَم والكيف وكل ما يخدم الخطاب أثناء التواصل بين مستعملي اللغة أو أطراف التخاطب..."⁴، تتكون التداولية بذلك دراسة استعمال اللغة في الخطاب أي " دراسة كيف يكون للمقولات معان في المقامات الخطابية..."⁵

أما عن علاقة المنطق والاستدلال بالتداولية، فإنه من الملاحظ أن بعض الاستدلالات في العمليات التداولية ذات طبيعة استنباطية وذلك في انطلاقها من العام إلى الخاص. وهذا ما حاول كل من سبريروولسن التوصل إليه إذ حاول الجمع بين الرؤية الواقعية لمعرفة البشرية

1- فرانسواز أرمينكو، المرجع السابق، ص 14، 15.

2- « Latraverse : la pragmatique 55, 56,60.

3- فرانسواز أرمينكو المقاربة التداولية، ص 7، 8.

4- المرجع نفسه، ص 54، 55، 56.

5- محمد محمد يونس علي، المرجع السابق، ص 13، 14.

وبين مفهوم الصدق " إذ أن المعرفة البشرية ليست معصومة من الخطأ..."¹، فالتوصل إلى قوانين المنطق الاستنباطي عملية سهلة بالنسبة للكائنات البشرية فهي أساس عمل ذهنهم، " فالاستدلالات التداولية استدلالات استنباطية"²، إذ أن الإنسان، بإمكانه أن يمتلك نظام استدلال، لكونه يمتلك نظاماً وسلم تطور تفقر إليه الكائنات الحية الأخرى. إذ حاول الحفاظ على بقائه وممارسة حياته بطريقة تتماشى ومقتضيات العصر. " إن العمليات الاستدلالية التداولية وذلك حسب رأي سبريرو ولسن ضربان: الاستدلال الاستنباطي والاستدلال الاستقرائي"³، إذ أن للمنطق الاستنباطي تاريخ طويل انطلاقاً من أرسطو إلى أيامنا هذه فحاول كبار الفلاسفة والمناطق أن يجدوا أو يقدموا حلولاً منطقية لقضايا و مسائل تتعلق بأسس الرياضيات من أمثال برتراند راسل Bertrand Russell و غوتلوب فريغه Gottlob Frege وكورت غودل Kurt Godel⁴

إن ما يهمننا في هذا المبحث هو قضية الفصل والوصل والتي تطرق إليهما العلماء العرب من قبل كما تطرق إليهما المحدثون في قضايا تتعلق بالتداولية، فافتراض صدق قضية ما يستدعي صدق القضية التي تقابلها فقولنا مثلاً: (أ) القط خارج البيت) وب: الليل أرخى سدوله) فعند وصل القضيتين تصبح الجملة أو القضية مركبة: " أ" و"ب" القط خارج البيت والليل أرخى سدوله"⁵، فتكون القضية المركبة صادقة. إذا كانت أ صادقة وب صادقة فصدق فصدق القضية مرتبط بقاعدتين: " قاعدة الزيادة تجيز لنا إذا كانت (أ) صادقة و(ب) صادقة استعمال الوصل وإيجاد قضية "أ" و"ب" تكون بدورها صادقة"⁶.

أي جواز زيادة القضية " أ" إلى "ب" يؤدي إلى صدق القضية المركبة في حال صدق "أ" و"ب".

1- آن روبول، جاك موشلار، المرجع السابق، ص 114.

2- المرجع نفسه، ص 120

3- المرجع نفسه، ص 121.

4- المرجع نفسه، ص 122.

5- المرجع نفسه، ص 122

6- المرجع نفسه، ص 123.

والقاعدة الثانية هي قاعدة الإلغاء¹، والتي بدورها تلغي الوصل، ولكن تبقى كلتا القضيتين صادقتين بالرغم من إلغاء وصلهما

أما الفصل" فهو صادق إذا كان أحد طرفي القضية المركبة صادقا...² فصدق قضية ما مثلا "أ" وبتابع طريقة الفصل تقول مثلا (أ) أو (ب)، أو (ج) (أ) أو (د)... فالفصل "أ" أو "ب"، أي (أ) صادقة مع أية قضية بغض النظر عن ب، ج د وهذا ما يوافق قاعدة الزيادة في الفصل، فسواء كانت ب أو ج أو د صادقة أو كاذبة فالقضية "أ" صادقة.

أما في القضايا الشرطية والمنتھية إلى الاستلزام المادي³ فيكون صدق القضايا وفق شروط أو احتمالات؛ فعند قولنا مثلا: " إن يزورنا الجد تفرح الأم"، فصدق القضية قد يأتي باحتمالات متنوعة.

- (يزورنا الجد تفرح الأم) صادقة
- يزورنا الجد وتكتتب الأم) كاذبة إذا كان العكس (يزورنا الجد تفرح الأم)
- يزورنا الجد كاذبة وتفرح الأم كاذبة تكون قضية كاذبة أي قضية (يزورنا الجد تفرح الأم).

يتضح لنا من خلال الأمثلة السابقة أن قيمة صدق الشرط تعرفنا بقيمة صدق الجواب فجملة: يزورنا الجد تفرح الأم) شرطية صادقة في لغتنا العادية وذلك وفقاً لحالة الأم النفسية.

فقضية الوصل والاستلزام إذن من القضايا التي اختارها كل من سبرير وولسن لحساب الاستدلالات المتداخلة والقوية في عملية تأويل القضايا، غير أن سبرير وولسن اقترحا أن تصاف الحالة، لوصل حالة أو قاعدة تسمى إثبات التالي المتصل Modusponens conjonctif⁴، إذ شرحا ذلك من خلال القضية: القط خارج البيت والليل أرخى سدوله) فالقضية عندهما لم تقدم شيئاً لسامعها أو مستقبلها ما لم تؤدي نتيجة حتمية وهي إدخال القط إلى المنزل مثلاً. فتصبح صيغة القضية:

1- آن روبول، جاك موشلار، المرجع السابق، ص 123.

2- المرجع نفسه، ص 123

3- المرجع نفسه ص 124

4- المرجع نفسه، ص 127

" القط خارج البيت

- الليل أرخى سدوله.

يحقّ لزيد مثلاً أن ينتقل من: إذا كان القط خارج البيت والليل أرخى سدوله إذن ينبغي إدخاله إلى البيت" والحال نفسه في إثبات التالي المنفصل¹ "وما نقر به أخيراً، هو قابلية الأنظمة المعرفية للصدق والكذب أو الخطأ والصواب وذلك حسب طريقة عمل كل نظام... وابتعادها عن النسبية.

4-التداولية والدلالة:

قضية المعنى من القضايا التي حيّرت وأرقت الفلاسفة واللغويين وحتى القانونيين؛ فعلم الدلالة علم يهتم باستخراج المعنى الكامن خلف التراكيب والمفردات؛ فهو العلم الذي يُعنى بدراسة المعنى، " أو هو كما أطلق عليه علماء أصول الفقه علم الوضع اللغوي..."²، أي أنّ علم الدلالة يعنى بوصف معنى الكلمة ومعنى الجملة، أمّا التداولية أو البراغماتية فتعنى بتحديد مقاصد المتكلم، وذلك بناء على وصف علم الدلالة" فعند قراءة أو سماع قدرًا من اللغة فإننا لا نحاول فهم ما تعنيه الكلمات فحسب بل فهم ما يقصده قائل تلك الكلمات..."³، ومعنى ذلك أن ما يكتب مثلاً على لافتات لبيع أغراض متنوعة فالمعنى الذي نريد أن نتحصل عليه هو ما تعنيه الكلمات المكتوبة. وبما أن علم الدلالة يعدّ فرعاً من فروع اللسانيات الحديثة، "فعلاقة لا تخرج عن علاقة التداولية باللسانيات..."⁴؛ فكلّ من الدلالة والتداولية يبحثان في المعنى، ولكن تتجاوز البراغماتية دراسة المعنى في اللغة لتهتم بالاستعمال اللغوي للغة، وبذلك تشترك كلّ من التداولية والدلالة في دراسة المعنى ولكن تختلفان في بعض المستويات وهذا ما أدى إلى نوع من الغموض أو الظلال التي تتطوي

1- أن رويولالمرجع السابق، ص 127-128.

2- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب. دراسة تداولية، ص 240.

3- خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة نصوص وتطبيقات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط الثانية 2012، ص 88.

4- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 127.

عليها الدلالة والتداولية" فالتمييز بين السيمانيكية والبراجماتية ينطوي على ظلال رمادية في التطبيق العملي حيال تحليل المعنى الذي تؤديه اللغات...¹

إن ما يميّز بين الدلالة والتداولية هو ما يعرف بالكفاءة والأداء، نعلم الدلالة يصنّف ضمن القدرة (معرفة اللغة) أي الكفاءة، بينما تصنّف التداولية ضمن الأداء وهو ما ذهب إليه ليونز جون حيث قال: "... أما التداولية فتصنف ضمن الشق الثاني المتضمن للأداء، الانجاز واستخدام اللغة...²، وبذلك فهي تعدّ سابقة للدلالة، إذ أنها تربط المعنى الذي بحثت عنه الدلالة بالاستخدام والاستعمال " فالتداولية امتداد للدرس الدلالي...³؛ وبدراسة التداولية أو بتحديد التداولية كما يسمح بنجاح الملفوظ أو إخفاقه تأخذ التداولية طريقاً آخرًا يفصلها عن الدلالة" فاستخدام المعنى غير المعنى...⁴، وذلك كتجاوز جمل ما للمعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي فقولنا مثلاً (في هذه المؤسسة التجارية رؤوس سامّة)، فاستخدامه تجاوز الحقيقة إلى المجاز الذي هدفه الإبلاغي التحذير من بعض المسؤولين؟، فالانفصال بين التداولية والدلالة لا يعني الاستقلال التام" فالمقولات التداولية تبنى على المقولات الدلالية... حين عرضت الفكرة التداولية ضمن الدرس اللغوي عرضت واحداً من مكوناته إلى جانب المكونين الدلالي والتركيب...⁵، فدراسة المعنى لا يمكن أن تكون بمنأى عن القادم، " فالأصح أن السيمانيكية تعالج معنى الجملة في إطار أدنى من الإشارة إلى المقام، بينما البراجماتية اللغوية تتولى المعنى ضمن إطار المقام المحدّد المعالم والمقاصد...⁶

وهنا نلمس مواطن التداخل بين الدلالة والتداولية، فالواحد منهما يكمل الآخر " فالدلالة تعنى بتفسير الملفوظات وفق شروطها وقيودها النظامية، وتحدّد المعاني المعرفية لها، مع إشارة إلى أدنى مقاماتها، خدمة للنظام اللغوي، لا لمقاصد المتكلم بالبحث عن المقام المناسب، والشروط التي تضمن نجاح العبارة ... وتتجاوز الربط بين معاني الكلمات إلى الربط بين

1- شاهر الحسن، علم الدلالة السيميائية و البراجماتية في اللغة العربية، دار الفكر، عمان الأردن، ط1، 2001، ص 158-160.

2- جون ليونز، اللغة المعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، مراجعة بونيل عزيز، سلسلة المائة كتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ط1 1987، ص 30، 33، 32.

3 -F.Latraverse ; La pragmatique (histoire et critique) p 42,43.

4 - D. Maingueneau : Pragmatique pour le discours littéraire p 03, 04, 05.

5- خليفة بوجادي ، المرجع السابق، ص 127، 128.

6- شاهر الحسن، المرجع السابق، ص 160-159.

النص كاملاً وسياق أدائه...¹، وبذلك نخرج بمعنيين معنى دلالي يتعلق بعلاقة الجمل فيما بينها، ومعنى تداولي يتعلق بالوحدة الكلامية ككل متكامل.

كما تجدر الإشارة إلى أن علم الدلالة كما ظهر له أن يكون مختصاً بالعلامات اللغوية ليكون علماً خالصاً من علم اللغة. ولكنه ارتبط وتضايق مع علوم متعددة جعلت منه موضوعاً رئيسياً في تحليلاتها كالبلاغة وعلم النفس والأنثروبولوجيا وأصول الفقه... وهذا ما وجدناه في التداولية كذلك فهي هجين من المعارف المتنوعة المتضاربة والمتعاونة فيما بينها لأجل إيصال المعارف وتحليلها وتبيين مقاصدها ومراميها. وهذا ما جعل الدكتور منذر عياشي يقول: "ولقد أدى هذا الأمر بالدراسات اللغوية في الحصول على مفاهيمها وبناء تصوراتها وتطوير مناهجها إلى الاتكاء على ميادين علمية أخرى في تكوين المعرفة اللغوية... وهذا يعني أن الدرس اللغوي تموضع مفهوماً ومتصوراً ومنهجاً خارج اللغة ثم انتقل إلينا ليصبح الدرس فيها علماً...²، كما تجدر الإشارة هنا إلى الفوارق بين المعاني الوضعية والتخاطبية؛ فالوضعية ترتبط بالمعنى لا باللفظ، فقولنا الثلج يسقط يفهم منه وضعياً أن الثلج يسقط، ولكن إذا ما حاولنا تفسيره تخاطبياً فيمكننا أن نفهم معاني عدّة كأن ننبه إلى حمل مظلة أو المكوث في البيت.....

إنّ المقصود من الدلالة الوضعية وما لا يمكن تعدده ولا إلغاؤه، أمّا المفهوم التخاطبي فهو غير قابل للانفكاك " أي أن تغيير صيغة المقولة لفظاً مع عدم المساس بالمعنى لا يؤدي إلى إلغاء المفهوم التخاطبي لارتباطه بالمعنى وليس باللفظ...³، فالملفوظ إمّا أن يقصد منه دلالاته الوضعية أو دلالاته التداولية، فإن قصدنا دلالاته التداولية فهي منطوقة ولا علاقة لدلالاته الوضعية أصلاً، فالدلالة الحرفية هي دلالة المفردات في وضعها اللغوي، بينما دلالة المنطوق هي القصد الأول من الكلام أثناء النطق به.

1- فان ديك، المرجع السابق، ص 114، 115، 116.

2- منذر عياشي، اللسانيات والدلالية، مركز الإنماء الحضاري، حلب 2007، د، ط، ص 45، 46.

3- محمد محمد يونس، المرجع السابق، ص 42، 43.

5-التداولية والنحو الوظيفي:

إن النظريات اللسانية تكاد تجمع على أن قدرة المتكلم والمستمع هو موضوع الوصف اللغوي، " إذ يرى تشومسكي أن هذه القدرة قدرتان قدرة نحوية صرف وقدرة تداولية " فإن الوظيفيين والتداوليين بوجه عام يذهبون إلى أن القدرة اللغوية قدرة واحدة تجمع بين النحو والتداول ويطلقون عليها القدرة التواصلية Communicative competence...¹، وبذلك لا يمكن فصل النحو عن التداول وخاصة النحو الوظيفي على وجه التحديد، إذ به يمكن التواصل بين مستعملي اللغة وذلك باستعمال عبارات لغوية تؤثر بدورها في مخزونهم المعلوماتي والعقائدي والثقافي... وبذلك " يعدّ النحو الوظيفي أهم رافد للدرس التداولي ... إنّ معظم الدارسين من جعل الوظيفة في عموم معناها تقابل التداولية...²، وذلك انطلاقاً من ظروف الاستعمال ومن خصائص البنيات اللغوية الطبيعية " فسيمونديك في السبعينات يجمع بين المقولات النحوية المعروفة وبين ما عرضته نظرية أفعال الكلام³، ويكون ذلك بتحقيق كفايات متنوعة كالتداولية والنمطية والنفسية والاجتماعية. تساهم كلّها في تفسير التداول الخطابي، " وهذا ما جعل سيمون ديك يذهب إلى ما أطلق عليه النظرية التداولية الواسعة أو الشاملة التي تجمع نظريات التواصل اللغوي المختلفة⁴، فهذه النظرية تؤثر بدورها ما في سلوكهم الفعلي عن طريق اللغة.

أناملكة اللغوية تتضمن الجوانب التداولية الهامة وهذا بخلاف ما نجده في تصور النحو التوليدي التحويلي والذي فصل بدوره بين القدرتين، النحوية والتداولية وبذلك يتحقق وصف الخصائص البنوية" فالتداول في تصور النحو الوظيفي ليس قالباً مستقلاً عن القالب النحوي يتفاعل معه حين الإنجاز إثباتاً وتأويلاً، وإنما هو جزء منه...⁵؛ فالهدف من النحو الوظيفي هو الكشف عن خصائص العبارات أو الكلمات اللغوية التي لها علاقة بطريقة الاستعمال إذ يقول في ذلك ديك: " نريد من النحو الوظيفي أن يكشف لنا عن خصائص العبارات اللغوية التي لها علاقة بالكيفية التي تستعمل بها هذه العبارات وأن يفعل ذلك بالطريقة التي تمكن

1- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، ص 24.

2- أحمد المتوكل الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 08.

3- د. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 127.

4- أحمد المتوكل، الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1 2003، ص 55-56.

5- أحمد المتوكل قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 25.

من ربط هذه الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التفاعل اللغوي...¹، وهذا ما أطلق عليه ديك بالكفاية التداولية. والتي وضع لها شروطاً حتى يدمج النحو الوظيفي فيها، إذ يقاس هذا الإدماج بدرجة استجابته لضابط الكفاية التداولية. فكلّ عبارة لها مكونات خاصة بها، لذا يجب التمثيل لهذه الخصائص خاصة من ناحية الانجاز والوظائف التي تؤدّيها، ويكون ذلك التمثيل داخل النحو " إذ يمثل لهذه الفئة من الخصائص داخل النحو ذاته أي داخل القالب النحوي لا خارجه...²، فكلّ فئة خارج النحو لا تعدّ تمثيلاً لخاصية تداولية.

أما الكفاية الثانية فهي الكفاية النفسية، والتي تتعلق بالجانب السلوكي النفسي لمستعملي اللغة " فالنحو الذي يعكس النماذج النفسية للقدرة اللغوية وللسلوك اللغوي نحو كافٍ نفسياً ويكون ذلك في اتجاهين في اتجاه الإنتاج حيث يحدّد الطريقة التي يبين بها المتكلم العبارة اللغوية وبصوغها واتجاه الفهم يحدّد الطريقة التي يحلّل بها المخاطب العبارة اللغوية...³، وبذلك يتحقق التأويل الملائم وذلك بفضل جهازين، التحويل والتوليد وذلك وفق ما ثبتت واقعته النفسية.

أما الكفاية النمطية فتكون حين يستطيع النحو أن يصف أو أن يقدم أوصافاً للغات معينة تنتمي بدورها إلى أنماط مختلفة، ويكون ذلك بذكر أو برصد ما يجمع وما يخالف بينها" فالنظرية اللغوية - حسب الكفاية النمطية- يجب أن ترقى إلى درجة معقولة من التجريد لتستطيع أن تطبق على لغات متباينة نمطياً كما يجب أن تظل في نفس الوقت أقرب ما يمكن أن تكون من الوقائع اللغوية الملموسة...⁴، أي أن تتوخى في صياغة مبادئها وقواعدها التوسط بين التجريد والملموسية؛ وذلك تفادياً للإخلال بضبط التحققات المتوصل إليها داخل كلّ لغة. وتبقى مسألة فصل القالب النحوي عن القالب التداولي مسألة شغلت الدارسين إذ حاولت إشارات برزت وفي السنوات الأخيرة أن ترصد الخصائص التداولية في قالب مستقل أطلقت عليه القالب التداولي" فحسب هذا التيار تصبح قوالب نموذج مستعملي اللغة الطبيعية ستة قوالب: القالب النحوي، القالب المنطقي، القالب المعرفي، القالب الاجتماعي،

6-أحمد المتوكل قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 28.

2- المرجع نفسه، ص 28.

3- المرجع نفسه، ص 28، 29.

4- المرجع نفسه، ص 29.

القالب الإدراكي، القالب التداولي وتصبح سبعة إذا أضفنا القالب الشعري...¹، وبذلك يتكفل كل قالب بدراسة اللغة المستعملة وذلك حسب معايير وقواعده.

كما تطرق البعض إلى حالة تنظيم القالب التداولي وإبراز العلاقات التي تربطه بالقوالب الأخرى" إذ ذهب FIRTH إلى رسم المعالم الأساسية المسطرة والتي تربط بين القالب النحوي والقالب التداولي وتقوم فكرته على أن القوة الانجازية المستلزمة لا يمثل لها في نفس القالب الذي يرصد القوة الانجازية الحرفية كل في قالب مستقل، القالب التداولي...²، وبذلك فصل بين القالب النحوي والقالب التداولي.

أما فان دين بيرج فاقترح نموذجاً آخر أسماه بالنحو الوظيفي التداولي" والذي ترأسه ثلاثة قوالب، قالب تداولي يفي برصد خصائص السياق الاجتماعي ككل، وقالب تبليغي يتكفل بالتمثيل لفحوى الخطاب المروم تبليغه وقالب نحوي يوكل إليه اختيار الصياغة اللغوية الملائمة كما هو مرصود في القالبيين السابقين...³، ويبقى مسألة تنظيم القالب التداولي أي فصله أو وصله بالقوالب السالفة الذكر مسألة مفتوحة تحتاج إلى دراسة معمقة.

6-التداولية وعلم اللغة الاجتماعي:

يشارك علم اللغة الاجتماعي التداولية في إبراز أكبر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث، وذلك من خلال الموضوع أي موضوع الكلام، ومقام ومرتبة كل من المتكلم والمستمع، وذلك من خلال استخدام العبارات المناسبة لمخاطبة مخاطب معين إذ توفير الملكة الاجتماعية لمستعمل اللغة المعلومات التي تمكنه من استخدام العبارة المناسبة وهو يخاطب مخاطباً معيناً في موقف تواصلية معيناً قصد تحقيق غرض تواصلية معيناً من هذه المعلومات ما يتعلق أساساً بالخلفية الاجتماعية- الثقافية للمتخاطبين...⁴، إذ تؤثر هذه الخلفية في إنتاج العبارات اللغوية من جهة وفي تأويلها من جهة أخرى، فتختلف هذه الخلفيات حسب درجات المتخاطبين إذ تتفرد عشيرة أو قبيلة ما بعناصر خاصة بها كالشفافة

1- أحمد المتوكل، المرجع السابق، ص 653-654.

2- المرجع نفسه، ص 654.

3- البوشيخي عز الدين، قدرة المتكلم التواصلية وأشكال بناء الأبناء، أطروحة دكتوراه، مكناس، كلية الآداب.

4- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 26، 27.

العربية مثلاً، كما لا ننسى العناصر العامة التي تتقاسمها الثقافات الإنسانية بصفة عامة على اختلافها وتباينها" إذ تسهم هذه العناصر - الخاصة أو العامة ودرجات متفاوتة في عمليتي إنتاج وتأويل العبارات اللغوية إلى جانب الملكات الأخرى...¹، وبذلك بيان مراتبهم وأجناسهم وأثر السياق غير اللغوي في اختيار التنوعات اللغوية البارزة في كلامهم.

تسعى السوسولوجيا البراغماتية إلى البحث عن صيغ الوصف والتكافؤ والاختلاف والتطابق بين المتخاطبين " التي من خلالها ينسق الفاعلون أفعالهم وينتجون اتفاقات أي تلك الصيغ التي يبنون بها أنظمة عدل يحتكمون إليها... السوسولوجيا البراغماتية سوسولوجياً أخلاقية تريد أن تعطي للنشاط المعياري مكانته الكاملة...²، هذه السوسولوجيا التي تهدف إلى إحداث تغييرات في زوايا النظر وهذا ما يميزها عن السوسولوجيا الكلاسيكية التي خرقت بين الفردي والجماعي إذ سعت هذه السوسولوجيا أي البراغماتية " إلى نقل التعارض التقليدي بين الفردي والجماعي وهي بذلك تتدرج في مجال السوسولوجيات الجديدة التي تحاول الإفلات من التعارض الطقوسي بين الجماعي والفردي...³، وبذلك يتحقق " تعدد صيغ الانخراط في العالم على حدّ تعبير فيليب كوركون، عوض المقولات السوسولوجية المألوفة مثل: الطبقة الاجتماعية، والمكانة والدور والثقافة والمجتمع والسلطة وا...⁴، فتحدّد الطبقات الاجتماعية بمكانها وأدوارها المتنوعة إضافة إلى ثقافة المجتمع وسلطته.

إنّ ما تسعى السوسولوجيا البراغماتية إلى تأكيده هو تنوع أقوال الأشخاص تبعاً لوضعياتهم المتنوعة، " فهي تنفي وترفض وجود فرد عقلائي أحادي الشكل أي نفعي وحاسوب لتستعمل عوض ذلك مفاهيم أخرى مثل العاملين أو الفاعلين...⁵، وبذلك تجاوز كلّ ما يدعو إلى الفصل بين الكلي والجزئي إذ " جاء الأسلوب السوسولوجي مهتماً بتشكيل الجماعات أو التعبئة وأشكال التجميع أو تصاعد العمومية Généralités...⁶.

1- أحمد المتوكل، المرجع السابق، ص 27.

2- محمد ناشي، تصدير: لوك بولطا نسكي مدخل إلى السوسولوجيا البراغماتية، ترجمة ميلود طواهي، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية، ناشرون ط 2014، ص 07.

3- المرجع نفسه، ص 7، 8.

4- المرجع نفسه، ص 09.

5- المرجع نفسه ص 09.

6- المرجع نفسه، ص 09.

-حاول الأسلوب السوسولوجي إرساء التفاعلية باستخدام البراغمتية: " إذ حاولت مارغريت ميد Margaret med إرساء قواعد التفاعلية باستخدام البراغمتية وعلم السلوك *éthologie* وأعمال المدرسة السلوكية ...¹، كما لا ننسى إسهامات بعض التيارات في بداية الثمانيات. والتي حاولت إحداث تغيير في الاختصاص وتجديد في النظرية السوسولوجية" ففي فرنسا شكل ذلك فرصة لاكتشاف وتقدير، ولو بشكل متأخر إسهامات بعض التيارات الأنجلو ساكسونية مثل التفاعلية الرمزية أو الاثنوميدولوجيا التي كانت إلى غاية تلك الفترة مجهولة أو قليلة الاعتبار...²، والتي حاولت فيما بعد الجهود تجديدها وإبراز مدى إسهامها في التأثير في الاتجاه البراغمتي إذ" برزت أفكار علم برجماتي منذ مدة في تخصصات مختلفة في النزعة البراغمتية وبيرس Peirce، جامس James، ديوني Deney في أسسياته Morris، واللسانيات بنفنيست Benveniste، وديكور Durcrot تودوروف Todorov وفي نظرية أفعال الكلام أوستين Austikn سيرل Serle ولكن تحت تأثير بعض التيارات السوسولوجية. مثل التفاعلية الرمزية والاثنوميدولوجيا... مثل هذه الأفكار لقيت صدى حقيقي في نقل العلوم الاجتماعية...³، وبذلك تدرس السوسولوجيا البراغمتية الأفعال التي يتم بناؤها من خلال الأدوات والنظريات والمواضع التي تشكل فيها العلوم المتنوعة، وهذا ما أكده BénatouilThoms قائلاً: " السوسولوجيا البراغمتية تصف كيف يبقى العلماء على مجموع المؤسسات والمواضع والأدوات والنظريات المشكلة للعلوم والتقنيات ... بأي أفعال يتم بناؤها...⁴، فهي إذن تتعلق بمسارات كيفية بناء الأفعال وبيان العلاقات بالأشياء والمعايير، أي دراسة نشاط ما في علم ما داخل مجراه.

7- التداولية وعلم اللغة النفسي:

تعتمد التداولية في درسها على ما قدمته اللسانيات النفسية أو علم اللغة النفسي في مجال تبليغ الملكات وفي الاهتمام بقدرات المشاركين، والتي لها الأثر الكبير والواضح في الأداء،

1- محمد ناشي، المرجع السابق، ص 09.

2- المرجع نفسه، ص 22، 23.

3- المرجع نفسه، ص 30.

4- Bénatouil Thomas 1999 (cirtique et pragmatique en sociologie, quelques principes de lecture. AnonalesHssne Avril mai p 281-317

ضمن محمد ناشي، ص 31.

كالشخصية والذكاء والذاكرة والانتباه... وقد ذهب جون ديوي إلى ما أسماه بالأداتية والوسيلة" فقد عرف اتجاه جون ديوي بالوسيلة والأداتية وذلك لتكوين نظرية منطقية دقيقة للمدركات العقلية والأحكام والاستتباطات في شتى صورها...¹؛ فالتفكير ضرب من السلوك المتصل له أدوات خاصة وهي المعاني، فنحن لا نفكر إلا لغاية أي لإرضاء رغبة أو قضاء حاجة، وبذلك يكون التفكير وسيلة من الوسائل التي تُحلّ بها المشكلات المتنوعة.

أما عن الرؤية المنظومية لاشتغال الدماغ البشري؛ " هذا اقتراح الفيلسوف وعالم النفس المعرفي الأمريكي جيرى فودور JeryFodor نظرية لكيفية اشتغال الدماغ وفق رؤية منظومية...²، وهذا ما ذهب إليه من قبل غال Gall في نهاية القرن 19 وفق نظرية تنتمي إلى علم النفس الملكات³، إذ أن اشتغال الذهن يكون اشتغال تراتبي تعالج فيه المعلومة سواء أكانت مرئية أو سمعية أو لغوية أو...

" إذ يكون ذلك عبر مراحل متلاحقة وكل مرحلة منها تقابل مكوناً من مكونات الذهن، وهي المحوّل والنظام الطرفي والنظام المركزي...⁴، فعند وقوع حدث سواء أكان صوتاً أو رؤية أو ... فإن معطيات الإدراكية الحتمية ستعالجه في محوّل يُقرأ من طرف النظام الذي سيشتغل في المرحلة الموالية " وهي الترجمة التي قامت بها المحوّل بواسطة النظام الطرفي الذي يتمثل في مجموعة من الوحدات المستقلة المترابطة والتي تختلف باختلاف مصادرها كأن تكون مختصة بمعالجة المعطيات المرئية أو مختصة بمعالجة المعطيات الصعبة...⁵،

لتأتى مرحلة التأويل والتي تحقق من خلال المقارنة أي مقارنة المعلومة مع معلومات أخرى ويكون ذلك في النظام المركزي.

ففي علم النفس التجريبي - حسب رأي فودور- يمثل كل نظام منظومة معزولة من غيرها من المنظومات " إذ لا يمكن تبادل المعلومات معها(منغلق)، وأن عمليات الأنظمة الطرفية

1- علي سعيد إسماعيل، فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة، الكويت د.ط، دت ضمن محمد الجاغوب أقلام الديوان والفلسفة البراجماتية، الثلاثاء 17 آذار مارس 2009.

2- أن روبول، جاك موشلار، المرجع السابق، ص 72.

3- المرجع نفسه ص 73.

4- المرجع نفسه ص 73.

5- Oswald Durcrot- Jean Marie Scheffer : Nouveau. Dictionnaire Paris Encyclopédique des sciences du langage seuil, 1995, p 289.290.

لآلية ولا يمكن إبطالها فهي عمليات إجبارية إضافة إلى سرعتها وسطحية نتائجها...¹، وذلك لما يمتاز به النظام المركزي من تعقيدات تعرقل بل تصعب عملية المعاينة والملاحظة والوصف. وهذا ما سعى كل من سيربرو وولسن إلى محاولة الكشف عنه لاحقاً وهو ما رأيناه سابقاً في علاقة التداولية باللسانيات.

لقد توصل كل من سيربرو وولسن في عملية تأويل الأقوال إلى وجود مرحلتين أساسيتين هما: المرحلة الترميزية والمرحلة الاستدلالية " إذ ينغرس هذا التصور في تصور منظومي لاشتغال الذهن تعدد بمقتضاه اللغة ملكة بالمعنى الذي قصده غال Gall أي أنها تشكل نظاماً مستقلاً...²، وذلك حسب القدرات الذهنية لكل فرد أو ما يعاينه كل فرد من اضطرابات أو ما يتميزون به من حالات استثنائية، ولكن هذا لا يمنعهم من التمتع بالقدرات اللغوية السليمة " فالأفراد الذين يشكون من تخلف ذهني كبير يتمتعون مع ذلك بقدرات لغوية سليمة ... إذ يمكنهم تعلم الكلام بلغتهم الأم وبصفة طبيعية، بل يمكنهم أيضاً تعلم لغات أخرى غير لغتهم الأم... لهذا فإن غرابية خطابهم هي من النوع التداولي وليست من النوع اللغوي...³، أي أن الخلل يكمن في الاستعمال اللغوي لا في لغتهم المكتسبة والفطرية.

-قد يتعرض بعض الأفراد وإثر حادث ما إلى تلف جزئي أو تام في قدرتهم اللغوية وهذا ما يقف حاجزاً في تعلمهم للكلام مع بقاء قدراتهم الذهنية سليمة؛ فللقدررة التداولية إذن الدور الفعال في تمثيل الحالات الذهنية، وهذا ما تؤكدناه لنا الأبحاث التي تجري حول المرض النفسي الخطير المسمى بالانطواء والذي سببه العجز عن التمثل واستخلاص النتائج.

ترتبط القدرات الذهنية للناس بالتمثل للسكون وفي القدرة على فيه وذلك حتى باختلاف اللغات، هذا عن القدرات الذهنية أما القدرات اللغوية فالأمر مختلف " في حين أن قدرات اللغات على التمثيل ليست هي نفسها لأن قدرة لغى ما على التمثيل لا تطابق قدرة أية لغة أخرى...⁴، إذ ما تفصله لغة ما وفي موقف ما لا يكون نفسه في لغة أخرى " فلغة الفكر إذن على نحو توثيق بينما جاءت به الفرضية التوكيدية والمتعلقة بالشكليات اللسانية.

1- أن رربول، جاك موشلار، المرجع السابق، ص 74.

2- المرجع نفسه، ص 88.

3- المرجع نفسه، ص 89.

4- المرجع نفسه، ص 93، 94.

فالأبنية النحوية مشتركة بين اللغات مهما كانت اختلافاتها.

ان ما جاء به فودور وسيربروولسن عن تمثيل الكون بواسطة اللغة أي لغة الفكر لم يحل مشكلة التقييم أي تقييم صدقها أو كذبها " فإن مجرد المقارنة بين التمثلات لا يكفي، إذ إن اختيار هذا التمثل أو ذلك، ما دام من نسق واحد يتم استنادا إلى مقياس خارجي هو مقياس الصدق...¹، فعند قولنا مثلاً " يوجد أسد مفترس يعيش في الضفة المجاورة" وفي هذه المعلومة تمثل للكون ولنا معلومة أخرى تقول " لا يوجد أسد مفترس يعيش في الضفة المجاورة"، فعند المقارنة علينا اختيار واحدة منهما إذ لا يجوز أن نختار أو أن نصدق الجملتين معاً. ولهذا تكون القضية قابلة للتقسيم من جهة صدقها أو كذبها.

فتتداخل- إذن- التداولية مع علوم مختلفة في بعض جوانب الدرس، كعلم الدلالة الذي يشاركها في دراسة المعنى وعلم اللغة الاجتماعي الذي يشاركها في تبني أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث أو علم اللغة النفسي الذي يشاركها في الاهتمام بقدرات المشاركين. وتحليل الخطاب الذي يشاركها في الاهتمام أساساً بتحليل الحوار.

ب- المونولوج:

إن الحوار هو ما يميز الفن المسرحي عن غيره من الفنون الأدبية الأخرى كالقصة والرواية ... ويكون هذا الحوار ظاهراً تتقاسمه الشخصيات المسرحية فيما بينها بعبارات وكلمات يقصد تبليغها للمتفرج أو للقارئ" فهو الشكل الطبيعي للخطاب البشري...²، أي هو ما يعرف بالتبادل" أي تبادل أطراف الحوار بين شخصية أو أكثر. هذا عن الحوار الظاهر. أما عن الحوار الداخلي أو ما يعرف بالمونولوج فهو حوار ولكن حوار يكون فيه المتكلم هو نفسه، المخاطب، هذا الأخير الذي قد يتعرض لظروف ما أو لمشكلة ما فتسيطر عليه الحيرة والقلق فيبدأ في مساءلة نفسه تارة وفي تقديم إجابة لنفسه تارة أخرى، فهو يعكس لنا ظاهرة التواصل اللغوي الداخلي وقد عبر عنها فرانسيس جاك تميزاً مغايراً حدّده في الوضعية

1- أن رربول، جاك موشار، المرجع السابق، ص 94.

2- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2003، ص 53.

التبليغية التي تميز المونولوج عن الحوار المعادي الظاهر قائلاً " بأنّ المتكلم أو الباث أو المخاطب قد يكون مرة متكلماً ومرة مستمعاً..."¹، ويبقى الحوار الداخلي والمونولوج هما ما يميزا المسرح عن بقية الفنون الأدبية الأخرى.

- إن الكاتب وهو يستعمل هذا النمط من الحوار - المونولوج - يحاول أن يخبر المتلقي بما يجول في ذهنه من حيرة أو أفكار أو قلق انتابه. راجيا من المتلقي أو المنفرج أن يكون خير كاتم لأسراره ولما يجول في خاطره.

مدير المسرح- جانباً مع نفسه- " يا له من ثرثار... يدعي أنّه عبقرى وهو لا يدرك إنه على حافة الجنون... أجل... أجل إنّ بوادى الجنون بادية عليه..."²

فمدير المسرح لا يحمل أخباراً فقط للقارئ وإنما أراد أن يترك أثراً في نفس الغير، أثراً يجعل القارئ واقعاً في حيرة لا يعرف ماذا سيجري بعد ذلك من أحداث معقدة لحالة الكاتب.

ماري (لنفسها): " راهو هنا،... عرفتھا... واش بيه، داير راسو بين رجلية... راه بيكي... يتأثر بالأحداث اللّي صرات اليوم... إنسان عاطفي بزاف... كل ما يسمع واحد من صحابوة ما يتأثر..."³، فماري محتارة لأمر محمد الصامت والحزين، فهي تحاور نفسها وتساءل عن سبب حزنه وجلوسه بهذه الكيفية، أرادت أن تجعل المتلقي يتأثر هو الآخر لأمر محمد ويؤد معرفة أسباب حزنه وتعاسته.

الشيخ المحفوظ: يوجه كلامه للصوت الداخلي: " الله لا يعطيك ... اللّي يعفبك... اللّي ما يحضرش الله لا جعله باه أحضر..."⁴، فالشيخ المحفوظ يحدث نفسه حديثاً لا يرغب في نقله للشيخ إبراهيم.

لقد حملت الحوارات السابقة في طياتها (مونولوجات) تأثيراً واضحاً في القارئ أو المنفرج بالإضافة إلى ما جاء به من أخبار وهذا ما يطلق عليه قانون التأثير: " وهو قانون تداولي يتلخص في أن الحكى لا يتعين أن يحمل معه أخباراً فقط، إنّما يجب أن يترك أثراً في نفس

1 -F. Jacques. Dilogiques, presses universitaines de France. Paris p151-152.

2- محمد ناصر، انتحار كاتب، المشهد الأول، ص 111.

3- قاسمي جمعة، النصر المتفجر، الفصل الثاني، المشهد الأول، ص 284.

4- ناس الحومة الفصل الثاني، اللوحة الأولى، ص 104

الغير، ويتجلى هذا القانون في كل جزء من النص يقع المشاهد أو القارئ في حيرة لا يعرف ماذا سيجري بعد من أحداث (العقدة...)»¹

1- عمر بلخير، المرجع السابق، ص 57.

➔ الباب الأول: الفصل الثاني

➔ -نظرية الأفعال الكلامية في الخطاب المسرحي الجزائري المعاصر-

نظرية الأفعال الكلامية:

1-تصنيف الأفعال الكلامية عند العرب.

2- تصنيف أوستينوسورل للأفعال الكلامية

3-الأفعال الإخبارية

4-الأفعال الأدائية الانجازية:

4-1-الفعل الإنجازي المباشر.

4-2- الفعل الانجازي غير المباشر.

5-متضمنات القول:

5-1-الافتراض المسبق.

5-2- الاستلزام الحوارية.

من ناحية أطرها. التداولية اللغوية العامة؛ فقد عنت الدراسات التداولية بأكثر من جانب من جوانب الخطاب؛ إذ يمكن تصنيف هذه الجوانب إلى ثلاث مسارات يتضمن كل منها عددا من الدراسات بتطوراتها المتلاحقة، وهذه المسارات العامة هي:

- الأفعال الكلامية.

- القصد أو المعنى التداولي.

- الإشارات، ولا يتم تحديد هذه الجوانب بدقة، إلا في الخطاب المستعمل.

الأفعال الكلامية:

لم يهمل القدماء استعمال اللغة في التراث اللغوي العربي، بل التفتوا له عبر زاويتين أولاهما: النظر إلى الاستعمال بوصفه سابقا على التنظير، فكان منطلقهم في استخراج القواعد اللغوية، وآخرهما هي إبرازهم لبعض الاستعمالات اللغوية المرتبطة بالسياق. ففي كتاب سيبويه، يرد الكثير من العناوين التي تشتمل على لفظ إعمال الأفعال، وعلى سبيل المثال، لا الحصر: "هذا باب من الفعل يستعمل في الاسم، هذا باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لا تساعدهم في الكلام، وللايجاز و الاقتصار".¹

أما الزاوية الأخرى، فقد نظر العلماء إلى استعمالات اللغة في السياق من خلال الخطابات التي ينتجها المستعملون من أجل إنجاز أعمال لا تنجز إلا في اللغة وباللغة، واهتم هذا الصنف بوصف استعمال اللغة من خلال التطبيق على نصوص عربية، ومن أبرزهم علماء اللغة، والبلاغة، والأصول، مثل الجرجاني في دلائل الإعجاز من خلال نظرية النظم، والسكاكي في مفتاح العلوم، والغزالي في المستصفى، والشاطبي في الموافقات.

وحرى بالتأكيد أن ميدان استعمال اللغة هو الخطاب، وأنه لا يتبلور الاستعمال إلا من خلال عملية قولية تسمى عملية التلطف بالخطاب؛ فالتلطف هو النشاط الرئيسي الذي يمنح استعمال اللغة طابعها التداولي، بوصفه نقطة تتحول بالممارسة الفعلية لها، مما يبلور عناصر

1- سيبويه: الكتاب، تح عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1408، ج3، ص1، 211، 105.

السياق في الخطاب: من مرسل ومرسل إليه، كما أنه يتحدد به القصد والهدف، وهذا ما نلمسه عند النحاة مثلا عند التمثيل على قواعدهم، وذلك بالإحالة على عملية التلفظ¹.

ويسهم تعريفان جني في بلورة مفهوم التلفظ ودوره، ومن الدليل على ذلك ربط فعل التلفظ بالقصد، فقد يتضح مفهوم التلفظ بالقصد، إذ يتضح مفهوم التلفظ عند تفرقه بين الكلام والقول في قوله: "أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون: الجمل، فكل لفظ مستقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام، أما القول فأصله أنه كان لفظ مثل به اللسان، تاما كان أو ناقصا، فالتام هو المفيد، أعني الجملة وما كان في معناها من نحوه، والناقص بحد ذلك، نحو زيد، فكل كلام قول، وليس كل قول كلاما هذا أصله ثم يتسع فيه، فيوضع القول مع الاعتقادات والآراء، فأما تسميتهم الاعتقادات والآراء قولاً فلأن الاعتقاد يخفي فلا يعرف إلا بالقول، أو بما يقوم مقام القول: من شاهد الحال؛ فلما كانت لا تظهر إلا بالقول سميت قولاً"².

أما عن اللفظ وتلاؤمه مع السياق، فهو ما يصطلح عليه النحويون والبلاغيون العرب، وغيرهم من الفقهاء، وعلماء الأصول بالإنشاء" والإنشاء ما اتحد قيامه بالذهن والتلفظ به زمانا ووجودا كالطلب على أقسامه، والنداء، وقسم الإنسان على نفسه، والعقود"³.

وهو الأساس الذي بنى عليها أوستين نظرية الأفعال اللغوية، ومن بعده سيرل، بوصفه ممارسة المرسل لينجز فعلا لغويا، يتلاءم مع السياق. ولكن يجب عدم الخلط بين التلفظ بوصفه النطق الصوتي الضروري لإنتاج الخطاب مع مستوى التركيب والدلالة، فهو مجرد تصويت لا يحدد سمات الخطاب التداولية، وبين اللفظ بوصفه فعلا في السياق: "التلفظ هو الذي يحدد دور الملفوظات التداولية ويسهم في بيان دلالاتها و في الكشف عن آلية التعامل اللغوي، في السياقات المختلفة؛ إذ ترتبط بسياق معين، فيصبح فيصلا في المرجعيات"⁴ ومن

1- ابن يعيش، المرجع السابق، ج1، ص18.

2- ابن جني: الخصائص، تح محمد النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1، ص33.

3- أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب، تح وتعليق مصطفى النحاس، المكتبة الأزهرية للتراث، 1417هـ، ج1، ص411.

4- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004 ص30.

ناحية أخرى، فالتلفظ هو الذي يفضي إلى تعدد الإنجازات، بل والمعاني التي يمكن أن يسندها المرسل إلى خطابه (فخطاب مثل هذا الخطاب الذي يوجهه مرسل إلى صديقه:

-الجو بارد، إذ يمكنه أن يعبر بهذا الخطاب، عن مقاصد متعددة، بالإحالة إلى سياقات التلفظ المتنوعة، فتصبح المقاصد الممكنة هي:

-أطلب منك أن تغلق النوافذ.

- أعطني رداء -أريد أن أنام طلبا للدفع.....(إلخ)¹

ومن هنا يتضح لنا دور التلفظ في السياق، وبالتالي في مفهوم الخطاب وتحديد إطاره.

- تحديد ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللغوي:

تندرج ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي، ضمن مباحث علم المعاني وهو موضوع هذا الفرع اللغوي في ذلك التراث هو: "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من معان... ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره."²

وهذا العلم يتضمن ثمانية أبواب حسب استقراء سعد الدين التفتازاني ت 792 هـ وشرح كتابيه المطول والمختصر³، وتتوقع ظاهرة الأفعال الكلامية تحديدا ضمن الظاهرة. الأسلوبية المعنوية ب"الخبر والإنشاء" وما يتعلق بها من قضايا وفروع وتطبيقات، ولذلك تعتبر "نظرية الخبر والإنشاء" عند العرب مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين.

ومن الذين أسسوا وعمقوا البحث في هذه النظرية -الخبر والإنشاء- سيبويه ت حوالي 180 هـ، وأبي نصر الفراء ت 338 هـ والقاضي الجبار المعتزلي ت 415 هـ وابن سينا ت 428 هـ، وعبد القاهر الجرجاني ت 471 هـ والقزويني ت 493 هـ، والسكاكي ت

1- المرجع نفسه، ص 31.

2- السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط و تعليق، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص 161.

3- الأبواب الثمانية هي، أحوال الإسناد الخبري، وأحوال المسند والمسند إليه، وأحوال متعلقات الفعل، والقصر، والإنشاء، والفصل والوصل، الإيجاز والإطناب والمساواة.

626هـ، والآمدّي ت 631، والإستريادي 686هـ، ومحمد بن علي الجرجاني ت 729هـ، وجمال الدين الخطيب القزويني ت 739هـ، والشريف علي بن محمد الجرجاني ت 618هـ، والتفتازاني ت 792هـ. لقد أصبح مفهوم الفعل الكلامي (speech act) نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل بأفعال قولية actes illocutoires إلى تحقيق أغراض إنجازية actes illocutoires كالطلب والأمر والوعد والوعيد... وغايات تأثيرية perlocutoires تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) ومن ثم فهو -الفعل الكلامي- فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا أي أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعا ومؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيء ما.

د. 1 أفعال الكلام عند أوستين و سيرل:

يعد أوستين من الذين أسسوا لهذه الظاهرة؛ فقد قسم الفعل الكلامي الكامل (acte de discours integral) إلى ثلاثة أفعال فرعية على النحو التالي:

أ. فعل القول أو (الفعل اللغوي) — acte locutoire، ويراد به "إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة"¹ ففعل القول يشتمل على أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات اللسانية المعهودة: المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي، ولكن أوستين يسميها أفعالا: الفعل الصوتي: وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة، وأما الفعل التركيبي فيؤلف مفردات طبقا لقواعد لغة معينة، وأما الفعل الدلالي، فهو توظيف هذه الأفعال حسب معان وإحالات محددة، فإذا ما قلنا على سبيل المثال إنما ستعصف عاصفة قوية. يمكن أن يفهم معنى الجملة، ومع ذلك لا ندري أي: إخبار بوقوع هذه الظاهرة، أم تحذير من عواقب الخروج خارج المنزل، أم أمر باتخاذ الحيطة والحذر وذلك بأخذ الأغراض اللازمة معك وأنت خارج، وبالرجوع إلى السياق لتحديد قصد المتكلم أو غرضه من الكلام يفهم المعنى الحقيقي لهذه الجملة، أي وجود قرائن تثبت لنا الغرض الحقيقي.

1-austin : quand dire c'est faire, traduction française de : gilles lane, postface de : françaiserécanati, édition du seuil. 1970. p109

ب- الفعل المتضمن في القول *acteillocutoire*

وهو ما نشعر لاحقا في تعريفه عند تطرقنا للأفعال الإنجازية.

وعن خصائص الفعل الكلام يقول أوستين أنه توجد ثلاثة خصائص للفعل الكلامي الكامل:

1- أنه فعل دال.

2- أنه فعل إنجازي (ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات).

3- أنه فعل تأثيري (أي يترك آثارا معينة في الواقع، خصوصا إذا كان فعلا ناجحا) ويقوم كل فعل كلامي على مفهوم القصدية، وتقوم مسلمة القصدية على أسس تداولية درسها فلاسفة التحليل ثم توسع في تفريعها وتعميقها التداوليون حتى غدت شبكة من المفاهيم المترابطة (مبدأ التعاقد، مبدأ الفضاء المزدوج لتمظهرات فعل اللغة، مبدأ الاستراتيجية الصريح والضمني، نمط تنظيم الخطاب)، فقد غدت قيمة تداولية، حوارية وتعد مراعاة مفهومها العام وشبكته المفاهيمية من أبرز المفاتيح المنهجية في الدراسات اللسانية النصية.

وسنشرع الآن، في الحديث عن الأقسام التي حددها أوستين لأفعاله الكلامية:

د. 2 . الأفعال الإخبارية:

وهي الأفعال اللغوية أو القولية *actes locutoire* وقد سبق أن تحدثنا عنها قبل قليل، وهي الأفعال التي نخبرنا عن حدوث شيء ما في شكل فعل لغوي يتضمن المستويات اللسانية المعهودة، المستوى الصوتي والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي.

د. 3 . أفعال أدائية:

اقترح أوستين قسماً ثانياً من العبارات إلى جانب العبارات الوصفية هو العبارات الإنجازية¹ وهي التي لا يحكمها مقياس الصدق والكذب، ويتزامن النطق بها مع تحقيق مدلولها كما أن لهذه العبارات الإنجازية شروطاً أوضحها الدارسون، ولا تتحقق إنجازيتها إلا بها² وهي:

- أن يكون الفعل فيها منتمياً إلى مجموعة الأفعال الإنجازية (وعد، سأل، قال، حذر، وجد... إلخ)، ففعل من نوع كتب درسه، أو قرأ مجلته، ليس فعلاً كلامياً لأنني لست بحاجة إلى القول أو الكتابة لتنفيذ ما يتعلق بها.

- أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلم؛ أي أنها تمثل الفردية ممن يقولها.

- أن يكون زمن دلالتها المضارع.

فغياب شرط من شروطها كفيلاً بتحويلها إلى عبارة وصفية، فهي كما نرى تجمع بين المستويين النحوي والمعجمي.

فالفعل الإنجازي يتميز عن الفعل الإخباري بكونه عاكساً للآثار التي ينجزها كلامنا، وهو فعل دقيق للغاية، إلى جانب أن هذه الأفعال -الإنجازية- تنقسم إلى نوعين:

-إنجازية صريحة، مباشرة، فعلها الظاهر (أمر، حضّ، دعاء، نهي) بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم.

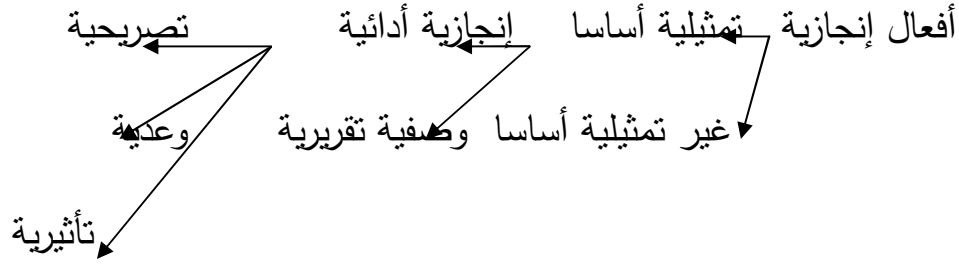
-إنجازية ضمنية، غير مباشرة فعلها غير ظاهر نحو: العمل مفيد - أقول العمل مفيد أي أمرك أن تعمل.

وتتضح لنا أشكال الفعل الإنجازي في الترسيمية التالية³ أي عند أوستين:

1- الوصفية، الإخبارية التقريرية، الإثباتية مقابلة لـ constatifs والإنجازية، والأدائية، الإنشائية مقابلة لـ performatifs.

2- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية مرجع سابق، ص 19.

3-d.maingueneau :pragmatique pour le discours litteraire,collection lettre,sup,dunol,paris,France.1997.p10



فالفعل الإنجازي يحصل بالتعبير عن القصد أي قصد المتكلم من أدائه، كأن يعد، يُخبر، يندُر ويشمل الجانب التبليغي والجانب التطبيقي. أما الفعل التأثيري فهو استلزامي perlocutoire، يحصل حين يغير الفعل الإنجازي من حال المتلقي بالتأثير عليه كأن يجعله ينفعل.... ويتوفر كل فعل من هذه الأفعال على قوة إنجازية (تفترض تزامنا تاما بين موضوع الملفوضة، والمتلفظ)¹.

واستنادا إلى مفهوم القوة الإنجازية ميّز أوستين بين خمسة أنواع للأفعال الكلامية²

- الأفعال الحكمية (الإقرارية verdictifs: حكم، وعد، وصف)
- الأفعال التمرسية exersitifs إصدار قرار لصلح أو ضد... طلب، أمر
- أفعال التكليف ← الوعدية. comessitifs: تلزم المتكلم : وعد، تمنّي، التزام، قسم.....

- الأفعال العرضية -التعبيرية- expositifs: عرض مفاهيم منفصلة (إنكار، تأكيد، إجابة....)

- أفعال السلوكات (الإخباريات) comportementausc: ردود أفعال تعبيرات تجاه السلوك، اعتذار، تهنئة، ترحيب).

هذا عن أفعال الكلمة-بصفة مختصرة - عند أوستين.

أما عن سورل فهي:

2- d.maingueneau,pragmatique pour le discours litteraire,p 6

2- فرنسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، مرجع سابق، ص62.

لقد أعاد سورل تقسيم الأفعال الكلامية وميّز بين أربعة أقسام¹:

- فعل التلفظ الصوتي والتركيبى.

- الفعل القضوي (الإحاليوالجملي).

- الفعل الإنجازي (على نحو ما فعل أوستين).

- الفعل التأثري (على نحو ما فعل أوستين).

ولكنه سرعان ما أعاد اقتراح خمسة أصناف لها.²

- الإخبار assersifs (كأن تبليغ خبرا وهي تمثيل للواقع وتسمّى كذلك بالتأكيدات، الأفعال الحكيمة.

- الأوامر : directifs (تحمل المخاطب على فعل معيّن)

- الإلتزامية: commissifs (أفعال التعهد، وهي أفعال التكليف عند أوستين ؛حين يلتزم المتكلم بفعل شيء ما.

- التصريحات: escpressifs وهي الأفعال التمرسية عند أوستين،وتعبر عن حالة، مع شروط صدقها.

- الإنجازيات déclarations (الأداءات):تكون حين التلفظ ذاته كما أنه وضع اثني عشر مقياسا لنجاح الفعل الإنجازي، منها:

1-j.rsearl :les actes de langage, essair de philosophicdu language, collection.savoir.lecture.herman, paris, France, 1996 nouveau tirage, p60.
2 searl ,les actes de langage.p62.

غاية الفعل، توجيهه، حالته السيكلوجية¹ وسمّاها شروط النجاح ، ووسّع مفهوم الفعل الإنجازي ليتجاوز ارتباطه بالمتكلم إلى العرف الاجتماعي اللغوي، وجعل للقوة الإنجازية أدلة عليها: (تقديم، تأخير، تنعيم، علامات الترقيم) إلى جانب أوستين وسورل، تناول فكرة أفعال الكلام، عدد من اللسانيين ومنهم:

أوزوالديكرو؛ الذي ذكر شروط الإنجازية، قائلا: "تكون جملة ما إنجازية إذا أمكن بعض من ملفوظاتها أن يكون كذلك، ويكون فعل ما إنجازيا إذا أمكنه صياغة الفعل المحوري لجملة إنجازية".²

وفي كتابه (القول واللاقول) DIR ET NE PAS DIR حدّد نوعا من الأفعال سمّاها أفعال الرأي وهي: "ما يتعلّق بالمتكلم، ويسمع به السامع يقينا، مثل: فكر، علم، تيقن، أعتق تخيل، شك، جهل، تعلم".³، وهي ما يعرف بأفعال الشك والرجحان واليقين في العربية. ولكن أوزوالديكرو يجعل استعمال هذه الأفعال مشروطا بأمرين: الأول: (أن تسند إلى ضمير المتكلم في المضارع، والثاني أن ترتبط بمسائل خاصة تتعلق بافتراض حقيقتها وعدمه).⁴ وبعد ذلك ميّز أفعال الرأي عن قسم آخر من الأفعال يسمّى أفعال الحجاج (التي تختلف عنها في أنها لا تمثل رأيا لشخص ولكن تعني الافتراضات المسبقة للرأي، نحو: برهن، بيّن، فنّد).⁵

أما عن ديتر ووريكاناتي، فقد انتقدا أوستين في بعض أقسام الأفعال، إلى جانب (بنفست) و(سورل) وغيرهما، واقترحا أربعة أقسام فقط هي:

-أفعال إدراكية.

-أفعال قوة الإنجاز.

1- فرنسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص63.

2- A CULLIOLI (RESPONSABLE) LABORATOINE DE LINGUISTIQUE, FORMELLE, Equipe de recherche. associé au cnrs, collection. era642, acte de langage et théorie de l'énonciation :département de recherche linguistique drl, université paris VII, France ,1985, p36.

3-oswaldducrot :dire et ne pas dire (pricipes de sémantique linguistique collection. Savoir, herman, 3ème. ed. paris, France, octobre. 1991 , p266.

4-cullioli, p 269.

5-ibid, p 267.

- أفعال قوة الإدراك.

- أفعال إنجازية.

إذا كان سيرل يقر تقسيما لأفعال اللغة والكلام، إلى أفعال تقريرية أو واصفة، وأفعال أخرى إنجازية، فإنه في الوقت نفسه، يرى أن كل قسم من قسمي الأفعال، قد تقترن فيه دلالة العبارة الظاهرة بدلالة أخرى خفية، أو غير ناطقة بصريح المعنى، معتبرا النوع الأول أفعالا لغوية مباشرة، في حين يمثل النوع الثاني بالنسبة إليه أفعالا لغوية غير مباشرة¹.

فالأفعال الإنجازية هي التي يقترن فيها المضمون بالأداء، أو هو ما نقول به على سبيل التحقيق الفعلي، أثناء تأديتنا لعملية التمهيد اللغوية².

وقد تظهر الأفعال الإنجازية في صورتين:

- الاستفهام: وهو في الأصل نوع من الطلب، يتعلق بحالة معينة للمتكلم (الجهل يأمر بطلب تحصيل العلم به)... ولكن اعتبار الأفعال الإنجازية أفعالا مباشرة، إذا كان القصد طلب معرفة على ما يخفي على وجه الحقيقة، الأمر الذي يترتب عنه انتظار الجواب تحقيقا أو تقديرا، كطرح الغاز محيرة تحتاج إلى إجابة عنها من غير معين؛ أما إذا كان التساؤل من المنشئ عن غير جهل حقيقي، فإن صيغة الإستفهام تخفي وراءها دلالة ضامرة ومعنى لا يباح به، بل يكفي بمجرد التلميح إليه، وهو معنى الحيرة مثلا التي تحمل بدورها في طياتها ألم الإحساس بالمرارة وفي اختيار هذا الفعل الكلامي الانجازي بالتحديد، مناسبة للموقف الثقيل، سواء في الوصف أو التعبير عما ينعكس في النفس مثلا. كما يمكن حمل هذه الأفعال لإنجازية على محمل الأفعال الإخبارية أي بأن تخرج من تحت الإطار التصنيفي الطبيعي للصيغة، إلى مجال طارئ، لا تقوله العبارة، وإنما نقف عليه في أحد وجوه التأويل، إنه انتقال للدلالة من طلب الفهم إلى النفي، الذي يتضمن حكما لا بثبوت نسبة معينة، بل بانتفاءها.

1-dominquemaingueneau, pragmatique pour le discours littéraire édition. Nathan université, paris, 2001, p 6 et 7

2- فرونسواز أرمينكو، المرجع السابق، ص 61.

إن المنشئ ينطلق من مقابلة افتراضية، يكلم سامعيه، ثم يتصور ردات أفعالهم، ومواقفهم، ميولاتهم، وعواطفهم، فيبني منها تساؤلات متحققة من باب الفرض، ثم يجيب بما يوائم الطرف وحال المخاطبين، باعتبار كل تلفظ جوابا عن سؤال مقدر أو مضمر، انطلاقا من أهم مبادئ التداولية الحوارية، وهي تداولية تبنى على قاعدة أنه لا ينبغي أن يستقل فيها المتكلم، بوصفه طرفا مهما، وأن ينطلق فيها بما يشكله هو نفسه عن المخاطب أو المتلقي من رأى وتصورات، بل لابد أن يكون المنطلق إندماجا لإثنين معاً، في عملية متشابكة، يقتضي أحد عناصرها حضور الآخر.

د.2. الأفعال الإخبارية:

أما إذا ما انتقلنا إلى إحصاء الأفعال الإخبارية والتي هدفها "تزويد المخاطب بالمعلومات التي لم تسبق له معرفتها"¹، أي إخبار السامع الذي يجهل الخبر الذي بلغ به، وبذلك إفادة المخاطب أو السامع بخبر كان يجهله ولم تكن لديه أدنى فكرة مسبقة عنه وهذا ما يدخل فيما يسمّى بفائدة الخبر وهي إحدى أغراض الخبر التي تكون وفق مقتضى الظاهر.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الجملة الخبرية تحتاج إلى مؤكّدات أو شروح، وذلك قصد إزالة التردّد أو الشك من نفس المخاطب، والحروف التي تؤكد لنا الكلام إن، أن، لكن، كأن... إلخ والتي سنتطرق لها أثناء عرضنا لأهم وأبرز الأفعال الإخبارية في مسرحياتنا؛ فالمؤكّدات اللغوية هي أدوات ربط وأدوات معنوية في وقت واحد، كما تجدر بنا الإشارة إلى أن مؤكّدات الجملة الخبرية تتعلق بقصد المتكلم مع مراعاة المقام والحال؛ ولكن استعمال هذه المؤكّدات - من طرف المتكلم - تحكمه شروط "وهذا ما يجعل اللغة في بنية كلامه غير إشارية و لا اعتباطية"² فالمؤكّدات تضي على الجملة الخبرية جمالية خاصة من خلال تنوعها وكثرتها.

ومن المؤكّدات التي استعملت في مسرحياتنا لتوكيد الخبر نجد:

durcrot, dire et ne pas dire p02-1

2- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1985، ص 39، 108.

إنّ وأنّ وأن؛ إذ يعدّ إنّ رأس حروف النواسخ التي تختص بالجملة الإسمية ولقد وقف عنده الكثير من الدارسين منهم عبد القاهر الجرجاني¹ ونجد ذلك في قول أبي نواس:

عليك باليأس من النَّاسِ إنَّغنى نفسك باليأس

تقول عرفية: "...إننا لا نمشي إلاّ ليلاً"²

تقول عرفية: "إنّه هو سليم...."³

سليم: "...بأنه منكم في أكل شيء يوجد في يديه"⁴

سليم: "إنّ اللعبة هي التي تطلب هذا"⁵

فعرفية تؤكد لنا بقولها أنّ المشي لا يكون إلا ليلاً، فحرف التوكيد إنّ، أكد لنا هذا الأمر كما تؤكد بأن سليم هو الشخص المعني،... ونجد في الفصل الأول من الموقف الأول من مسرحية بوحديّة، بوحديّة: "إنّ الله لا ينظر لصوركم"⁶، فهو يؤكّد لنا بقوله هذا أنّ الله سبحانه وتعالى لا ينظر لصور الناس، بل ينظر لأفعالهم

ومن مسرحية انتحار كاتب نجد:

الكاتب مؤكداً: "أکید أنّ النّص سيعجبك كثيراً، بل ستنتبهر بكما"⁷، فالجملة الخبرية مؤكدة بعدة مؤكّدات منها: اللفظ أكيد، والحرف أنّ والسين، فالكاتب يؤكّد بأنّ النّص سيلقى الإعجاب و الانبهار.

ونجد أيضاً:

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز تحقيق كاظم محمد المرجان، دار الرشيد للنشر، 1986، ص322.
2- محمد ديب، ألف مرعى لمتنولة، ترجمة جروة علاوة وهيبي، تقديم عز الدين المناصرة دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، ط1، 2007، الترنيمة الأولى، ص. 11.
3- المصدر نفسه، ص 12.
4- المصدر نفسه ص14.
5- المصدر نفسه ص16.
6- محمد التوري: مسرحية بوحديّة منشورات المعهد الوطني العالي للفنون المسرحية برج الكيفان، الجزائر، دراسات و نصوص من المسرح الجزائري العدد الأول جويلية، 2000، الفصل الأول، الموقف الأول، ص59.
7- علي ناصر انتحار كاتب، من نصوص الكاكي الذهبي، محافظة المهرجان الوطني القومي لمسرح الهواة، مستغانم دار النشر فيبيسرا، 2011، ص 110.

الكاتب: "...إنّ هذا النصّ من أروع ما أبدع عباقرة الدراما منذ عصر سوفوكليس...إنّه عصارة الإبداع الإنساني"¹

ويقول أيضا :

الكاتب: "...أنتك ستنبهر بعبقريتي...."²

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ (أنّ) تعد فرعا من فروع إنّ يقول ابن هشام "أنّ - تكون حرف توكيد تنصب الاسم وترفع الخبر، والأصح أنها فرع عن إنّ المكسورة"³

ونجد في الفصل الخامس، المشهد الأول من مسرحية فجر وأفول نورجايعلاش من نصوص الكاكي الذهبي :

الغريب "... إنّه يوم النصر، إنّه يوم النصر، إنّه فجر العبيد، إنّه فجر العبيد".⁴

تأكيد بالحرف إنّ وبتكرار جملة يوم النصر وفجر العبيد.

ونجد في موضع آخر التأكيد باستعمال أنّ وهي مخففة عن إنّ الغريب "... قبل أن تفرحوا بمصرعنا..."⁵؛ فقد خففت أنّ بحذف النون منها: فتصبح أنّ ولكن يبقى لها العمل والتوكيد. وسنتطرق الآن لباقي المؤكّدات الأخرى وهي: كأنّ، لكن، قد، القسم، السين وسوف لنبيّن مدى فعاليتها في مسرحياتنا والبعد الجمالي الذي أضفته عليها.

سليم "... وقد أدخل رأسه بين كتفيه...."⁶.

سليم "... سوف يقدمون لي أكلا قد يمزق مصا ريني".⁷

1 - انتحار كاتب، المصدر السابق، ص 110.

2 - المصدر نفسه، ص 110.

3 - ابن هشام؛ مغني اللبيب تحقيق د. مازن المبارك.

4 - نورجايعلاش، فجر وأفول، من نصوص الكاكي الذهبي مصدر سابق، ص 263.

5 - محمد ديب ألف مرعى لمتسولة الترنيمة الأولى، ص 14.

6 - المصدر نفسه، ص 14.

7 - المصدر نفسه، ص 16.

سليم: ".....أظن أنني كنت سأفلق كثيرا".¹

سليم: "لكنني هربت بمفردي.....".²

باسل: "احم، اللعنة، النهار سوف ييزغ الفجر.....ص".³

سليم: ".....سأصبح جثة مجمدة".⁴

سليم: "لقد مشينا كثيرا هذه الليلة، ألا ترين لقد مشينا كثيرا".⁵

عرفية: "نحن الاثنين سوف نسير في الطريق الفرنسي".⁶

باسل: ".....سوف ترى ماذا ستفعل عندما تشعر بالرغبة في قضاء حاجتك".⁷

ومن الترنيمة الثانية من نفس المسرحية نجد:

باباناغ: "قد يصلهم كلامك.....".⁸

وسيم: "لقد قاومت في مليلة".⁹

باسل: "سنجد المخبأ لاتحمل همًا".¹⁰

سليم: "لنهرب ، سوف تخطف عيوننا، سوف تمتص دماغنا، سوف تأكلنا أحياء".¹¹

باباناغ: "سأفعل سأخونك".¹²

1- محمد ديب، المصدر السابق، ص 16.

2 - المرجع نفسه، ص16.

3 - محمد ديب المصدر السابق، ص18.

4 - المصدر نفسه، ص 19.

5 - المصدر نفسه، ص 20.

6 - المصدر نفسه، ص 22.

7 - المصدر نفسه، ص 22.

8 - المصدر نفسه، الترنيمة الثانية، ص28.

9 - المصدر نفسه، ص29.

10 - المصدر نفسه، الترنيمة الثالثة، ص43.

11 - محمد ديب، المصدر السابق، ص45.

12 - المصدر نفسه، ص55.

وسيم: "صديقاى...صديقاى العزيزان،ليس هنا فقط،بل سأخص باستقبال من طرف السيد...."¹

وسيم: ".... سوف أصدمه...."²

الرجل الثاني: "إنه يفتحه، سوف يخرج كل من الدار إنّه الوقت المناسب للإنسحاب"³.

لقد أحصينا بعض المؤكّدات الموجودة في مسرحية محمد ديب ألف مرعى لمتسولة، ولاحظنا مدى تنوعها وتأثيرها في هذه الجمل الإخبارية ومن بين هذه المؤكّدات الحرف (قد)، هذا الأخير الذي له معان خمسة من أبرزها توكيد الماضي⁴؛ فقد أكد لنا الكاتب بأنّ سليم قد ادخل رأسه بين كتفيه باستعمال قد+الفعل أدخل، كما أكد لنا بالحرف قد قول سليم وتأكيده على المشي ليلا : لقد مشينا=قد+الفعل الماضي مشينا، ومن التأكيد بقد +الفعل الماضي: تأكيد وسيم على المقاومة في مليلة (لقد قاومت)، إضافة إلى قول باباناغ: لقد تركت فهو تأكيد وتوكيد لحصول الفعل في الماضي في قوله تعالى: "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا". فدخل قد على الماضي تفيد تحقيق معناه.

أما إذا ما انتقلنا إلى التوكيد (بقد) +الفعل المضارع فنجد:

سليم: ".....قد يمزق مصاريني "⁶، فقد أفادت تقليل وقوع التمزيق "إن دخلت على المضارع أفادت تقليل وقوعه، نحو: قد يصدق الكذب. وقد يوجد البخيل "⁷ ، وكما أنّ قد مع الفعل المضارع تعبّر لنا عن المستقبل التجديدي "وهذه الصيغة التركيبية للتعبير عن المستقبل التجديدي ولها معان أخرى يقتضيها السياق "⁸ ومن النماذج المشتملة على قد +فعل مضارع مضارع نجد:

- 1 محمد ديب، المصدر السابق ، ص56.
- 2 - محمد ديب، ألف مرعى لمتسولة الترنيمة الثالثة، ص71.
- 3 - المصدر نفسه، ص76.
- 4 - مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1968، 2، الباب الثاني ، ص311، 310.
- 5 سورة الشمس، الآية 9_10.
- 6 - محمد ديب ، المصدر السابق، الترنيمة الأولى، ص14.
- 7 - مصطفى الغلاييني، المصدر السابق، الجزء الثالث، الباب 12 ص212.
- 8 - مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص 100.

شديد: "لقد أقسمت لجدنا ولزعيمننا نبال"¹، فهو تأكيد يعبر عن المستقبل التجديدي ومنه أيضا نجد:

سراب: "لقد أتيت إلى هنا"²، إذ جاءت هذه النماذج على النمط الآتي: قد+فعل مضارع، فتارة كانت للتقليل أي لتقليل وقوع الفعل وتارة للتعبير عن المستقبل التجديدي.

وقد تأتي قد كذلك على النمط التالي:

قد+كان+فعل ومنه نجد:

الرّوجة: "لقد كان وزنه... يجب عليكم أن تقبلوا"³، وبهذه التركيبية تكون: قد+كان+يفعل للدلالة على وقوع الحدث في الزمان الماضي المتجدد "فقد يأتي بناء (يفعل) ونحوه مسبقا ب كان للدلالة على أن الحديث كان مستمرا في زمان ماض، ومجيء كان إلى جوار الفعل يؤلف مركبا يؤدي هذه الفائدة ومثل كان سائر الأفعال التي تتصل بزمان معين نحو ظلّ وأصبح وأضحى وأمسى ويات وكاد ولازال"⁴، فإنّ لزمن وظيفة في السياق لا ترتبط بصيغة معينة دائما، إذ أنّ الجملة الفعلية المؤكدة يبقى فعلها على معناه الزمني الصرفي، ولكن الذي طرأ عليها هو فقط دخول أدوات التوكيد.

وقد جاءت قد على النمط الآتي:

قد+فعل+مفعول به ظاهر+فاعل ومنه نجد:

شديد: قد قتل الكثير منا.⁵

شديد: لقد تغير جدنا.⁶ فهذا القول جاء على النمط الآتي:

قد+فعل+فاعل ومن النمط الآتي: قد+فعل+فاعل.

1 - نور جايعلّاش، فجر وأقول، الفصل الثاني المشهد الرابع، ص 179.

2 - المصدر نفسه، ص 179.

3 - انتحار كاتب، المشهد الأخير، ص 136.

4 - إبراهيم السامرائي: الفعل زمانه وأبنيته، مطبعة العارفي، بغداد، 1966، ص 33_34.

5 - فجر وأقول، الفصل الثاني، المشهد الأول، ص 169.

6 - المصدر نفسه المشهد 4، ص 177.

مدير المسرح: "لقد شوقتني بكلامك".¹

الطبيب النفسي: "لقد أخبروني بذلك"²

شديد: "لقد سئمت من حديثك".³

شديد: "فلقد أقسمت لجدنا".⁴

سراب: "لقد أتيت إلى هنا".⁵

وسنتطرق الآن إلى كآن ولكن فمن النماذج المشتملة عليهما نجد:

سليم: "لكنني هربت بمفردي".

الشخص 4: " وكأنه يخالي فيه لكنّ الشيخ إبراهيم يسمع من ورائهم".

جامس: "..... خرابطة يتوجّه نحوه وكأنه بريء من كلّ شيء...يحاول الدخول...

لكنّ الشيخ المحفوظ يعارض له الطريق"

الهامل: "يريد أن يصفع المحفوظ لكنّ هذا الأخير يتحذر ويهرب من الخطر".⁶

خرابطة: "مفكّرا وكأنّه في حلم كبير".⁷

خوخة: "وكانها تخالي في حمدي".⁸

المحفوظ: "...لكنّ الممرض يتعرّض له".⁹

1 -انتحار كاتب المشهد الأول ص 110.

2 - انتحار كاتب ،المشهد5، ص 132.

3 - فجر وأقول، الفصل الثاني، المشهد الأول، ص 172.

4 - المصدر نفسه، المشهد 4 ، ص178.

5 - المصدر نفسه، الفصل 3، المشهد الأول، ص196.

6 - مسرحية ناس الحومة ، الفصل الثاني، اللوحة الأولى، ص109.

7 - المصدر نفسه، ص122.

8 - المصدر نفسه، اللوحة الثانية، ص129.

9 - المصدر نفسه ، ص131.

الكاتب: "ولكنهم كانوا دائماً يحدون عن الخط...."¹.

الكاتب: "ولكن مصيرهم كان محتماً".²

الطبيب النفسي: "ولكنها ماذا؟...."³

الصحفي: "1" ولكنه سيقتل...."⁴.

"إنّ الأداة كأنّ تشتمل على التشبيه المؤكد؛ فالشخص الرابع تصرف بحركاته وكأته يخالي الشيخ إبراهيم واضعاً يده على أذنه، كما أنّ جامس يخبرنا بأنّ خرابطة يمشي ويتوجّه نحوه وكأته بريء من كلّ أفعاله، كما تظاهر خرابطة وهو يفكر وكأته في حلم كبير، فأداة التشبيه كأنّ مركبة من الكاف وأنّ وبذلك تصبح متضمنة للحرف أنّ"⁵، وبذلك كان لكأنّ بعداً جمالياً، إذ لم تعدّ مجرد أداة ربط وتشبيه فقط.

أما عن لكتفانها أداة تستعمل لتوكيد الجمل ، وقيل هي مثل إنّ للتوكيد وذلك في مثل قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ"⁶، لقد تطرّق لـ "لكنّ" كل من البصريين والكوفيين: إذ يرى البصريون أنها مركبة من لكن + أنّ وطرحت الهمزة للتخفيف ونون لكنّ للساكنين على خلاف الكوفيين فهم يرون أنّها مركبة من (لا) وإنّ، أما الكاف فزائدة، وليست للتشبيه وحذفت الهمزة تخفيفاً"⁷. ولكن يبقى لها التوكيد.

أما (السين) و(سوف) فهما مختصان بالفعل المضارع وتفيدان التوكيد في استعمالهما للوعد والوعيد وهما من أحرف الاستقبال " فهما تختصان بالمضارع وتمحضانه الاستقبال"⁸، الاستقبال"⁸، ولكن سوف أطول زماناً من السين وقد أحصينا بعض النماذج المشتملة على السين وسوف من مسرحية ألف مرحى لمتسولة، والآن سنشرف في إحصاء بعض النماذج

1 - انتحار كاتب ، المشهد الخامس ص128.

2 - المصدر نفسه ، ص129 .

3- المصدر نفسه ، ص131.

4 - انتحار كاتب ، المشهد الأخير، ص137.

5 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية لبنان 2001، ج4، ص337.

6 - سورة يونس الآية 60

7 - ابن هشام، مغني اللبيب ، ص383،384.

8 - مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية ج3 الباب 12، ص210.

من مسرحيات كلِّ منَّ محمد التوري، الكاكي الذهبي، والمشملة على السين وسوف فنجد مثلا:

الكاتب: "أظن أنني سأنتهي قريبا تلك المسرحية"¹، فالجملة مؤكدة ب(إنّ)والسين؛ فالسين حرف استقبال وتنفيس، فقد نقلت الفعل المضارع (أنهي) من الزمان الضيق، وهو الحال إلى الزمان الواسع وهو المستقبل، فالكاتب يؤكد بكلامه هذا، أنه سينتهي قريبا كتابة مسرحيته. وكذلك الشأن بالنسبة للنماذج التالية:

الكاتب: "مؤكدًا،" أكد أن النص سيعجبك كثيرا بل ستبهر"²، فالجملة مؤكدة باللفظ (أكد)وب (إنّ) وفي الأخير ب(السين)، هذا الأخير الذي يؤكد أن النص في المستقبل سيعجب وسيبهر المتلقي وكذلك نجد:

الكاتب: ".....والبقية ستأتي....ستبهر بعقريتي"³.

الكاتب مواصلا: "...ذلك اليوم الذي ستعرض فيه المسرحية....سيكون يوما له ما بعده....سيكون يوما مشهوداسيكون أطول يوم في حياة البائسين"⁴، التأكيد بالسين أضاف على الكلام جمالا فنيا رائعا وتشويقا لما سيكون في المستقبل، ليعرض المسرحية في المسرح، ذلك اليوم الموعود والمشهود الذي ينتظره الكاتب، والذي أكده لنا مرارا بتكرار السين في كل مرة.

ولا يزال الكاتب يتطلع إلى المستقبل بنقل أفعاله من الزمان الحاضر إلى الزمان المستقبل من خلال ربط السين بأفعاله المضارعة المعبرة عن حبه في الانتقال من زمن إلى آخر ومن عمل إلى آخر فنجده يقول:

الكاتب: "...سوف لن اكتب مستقبلا....سأبحث لي عن هواية أخرى سأمتهن التعليم أو التجارة"⁵، فنجد الكاتب هنا، يبدأ في انتقاله ولكن هذه المرة باستعمال(سوف)، فهو في باب

1 - انتحار كاتب المشهد الأول، ص109.

2 - المصدر نفسه، ص110.

3 - المصدر نفسه، ص110.

4 - المصدر نفسه، ص110.

5 - انتحار كاتب، المصدر السابق، ص118.

الوعد، فهو يعد الناس بأنه لن يكتب مجدداً، ولكن بعد زمن طويل فكما قلنا سابقا سوف أطول زمانا من السين، ثم ستطرد مرة أخرى ولكن هذه المرة باستعمال السين، ومن الشواهد أيضا، والمتضمنة السين نجد:

الكاتب: "...ورغم ذلك فإنني سأذكر هذا في التحقيق...."¹

شبح المرأة: "سأعود هذا المساء، كن متأكدا من أنني سأجعلك تجن".²، فقد اقترنت السين بالفعلين المضارعين (أذكر) و(أعود) للدلالة على الانتقال من الزمن الحاضر إلى الزمن المستقبل.

ومن المشهد السادس نجد:

المرأة الشبح ساخرة: "سأجعلك تجن أكثر فأكثر...."³

المرأة الشبح ساخرة: "إذن سأبعث بك إلى مستشفى المجانين، سأعود كل ليلة من اليوم... سأزورك لأطمئن عليك".⁴

الكاتب: "...سأقتلكم كلكم.... سأقتلكم كلكم".⁵

ومن المشهد الأخير نجد:

الصحفي 2: "سيدي سنتشرف كثيرا بأخذ الصور معك..."⁶

الزوجة: "لقد أسر لي بأنه سيكتب آخر نص...."⁷

الصحفي 1: "ولكنه سيقتل...."⁸

1 - انتحار كاتب، المصدر السابق، المشهد الرابع، ص126.

2 - المصدر نفسه، ص126.

3 - المصدر نفسه، المشهد السادس، ص134.

4 - المصدر نفسه، ص134.

5 - المصدر نفسه، ص135.

6 - انتحار كاتب المشهد الأخير، ص136

7 - المصدر نفسه، ص136

8 - المصدر نفسه، ص137

لقد احتوت النماذج مؤكدات كثيرة كان الأكثر منها شيوخا هو قد والسين وكلاهما له الدلالة الواضحة والأثر البالغ في تأكيد المعنى من خلال تحقيقه ونقله من زمن لآخر أو تقليل حدوثه تارة أخرى وذلك من خلال مع أدته قد بارتباطها مع الزمن الماضي.

أما إذا ما انتقلنا إلى مسرحية فجر وأقول لنورجايعلّاش وحاولنا إحصاء مدى احتوائها على المؤكدات فسنجدها على الأغلب مشتملة على السين المرتبطة بالفعل المضارع والدالة على الانتقال من الزمن الحاضر إلى الزمن المستقبل فسنجد ما يلي:

الغريب: "...سألحق بك عن قريب هذا ما قاله سراب".¹

الغريب: "...سيأتي يوم تحضنك فيه الحبال... فصبر الضعفاء سينفذ عن قريب".²

الغريب: "تري من أين ستظهر علينا يا سراب".³

سيدرماد: "...وهذا المجرم سيلقى عذابه".⁴

سيدرماد: "جزاؤهم الموت سأذبحه...".⁵

سراب: ".....بالطبع سأفعل وستقي نفسك من تجسس الجان وغدرهم".⁶

سراب: ".....سيكون الطريق شاقا...".⁷

الغريب: ".....سنحرر العبيد سأبذل ما بوسعي من أجل ذلك".⁸

1 - فجر وأقول الفصل الأول، المشهد الأول، ص145

2 - فجر وأقول الفصل الأول، المشهد الأول، ص146

3 - المصدر نفسه، ص146

4 - المصدر نفسه، المشهد الثاني، ص148

5 - المصدر نفسه، ص148

6 - المصدر نفسه، المشهد الثالث، ص152

7 - انتحار كاتب، المصدر السابق، ص153.

8 - المصدر نفسه، ص153.

سراب: "...اليوم سأقص عليك قصة هذه القلائد سأرويلكي حكاية النبي المنسي اليوم ستتعلم كيف قتل أبويك".¹

وقد اشتملت باقي الفصول والمشاهد على الكثير من النماذج المشتمة على المؤكد السين +فعل مضارع وكلها دالة على الانتقال من الحاضر إلى المستقبل القريب.

و سننتقل الآن إلى مؤكد آخر من المؤكدات ألا وهو القسم هذا الأخير الذي يقع بألفاظ عديدة، ويشتمل على جملة القسم وجملة جواب القسم وكنتاها يحاول المتكلم من خلالهما أن يؤكد خبره الذي سينقله لمتلقيه، أو سامعه. إذ " للقسم حروف هي الواو والتاء والباء".²، وقبل الشروع في إحصاء النماذج المشتمة على القسم، يجب أولاً ذكرها يختص به كل حرف، فالواو مثلاً اختصت بجواز حذف الفعل معها كقولنا مثلاً: والله إنّه لصادق بدلاً من أقسم والله إنّه لصادق.

أما (الباء) فهي عكس (الواو) يذكر فعل القسم معها ويندر حذفه، أما التاء فلا يذكر فعل القسم معها كقولنا مثلاً: تالله كما تجدر الإشارة هنا إلى أنّ جملة القسم من الإنشاء غير الطلبي "ولكنها جملة تؤكد القسم مع جعلها تأخذ اسمه"³، ومن النماذج المشتمة على القسم نجد:

زعيط: "والله ماراك عارف، راك غير تخريش"⁴

معيط: من بعيد: "والله ماراهم سراق".⁵

الملاكم: "والله يالو كان ما جيتش شايب.....نجيبك كاو...".⁶

عبد الرحمان: ".....والله ما تريحوها، ولاستعدوا، عليكم دعاوي الشر"⁷

1 - انتحار كاتب، المصدر السابق، ص155.

2 - الزمخشري، الكشاف، ج4، ص108، 107.

3 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص51، 45.

4 - زعيط ومعيط ونقاز الحيط الفصل الأول، ص40.

5 - المصدر نفسه، ص40.

6 - بوحديبة، الفصل الثالث الموقف الخامس، ص93.

7 - المصدر نفسه، ص96.

خرابطة: "... والله يا مصرانك نجبدهم لك" ¹

الشيخ إبراهيم: "والله ماني طالقك حتى اتقر" ²

الشيخ إبراهيم: "...والله من دوم ترجعي من الجامع وانفهمك" ³

الفيجيتيف: " والله ما انطرحهاه...." ⁴

الفيجيتيف: "والله غير القيتها" ⁵

عبد القادر: "والله العظيم...انتوما أعملوا رايكم وأنا نعمل رأيي...." ⁶

الشيخ إبراهيم: "والله إلا حالة فيهم....حتى من الماء ماكانش" ⁷

خرابطة: "والله ماجيتشخايف على أمي انخليها وحدها" ⁸

لقد كان القسم في النماذج السابقة بالحرف الواو، وهي الأصل في القسم ، ولقد حذف منها كما رأينا فعل القسم ، وقد جاءت الجمل القسمية على أنماط مختلفة منها:

. النمط الأول:

والله+ما النافية+.

"والله مارك عارف" ⁹

"والله ماراهم سراق" ¹⁰

1 - ناس الحومة الفصل الأول اللوحة الأولى ،ص16.

2 - المصدر نفسه، ص18.

3 - المصدر نفسه، ص44.

4 - المصدر نفسه اللوحة الثانية، ص61.

5 - المصدر نفسه، ص61.

6 - المصدر نفسه اللوحة الرابعة، ص92.

7 - ناس الحومة الفصل الثاني اللوحة الثانية، ص130.

8 - المصدر نفسه اللوحة الرابعة، ص145.

9 محمد التوري ، ز عيط ومعيط ونقاز الحيط، الفصل الأول ، ص40.

10 - المصدر نفسه، ص40.

النمط الثاني:

والله+ما النافية+فعل مضارع+فاعل ضمير.ومنه نجد:

عبد الرحمان: " والله ما تريحوها...."¹

الفيجيتيف: " والله ما انطرحها"²

خراطة: " والله ما جيتشخايف على أمي"³

فمن خلال النمطين السابقين نجد أنّ المتكلم قد حاول تأكيد الخبر لمخاطبه بواو القسم وهذا ينتمي إلى الخبر الإنكاري حيث أنّه إذا المخاطب منكرا للحكم الذي أطلقه المتكلم، معتقداً خلفه، فحينئذ يجب على المتكلم تأكيد الخبر للمخاطب بمؤكد أو بمؤكدين أو أكثر، حسب درجة إنكار المخاطب للحكم قوة وضعفاً⁴ والآن سنخرج إلى الخبر الجاري على خلاف مقتضى ظاهر حال المخاطب؛ إذ قد تقتضي الأحوال و المقامات العزول عن مقتضى ظاهر حال المخاطب، فالكلام يلقي لاعتبارات يلحظها المتكلم فتخرج بذلك الأخبار - عن ما لاحظناه سابقاً - على خلاف ما هو ظاهر لحال المخاطب ومن أهم الصور الممكنة لخروج الخبر على خلاف مقتضى ظاهر الحال ؛ أي حال المخاطب نجد:

1. تنزيل العالم بفائدة الخبر⁵، أو لازمها، أو بهما معا منزلة الجاهل بذلك لعدم جريه على موجب علمه، فيلقى إليه الخبر كما يلقي على الجاهل به.....ومن النماذج المشتملة على ذلك نجد:

سليمة: " الجنة تحت أقدام الأمهات"⁶، فقد ألقى هذا الكلام لمن يعلم قيمة الأم والمرأة بصفة عامة وهي (غالية)، فهي تعلم ذلك ولكنها تتصرف وكأنها جاهلة لهذا الأمر، إذ

1 - محمد التوري، بوحديّة ، الفصل الثالث ، الموقف الخامس، ص96.

2 - ناس الحومة الفصل الأول اللوحة الثانية، ص61.

3 - ناس الحومة الفصل الثاني اللوحة الرابعة، ص145.

4 - يوسف أبو العدوس، مدخل على البلاغة العربية ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، ط2007، ص58.

5 - يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص59 .

6 - صالح رحمون، المرأة الخالدة من المسرح التعليمي التربوي الفصل الأول، المشهد الأول

تقول: ".... نهاية محتومة، قدر مفروض زواج، طبخ، غسيل.... إلخ"¹ فهي بكلامها هذا بمنزلة الجاهل بقيمة المرأة في الإسلام وبالمرتبة العالمية و الرفيعة لها.

2. تنزيل المتردد منزلة المنكر للخبر² نجد:

شفيق: "إنّ العمل جماعي، ولا بد من مشاركتك خصوصا في هذا البحث فهو يؤكد لغالية أهمية البحث، لأنها هنا على درجة كبيرة وعالية من التردد فأكد لها ضرورة العمل بأكثر من مؤكد (إنّ، لا بد)

ومنها أيضا نجد:

عفيفة: "إنّها أسمى المراتب... وإنّ المكافأة عليها لعظيمة"³. فقد ألفت عفيفة هذا الكلام على غالية بعد أن رأت وجهة نظرها تجاه المرأة والأمومة... لتبيّن لها أنها تتمتع بأسمى المراتب، فغالية هنا في منزلة المتردد المنكر للخبر.

3. تنزيل المنكر منزلة خالي الذهن⁴ نجد هذا التنزيل في:

شفيق: "فهناك وظيفة أساسية... أنشئ الكون عليها... إنّها أعلى شيء في الوجود... إنّها الأمومة"⁵، فقد ألقى شفيق كلامه هذا ليؤكد لغالية الوظيفة الأساسية للمرأة ومكانتها في هذا الكون وخصّصها في الأخير بكلمة الأمومة (الأم)؛ لأنّه رأى في غالية إنكارا وكأنّها خالية الذهن تماما من هذه المعلومات القيّمة؛ فتنزيل المنكر منزلة خالي الذهن "وذلك إذا كان لديه ما أن تأمله ارتدع عن إنكاره"⁶.

4. تنزيل المنكر منزلة المتردد "ويكون ذلك إذا كانت درجة إنكاره غير عالية"⁷، أي أن

المنكر متردد فقط ولكنّه منكرا إنكارا من العالي ونجد ذلك في:

1 - صالح رحمون، المرجع السابق، المشهد الأول، ص 04.

2 - يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص 59.

3 - المرأة، الخالدة، المشهد الأول، ص 04.

4 - المصدر نفسه، ص 04.

5 - يوسف أبو العدوس، المصدر السابق، ص 59.

6 - يوسف أبو العدوس، المصدر السابق، ص 59.

7 - المرجع نفسه، ص 59.

شفيق: "إنّ هذا الجزء يستوجب إعدادا كبيرا ف:

الأم مدرسة إذا أعددتها = أعددت شعبا طيب الأعراق"¹

فقد ألقى إليها صورة الخبر المناسبة لترددها ، رغم أنها منكرة ، ولكنّها الإنكار ضعيف وغير قويّ وسيزول بأدنى تأكيد.

ومن تنزيل غير المنكر منزلة المنكر² ويكون هذا التنزيل إن لاحظنا أماره من أمارات الإنكار واضحة، ويكون ذلك خاصة إذا كان الخبر شيئا معنويا يحتاج إلى اقتناع وتأمل وتدبر و... منه نجد:

المرأة الخالدة": واذكري في كتاب الذاكرة... عائشة... عالمة الأمة... علم ذكاء... ذاكرة... والسماء والشقاء واذكري في كتاب الذاكرة... الخنساء... أم بصبرها وأمومتها... واذكري: أسماء... وأم سلمة"³، فهذه أخبار تحتاج إلى اقتناع وإدراك وتأمل فهي أشياء معنوية يدركها كلّ من يتزوّد بالذكاء والفتنة؛ لقد قامت المرأة المسلمة بنقل هذه الأخبار إلى غالية؛ لأنها رأت منها أمارات إنكار وحيرة وتردد، فهي تذكرها بالنساء الخالدات و عملهن وقيمتهن، لقد نسيت غالية هذه الأمور والمعلومات بأماره أنّها قالت للمرأة المسلمة:

غالية": ذكريني أماء، ذكريني بامرأة قاسية في الجاهلية قوية في الإسلام"⁴ فغالية بدأت بدأت في الاقتناع وبدأ ترددها يزول شيئا فشيئا ، فتسعى المرأة المسلمة بكلّ حماسة في تذكيرها قائلة:

المرأة المسلمة: " هذه هي بنت عتبة التي عرفت حقيقة الإسلام فندحت في جاهليتها وأسلمت على يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ، فحسن إسلامها"⁵، فكما هو واضح نجد أن غالية لا تتكر هذه الأحداث و الأخبار ولكنها تتصرّف وكأنّها لا تعرفها بدلالة أنّها كانت في كلّ مرة تطلب من المرأة المسلمة تذكيرها بين الفتية والأخرى.

1 - صالح رحمون ، المرأة الخالدة ، المشهد الأول ، ص 05/04.

2 - يوسف أبو العدوس ، المرجع السابق ، ص 59

3 - صالح رحمون : المرأة الخالدة ، مصدر سابق ، المشهد الثاني ، ص 04.

4 - صالح رحمون ، مصدر سابق ، ص 05.

5 - المصدر نفسه ، ص 06.

قد يخرج الخبر إلى أغراض أخرى تُستفاد بالقارئ ومن سياق الكلام فنجد منها: " تحريك الهمّة إلى ما يجب تحصيله"¹، وذلك يكون بتحريك همّة المخاطب إلى أمر يجب تحصيله أو القيام به ومنه نجد:

المرأة الجزائرية: "حفيدتي الغالية... لأجلك ولأجل أن تكوني غالية... حضنا الغمار، وما تركنا الرجال وحدهم.... بالتضحية والفاء... والجهاد والشهادة حققنا السلام في ربوعنا هاهي... فاطمة نسومر"² فهذا القول سيحرّك همّة غالية ويدفعها إلى تحصيل ما حصّلتها فاطمة نسومر ومثيلاتها من النساء الخالدات.

كما قد يلقي الخبر لغرض آخر هو إظهار الفرح "وذلك كما يقول من نجح في الامتحان لمن يعرف ذلك فزت في الامتحان"³، ومن ذلك نجد:

غالية: "إنّها رموز المجد والخلود تدور وجدتها وجدّتها"⁴؛ فهذا مظهر من مظاهر الفرح، لقد تمكنت غالية بعد حواراتها المتكررة مع المرأة المسلمة والمرأة الجزائرية من الخروج تدريجيا من ترددها وتنكرها، فها هي ذي تدور فرحة وهي تردّد وجدتها وجدّتها.

كما نجد نموذجا آخر من نماذج الفرح في قول الغريب:

الغريب: "إنّي أرى نيران الحرّية، إنّي أرى نيران الحرّية... إنّه يوم النّصر، إنّه يوم النّصر... إنّه فجر العبيد، إنّه فجر العبيد"⁵ فالغريب هنا يظهر لنا فرحا عن بزوغ الحرّية، فقد كرّر لنا عبارة نيران الحرّية ويوم النّصر، وفجر العبيد ليؤكد لنا فرحه الشديد بهذا النّصر؛ لقد استعمل أكثر من مؤكد (إنّ)، تكرر الفعل أرى... إلخ، إضافة إلى ذلك يمكننا أن نقرّ بأن هذا الكلام قد اشتمل على تأكيد بأن كما رأينا سابقا، وبتكرار الألفاظ، كما أنّه خرج إلى غرض آخر فهمناه من خلال سياق الكلام ألا وهو الفرح.

1 - السيّد احمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ضبط وتدقيق وتوثيق د يوسف الصميلي، المكتبة العصرية بيروت. د. ط 1425/هـ 2005م/ص 56.

2 - صالح رحمون: المرأة الخالدة، مصدر سابق، ص 06.

3 - يوسف أبو العدوس، مرجع سابق، ص 57.

4 - صالح رحمون، المرأة الخالدة، مصدر سابق، ص 07.

5 - نور جايعلّاش فجر وأقول، الفصل الخامس، المشهد الأول، ص 263.

ومن الأغراض أيضا التي خرج فيها الخبر عن صورته الصريحة والتي تفهم من سياق الكلام ومن القرائن نجد غرض المدح هذا الأخير الذي يظهر جليًا في قول عفيفة صديقة غالية :

عفيفة: "بورك فيك يا غالية ، كنت متأكدة من أصالة معدنك ومن سلامة باطنك ، فأنت من سلالة الأجداد الأشداء والأبطال والأحرار"¹ فعفيفة تمدح صديقتها غالية بعد أن رأت بأنها قد تمكّنت من التخلّص من ترددها وإنكارها.

وعن إظهار التحقير نجد:

غالية: " أما ترين الاستهزاء القائم على المرأة في مجتمعنا... المرأة حاشاك، العائلة أكرمك الله وهناك من يكنيها بالدار"² فعالية تظهر احتقارا للمرأة ومكانتها في المجتمع، ونلمس ذلك في العبارات والكلمات التي تُلَقِّطت بها ونجد ذلك في قولها:

غالية: " فالأب الجاهل والأم الجاهلة، ما صنعوا حضارة ولا بيتا"³، فهي بقولها هذا تحتقر الأب والأم وتدّعي أنّهما لم يصنعا لا حضارة ولا بيتا.

أما عن غرض الفخر فنجد:

عفيفة: "أما قرأت قول أحد العظماء؛ المرأة العظيمة تلك التي تهزّ المهد بيمينها وتهزّ العالم بيسارها"⁴، فهي تتفخر بالمرأة العظيمة وتبيّن دورها ومكانتها في العالم، كي تبين لغالية قيمة المرأة وتصرفها عن تفكيرها المتردد وتتكبرها للأعمال العظيمة التي أنجزتها المرأة.

ومن نماذج الفخر والاعتزاز نجد أيضا:

1 - يوسف أبو العدوس ،مرجع سابق ، ص57.
2 - صالح رحمون ،المرأة الخالدة، مصدر سابق ، ص 07.
3 - يوسف أبو العدوس ،مرجع سابق ،ص57
4 - صالح رحمون ، مصدر سابق ، ص 11.

الكاتب: "أجل أجل اليوم الموعود هو ذلك اليوم الذي ستعرض فيه المسرحية على الركح...سيكون يوم له ما بعده...سيكون يوما مشهودا"¹

فالكاتب هنا يفتخر بإنتاجه العظيم (المسرحية) ويعتز به وباليوم الذي ستعرض فيه هذه المسرحية؛ فقد اشتمل هذا الكلام على مؤكدات كثيرة منها تكرار كلمة أجل واليوم، سيكون وهذه كلها مؤكدات تؤكد ثقة الكاتب بنفسه وإنتاجه الذي ينتظر العرض.

ومن نماذج الفخر نجد أيضا:

غالية: " أنا التي غلّت في عين والدها فسميت²؛ فغالية تفتخر بنفسها وباسمها وبغلاوتها عند والدها وكان هذا سبب في تسميتها بهذا الاسم.

كما قد يخرج الخبر إلى غرض آخر وهو غرض النصح والإرشاد³، هذا الأخير الذي من خلاله ننصح شخصا ما أو نرشد إلى الرأي الصحيح أو الطريق السليم ومنه نجد:

عفيفة: "...كان واجب عليك أنت أن تتفرغي إلى العلم، وأن تستغلي الفرصة الذهبية التي منحت لك"⁴؛ فعفيفة هنا تنصح غالية وترشدها إلى الطريق الذي سيوصلها إلى فرصتها الذهبية التي منحت لها، بدلا من التفرغ إلى تصفح المجلات وتنظيم الأزياء.... إلخ.

كانت هذه إذن خلاصة وجيزة عن التأكيد والإخبار، سواء بالمؤكدات المعروفة (إنّ، أنّ، السين، سوف،..... إلخ) والتي عرضناها سابقا، أم بالتأكيد والإخبار بتكرار الكلمات، أم بخروج الخبر عن مقتضى ظاهر الحال من تنزيل المنكر منزلة الثاني الذهن أو تنزيل المتردد منزلة المنكر،..... إلخ أم بالخروج على الأغراض التي نفهمها من سياق الكلام أو بالقرائن، وعليه: " فصيغة (فعل) تظل دائما الماضي، وصيغة (يفعل) تظل دائما وسيلة للتعبير عن الحال أو الاستقبال بحسب ما تعين عليه القرائن والجملة الخبرية المؤكدة والخبرية المثبتة لا فرق بينهما من حيث الزمن وإنما يكون الفرق في التأكيد وعدمه"⁵. أي أنّ

1 - صالح رحمون، مصدر سابق، ص 12.

2 - المصدر نفسه، المشهد الأول، ص 12.

3 - يوسف أبو العدوس، مرجع سابق، ص 57.

4 - المرأة الخالدة، مصدر سابق، ص 13.

5 - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 247 عالم الكتب ط3، 1998/1418.

صيغة الفعل تعبر دائما عن زمنه ماضيا أم مضارعا.... وإنما الأهم هنا هو في التأكيد وعدمه كما أنّ الاختلاف بين زمن وزمن يكون اختلاف في الجهة فقط ولا دخل في ذلك للمعنى والحال والاستقبال وهذا ما يؤكد لنا د. تمام حسان بقوله: "...أنّ تعبيرات الجهة في معنى الزمن تأتي من الأدوات سواء أكانت هذه الأدوات حرفية كما في (قد) أم نواسخ كما في كان وأخواتها أو يكون الزمن مصحوبا بعدم الجهة كما في (فعل) و(يفعل)"¹.

وكما يكون التأكيد بالإخبار والإثبات يكون في النفي أيضا، إذ أنّ النفي أحد الأساليب الإنشائية غيرالطلبية "واعلم أنّه كما يكون التأكيد في الإثبات يكون في النفي أيضا"²، إذ أنّ النفي أحد الأساليب الإنشائية غير الطلبية ولكنه قد يستعمل في الجملة الخبرية للتأكيد إذ "أنّه يفيد اتجاهها جماليا مثيرا إذا استعمل في الجملة الخبرية"³، ومن أكثر أدوات النفي استعمالا نجد (لم ولما وبين وما ولا ولن) إذ أنّ: "كلّ هذه الأدوات تأتي لنفي المضارع، ولا ينفي صيغة فعل منها إلا ما"⁴، ونشرع الآن في إحصاء أهم النماذج التي اشتملت على النفي بواسطة المضارع أي نفي الماضي بواسطة المضارع وهو ما "جعل النحاة ينسبون معنى الزمن إلى أدوات النفي مع أنّ الأداة لا يمكن أن تفيد زمنا وإنما يمكنها أن تفيد الجهة، وهي تفيد فعلا في حالة الجملة المنفية"⁵، ومن النماذج المشتملة على النفي نجد:

النمط الأول:

لا+فعل مضارع+إلا+حرف جرّ+اسم مجرور.....

الغريب: "...أنت لا تصغي إلا إلى الجاه والطغيان"⁶

ومن المشهد الثاني نجد:

- 1- المرجع نفسه، ص246.
- 2- السيد أحمد الهاشمي: المرجع السابق، ص58.
- 3- حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية)، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع سورية، دمشق جرمان، ط2013، ص2.
- 4- تمام حسان، المرجع السابق، ص247.
- 5- المرجع نفسه، ص248.
- 6- فجر وأقول الفصل الأول، المشهد الأول، ص145.

سيدرماد: ".....ويحرم بحريّة لا تليق إلا بالنبلاء... لا يليق ألا بالشرفاء".¹

سيدرماد: "....النبل لا يحيا إلا بوجود العبودية"²

ومن المشهد الثالث نجد:

سراب: كنز الأولين كتابا لا يرى لا يقرأه إلا من كان قلبه سليم.....³

ومن المشهد الرابع نجد:

حطام: " همومي وردة أسقيها بالدموع لا يراها إلا الظلام....."⁴

ومن المشهد الخامس نجد:

الغريب: "....إنكم تذبحون العبيد لإرضاء إله لا يرضى إلا بالدماء"⁵

و نجد أيضا من نفس المشهد:

الغريب: "إني أخوض حربا لا يخوضها إلا المجانين..."⁶

النمط الثاني:

لم + فعل + جار ومجرور + إنما + فعل + جار ومجرور

ومن هذا النمط نجد:

غالية: "إنّ امتنا لم تَخُدْ بضياها... إنّما خلدت بإسلامها"⁷.

لم + فعل + إنّ + اسما + خبرها + اسما + فعل.....

1 فجر وأقول ،المشهد الثاني ،ص147.

2 - المصدر نفسه، ص 147.

3 - المصدر نفسه ، المشهد الثالث، ص 147.

4 - المصدر نفسه ،المشهد الرابع ،ص 156.

5 - المصدر نفسه ،المشهد الخامس ،ص 158.

6- نورجايعلاش فجر و أقول ،الفصل الأول ، المشهد الخامس ،ص 161.

7- صالح رحمون ،المرأة الخالدة المشهد الأول ، ص 04.

عرضية " لم أقل أنك مجنون، إنما قلت أنك تغمغم...."¹

ل + فعل + مفعول + لم + فعل + إلا + مستثنى:

عرضية: "... لم تكن أبًا أبدًا، تك إلا قردًا..."²

النمط الثالث:

وستعرض إلى التوكيد بالنفي بأدوات مختلفة كـ لا، ولن، وليس... إلخ

عرضية: "إننا لسنا بعيدين..."³

عرضية: "إنني لم ألحق ضررًا بأي أحد"⁴

باباناغ: "إنهم ليسوا أنكباء..."⁵

د.3 الأفعال الأدائية الإنشائية (الإنجازية)

تظهر لنا مرجعية و دلالة الفعل الإنشائي أو الأدائي في الفعل الذي يؤدي، و ذلك عندما يتحقق لنا في المتكلم المفرد وفي الزمن الحاضر، فقولنا مثلًا (أمرك)، لا تعني لنا فقط القيام بالأمر ولكن تحقق لنا فعل الأمر بمجرد التلفظ به، وكذلك الأمر بالنسبة لبقية الأمر بالنسبة لباقي الأغراض الأخرى، كالنهي و التمني و الاستفهام... إلخ

ومن خلال عرضنا السابق للقسم الأول من الأفعال الكلامية أو اللغوية وهو قسم الأفعال الإخبارية؛ فقد رأينا أنها أفعال تقريرية تمكنا من تزويد المخاطب بالمعلومات التي لم يسبق له معرفتها، ولم تكن له أدنى فكرة عنها، وقد تتم - كما لاحظنا - تحقيق هذه الأفعال من خلال جملة من المؤكدات.

1- محمد ديب، ألف مرجحى لمتسولة، الترنيمة، 04، ص55.

2- المصدر نفسه، الترنيمة الرابعة، ص56.

3- المصدر نفسه، الترنيمة الأولى، ص23.

4- المصدر نفسه، الترنيمة الثانية، ص27.

5 - المصدر نفسه، ص 34.

والآن سنخرج للحديث عن القسم الثاني من الأفعال الكلامية وهو قسم الأفعال الأدائية أو الإنشائية أو بالأحرى الإنجازية؛ فالأقوال و الأفعال كلها كلامية و إنما الفرق الواضح بينها يكمن في طريقة الصياغة و التأليف ، ففعل الكلام الانجازي قد يكون مباشرا أو قد يكون غير مباشر إذ أن الكلام الإنشائي يشكل قسما من أقسام أفعال الكلام ، والذي قد تتم معرفته وتحديدده دلاليا من خلال الصيغة اللغوية التي يعرفونها ، و يتم من خلاله التعبير عن البعد الحقيقي للفعل ذاته، "إن هو إلا وسيلة لتحقيق الفعل ذاته ، وهو وسيلة وضعتها اللغة ليتم التعبير عن البعد الحقيقي لذلك الفعل، وليجعل تحقيقه ممكنا"¹، فالهدف إذن هو تحقيق الفعل الإنجازي لذلك الفعل.

بوحدة: "حتى واحد في الدنيا ما يسلك من كلام قيل وقال "².

بوحدة: "الناس الله غالب عليهم...السكنة ماهي سكنة ..."³

محمد: "... قالت ماري بلادها مارايحاش توطي بوعدها...ما تصداتشلاستقلال"⁴

سليم: "إنني لا أطلب أكثر من هذا "⁵

من خلال عرضنا لأهم النتائج المشتملة على التوكيد بالنفي نجد أن أغلب الأساليب تضمنت نفيا جماليا مثيرا كان غرضه الإخبار و الإثبات و التأكيد لا النفي بعمل ما أو التلفظ بكلام ما ... إلخ. صحيح أن النفي هو أحد الأساليب الإنشائية غير الطلبية ولكنه قد يخرج عن هذا الغرض إلى غرض الأخبار و الإثبات و هذا ما رأيناه سابقا مثلا نجد :

سيد رعاد في قوله :يحلم بحرية لا تليق إلا بالنبلاء ، لا تليق إلا بالشرفاء ، فهذا الكلام ليس فيه نفيا بل هو إخبار فرماد يخبر الغريب و يقر له بأن الحرية لا تليق إلا بالنبلاء ، وهذا ما أعطى الأسلوب اتجاها جماليا مثيرا .

1- f .flahault1978 la pnoleintermediaireedition du seuil paris , p 39

2محمد التوري ، بوحدة :الفصل الأول ،الوقف الثالث ،ص 64

3 - ناس الحومة، الفصل الأول، اللوحة الأولى، ص 27.

4- قاسمي جمعة، النصر المتفجر من نصوص الكاكي الذهبي 2011، مصدر سابق، الفصل الأول، المشهد الثالث، ص279.

5محمد ديب، ألف مرعى لمتسولة، الترنيمة الأولى ، ص 12

تنقسم الأفعال الانجازية إلى أفعال انجازية مباشرة وأفعال أنجازية غير مباشرة أو غير صريحة أو ضمنية نفهما من سياق الكلام؛ فالمباشرة وهي التي يكون فعلها ظاهراً يأتي بصيغة الزمن الحاضر للمتكلم كالأمر والحض والدعاء، والنهي، والتعهد... والنداء والاستفهام.

و نجد هذا التقسيم عند العرب القدامى؛ فالأفعال الإنشائية عندهم تنقسم إلى أفعال إنشائية غير طلبية و تطوي عنها أغراض كثيرة منها: أفعال العقود وصيغ المدح الذم، والرجاء والقسم، لعل، كم الخبرية... إلخ

أما الإنشائية الطلبية فهي خمسة أغراض و هي الأمر والنهي و الاستفهام، والنهي و النداء و هذا ما يطلق عليه بالأفعال الإنجازية الصريحة المباشرة، والشيء الأهم هنا هو أن تؤدي أو تنجز هذه الأفعال بأدواتها اللغوية الصحيحة، كالصيغة المضارعة، و البناء للمعلوم... إلخ؛ "و من أجل ذلك فإن ما يجب أن يكون عليه شعورنا هو أن نحاول القول بأن كلّ عبارة إنشائية على الحقيقة، يمكن ردّها أو التصريح بها و بالمتضمن فيها أو تحليلها على وجه آخر أو تحويلها بتوليد صورة أخرى منها على النحو الآتي: عبارة ذات فعل مضارع للمتكلم المفرد المبني للفاعل، هذا كله على اصطلاح النحو"¹؛ فاللغة وظيفة الإنجاز، إذ أن هناك أفعال لا تنجز إلا باللغة، و بذلك "تصبح وظيفة الملفوظات الإنشائية في نظر أوستين ليست هي تقديم صورة صادقة أو فاسدة عن واقع معيّن للأشياء إنما هي إنشاء ذلك الواقع بموجب عملية التلّفظ بها ذاتها"².

ولقد اشتق لفظ الإنشاء من فعل أنشأ "وهو فعل يستخدم عادة مع الاسم الحدث، و يدل على أن إحداث التلّفظ هو إنجاز للفعل"³، وذلك مثل قولنا ممنوع التدخين داخل الحافلة، فهي لاتصف لنا شيئاً ولا تخبرنا بشيء، رغم اكتمال صورتها النحوية والدلالية؛ وهذا ما يدخل ضمن سلسلة أو مجموعة الأفعال الانجازية أو الانشائية.

1 أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء بالكلمات" ترجمة عبد القادر قينيني إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1996، ص 77.

2 إدريس سرحان: الأمر كفعل إنجازي غير مباشر: مشتق، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية دراسات (دراسات لسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهرز، فاس، عدد خاص، 11، 1995، ص 77.

3 كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي: دار غريب، القاهرة، ط 3، 1997، ص 29.

د، 3-1 الأفعال الانجازية المباشرة (الصريحة) :

لقد أشرنا قبل قليل ، أن هذا النوع من الأفعال تتضمن تحتها جملة من الأغراض الطلبية المتنوعة كالأمر والاستفهام،التمني،النهي،النداء،إذ أن الأفعال التي يتلفظ بها المرسل صريحة ومباشرة ومنجزة حرفيا:"وفي هذه الحالة فإن المرسل يقصد أن ينتج هذا أثرا انجازيا على المرسل إليه، ويقصد أن ينتج هذا الأثر من خلال جعله المرسل إليه يدرك قصده في الإنتاج"¹،فمعنى هذه الأفعال المباشرة يكون مباشرا ومطابقاً تماماً لما يريد المرسل أن ينجزه مطابقة تامة.

وقد لخص لنا السكاكي الأفعال الطلبية بقوله:"والطلب إذا تأملت نوعان :نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول،وقولنا لا يستدعي أن يمكن أعمّ من قولنا يستدعي أن لا يمكن الحصول ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول"²،وتجدر الإشارة منا إلى أن الفعل في هذا النوع من الأساليب يكون بصنيعة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم و من الأساليب الإنشائية الطلبية نجد:

الأمر :

الأمر في اللغة هو نقيض النهي³ و أمره كلفه شيئاً⁴ و أمرته إذا كلفته أن يفعل شيئاً⁵

إن الأمر صيغة من صيغ الإنشاء الطلبي "حيث يطلب فيه المتكلم من المخاطب تنفيذ فعل ما على صفة الإيجاب في الفعل و التزام المخاطب به ...و هو يفيد في الإنشاء طلب تنفيذ أمر بعد إلقائه..."⁶،أي على الخاطب أن يمثل لأوامر المتكلم فينفذ ما طلب منه على صفة الإيجاب .فالأمر حيث المرسل يستعمله المرسل "الطلب الحصول في الخارج ...ليحصل في الخارج...ليحصل في ذهنك نقش له مطابق"⁷أي تنفيذ أمرها في الخارج و قد حدّد الغزالي

4-gohn , r searl expression .and maining ,cambredguniversitypress,usa,1999,p3

2السكاكي ، مفتاح العلوم ، مرجع سابق، ص 131.

3ابن منظور، لسان العرب مادة أمر ج4/ص 26 و بنظر مقاييس اللغة ج 1 ص137.

4المعجم الوسيط ج1.ص16ص 47 .

5المفردات في غريب القرآن

الزجاج ،معاني القرآن ج ، 1ص75.

7حقيق عبد الجليل عبده شليبي،المكتبة العصرية ،صيدا بيروت دت

الأمر بقوله: "وحدّ الأمر أنه القول المقتضي طاعة المأمور به...إنّه طلب الفعل و اقتضاؤه على وجه المسألة، أو ممن هو دون الأمر في الدرجة، احترازا عن قوله: اللهم اغفر لي، وعن سؤال العبد من سيّده، والولد من والده"¹، فالأمر إذاً هو "طلب حصول الفعل من المخاطب"²، وقد يكون هذا الحصول بصيغ متنوعة "كفعل الأمر الصريح كاذهب مثلاً، أو المضارع المقترن باللام مثلاً فلنكتب، أو اسم فعل الأمر، كصه، وحي، هلمّ.. إلخ أو المصدر النائب عن فعل الأمر."³ هذا إذا كان الأمر حقيقياً أن أنه كان على سبيل الاستعلاء و الإلزام، و ماعدا ذلك فإنّ الأمر يخرج عن معناه الحقيقي و يكون أمراً بلاغياً، و قد تخرج صيغ الأمر عن المعنى الحقيقي إلى معانٍ أخرى مجازية تفهم من سياق الكلام، كالنداء، الالتماس، والإرشاد والتهديد... إلخ قد يكون الأمر بالصيغة أو باللام، وهذا ما حدّده لنا الدكتور تمام حسّانمن خلال مخططه الآتي الذي قسّم من خلاله الجمل وأنواعها وذلك تبعاً لأساليبها المتنوعة كالأمر، والاستفهام... إلخ وهذا جزء من المخطط وهو المتعلق بالجملة المشتملة على أسلوب الأمر:⁴

نوع الجملة	الزمن	الجهة	فَعْلٌ - يَفْعَلُ	افعل
الأمر بالصيغة	الحال	كلّ الجهات		افعل الآن
	الاستقبال	//		افعل غداً
الأمر باللام	الحال	//		ليفعل الآن
	الاستقبال	//		ليفعل غداً

إضافة إلى الصيغ الصريحة الأخرى التي ذكرناها سابقا كاسم الأمر، واسم الفعل، والألفاظ المخصوصة للوجوب مثل: يجب وينبغي و... لأنّ صيغة فعل الأمر الأصلية هيّ افعل بيد أنّه: "مما لا ريب فيه أنّ صيغ (افعل) ونحوها من الصيغ الدالة على الأمر ظاهرة في الطلب

1 السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص304.

2 الغزالي: المستصفي من علم الأناضول، تحقيق وتعليق محمد سليمان الأشقر: مؤسسة الرسالة ط1، ج2، ص61.

3 يوسف أبو العدوس، مرجع سابق، ص 66.

4 تمام حسّان، مرجع سابق، ص251.

والاقتضاء ذلك أنّ الفعل المطلوب لا بد و أن يكون فعله راجحاً على تركه فإن كان ممتنع الترك، كان واجباً، وإن لم يكن ممتنع الترك، فإمّا أن يكون ترجحه لمصلحة أخروية فهو المندوب وإما لمصلحة دنيوية فهو الإرشاد، فالطلب الذي تدلّ عليه صيغة الأمر هو طلب الفعل، إمّا على وجه اللزوم، أو على وجه النّذب أو الإرشاد¹، أي أنّ الصيغة الأصليّة والصريحة للأمر هي افعل... إلخ؛ ولكن قد يخرج الأمر لأغراض كثيرة، وسنتطرق الآن إلى عرض هذه الأساليب المتنوعة و التي جاءت بصيغ صريحة تارةً و بصيغ مجازيّة تارةً أخرى:

1- فعل الأمر بصيغة: افعل:

إنّ الملفوظ الذي يتضمن الأمر يستخدم كما قلنا سابقاً لإنجاز عملٍ ما ويكون بأنماط متنوعة منها نمط افعل، وهذا الأمر يعدّ من الانجازيات الغامضة "فقد يكون أمراً أو نصيحة أو رجاء... وبهذا فإن أوستين يسمي الألفاظ التي يمثلها الملفوظ أمرك بكذا... بالإنجازيات الصريحة، وتلك يمثلها الملفوظ مثلاً اذهب فيطلق عليها اسم الانجازيات"²:

نميش: "ساخطاً... اغلق فمك اغلقه أيبقى صراخك حتى مطلع الفجر"³ فمثل هذا الكلام يتضمن أمراً بصيغة افعل وهي اغلق ولكن تضمن تهديداً. فهو أمر يتخلله تهديد، فسلیم يأمر بإغلاق فمه مهدداً إيّاه .

بابا ناغ: "اذهبي لتعرفي... سأبقى وحدي"⁴، فهو أمر بالذهاب للتعرف على ما يدور من الثالثة أجواء، فبابا ناغ يأمر عرفية بالذهاب للتعرف على الوضع، فهو يريد البقاء وحده للتفكير في الأمر، ويواصل بابا ناغ قائلاً :

بابا ناغ: "أسكت ... أسكتي أيتها التعيسة"⁵، فهو يأمرها بالسكوت وفي موقف آخر نجد:

1 ابراهيم بن أحمد بن سليمان الكندي: الدلالات و طرق الاستنباط، دار قتيبة للطباعة والنشر و التوزيع

بيروت، ط1998، 1419، ص31/30.

2 جان سيرفوني: الملفوظية ترجمة د. قاسم مقداد، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق د.ط 1998، ص 98.

3 محمد ديب الف مرعي لمتسولة، الترنيمة الأولى، ص18.

4 المصدر نفسه، ص27.

5 المصدر نفسه، الترنيمة الأولى، ص 27 .

عرفية: "اخفض صوتك... اخفض صوتك"¹، فهو أمر صريح تحت فيه بابا ناغ وتأمرها بخفض الصوت.

ومن مسرحية بوحدة لمحمد توري نجد النماذج الآتية:

الأعرج: "يا بابا اهرب يا بوحدة! نسبيك راه جاي هو والبوليس"² فالأعرج هنا يأمر بوحدة بالهروب منبهاً إياه بأن نسيبو راه جاي هو و البوليس، فهو أمر وتنبيه في الوقت نفسه.

ومن مسرحية زعيط ومعيط ونقاز الحيط نجد الأمر الصريح في قول:

الشيخ: "آيا امشيو واغاولوا"³، فهو يأمر الجماعة بالمشي والانصراف مع السرعة في هذا الانصراف.

ومن الفصل نفسه نجد الأمر الذي يحمل في طياته تنبيها وتحذيرا قول:

حياة: "اسكتوا هاهمجا بينومعاهم قائد العساكر اخرجوا..."⁴

ومن مسرحية فجر وأقول نجد النماذج الآتية:

سراب: "اقرأ الكتاب يا غريب، اقرأ الكتاب يا غريب، ثم حدث، حدث الفقير قبل الغني... حدث الناس واصبر عن الأذى..."⁵، فسراب يأمر ويطلب من سراب قراءة الكتاب ويأمره كذلك بان يحدث به الفقير قبل الغني والناس، يأمره في الأخير بالصبر عن الأذى ونجد في هذا التماساً من صديق لصديقه " فالالتماس هو الطلب الصادر عن المتساوين قدراً ومنزلة على سبيل التلطف من دون استعلاء المعتبر في الأمر، ومن التضرع المعتبر في الدعاء"⁶

الدعاء"⁶

ومن النماذج المشتملة على الأمر الذي خرج إلى غرض التخيير و التعيين نجد:

1 المصدر نفسه ،الترنيمية الثالثة، ص47 .

2 محمد التوري، بوحدة، الفصل الثالث، الموقف السابع، ص95.

3 محمد التوري: زعيط ومعيط ونقاز الحيط الفصل الثالث، ص48.

4 محمد التوري بالمصدر السابق، الفصل الثالث، ص43.

5 نور جاي علاش، فجر وأقول، الفصل الأول، المشهد الثالث، ص153.

6 سعد الدين التفتازاني شروح التلخيص، دار النشر، تصوير دار الكتب العلمية ج2 ص320 د ت/ د ط

شديد" اختر يا غريب الكتاب أم حياتك وحياة العبيد"¹، فالصيحة تتضمن أمراً من خلال (افعل) وهي اختر ولكنها خرجت عن المعنى الحقيقي للأمر إلى معنى آخر وهو التخيير، فهو يخيره بين الكتاب وحياة الناس وحياته، وهذا ما أعطى المعنى جمالاً ورونقاً.

ومن مسرحية ناس الحومة نجد النماذج الآتية:

الصّالِح: "روح والبس قشك بعيد..."، فالصّالِح يأمره بالذهاب وبارتداء ملابسه بعيداً عن أنظار الناس أمراً صريحاً.

السي المحفوظ: "...اسكتوا يسكتّ حسّك"²، فهو يأمر الجماعة بالسكوت ولم يكتف بأمرهم بالسكوت (اسكتوا) بل ضمّن أمره بالدعاء عليهم بعبارة يسكتّ حسّك.

ومن النماذج المشتملة على أمر يتضمن النصح والإرشاد نجد:

الشيخ إبراهيم: "احشم يا ولدي... احشم"³؛ فالشيخ إبراهيم يأمر الولد بالتزوّد بالحشمة وعدم رفع صوتنا قائلاً احشم وهي على صيغة افعل ففيها نصح وإرشاد له، بالابتعاد عن كلّ ما يخلّ بالحياء و الفعل (احشم) يبيّن لنا التصرف الذي لاحظته الشيخ أو الذي بدا من الولد حتّى دعاه و أمره بالحشمة" فالإرشاد نقيض الضلال، إذا أصاب وجه الأمر والطريق... وأرشده الله هداه إلى الأمر ورشده هداه"⁴

ومن الغرض نفسه نجد:

الصوت الأول: "انعل الشيطان ياسي محمد..."⁵، فالفعل انعل جاء على صيغة افعل، فهو أمر فيه وعظ وإرشاد.

1 نور جاي علاش، فجر وأقول، الفصل الثالث، المشهد الثالث، ص 203.

2- ناس الحومة، الفصل اللوحة الأولى، ص 32.

3- المصدر نفسه، ص 34.

4- ابن منظور، اللسان، مادة رشد الجزء الثالث، ص 175.

5 - ناس الحومة، مصدر سابق، ص 38.

شفيق: "يا أمّ الصغير تعالي اسجدي أمام السرير، سرير الصغير اسجدي أمام هذا المهد... ناغي الصغير"¹، فالفعل أسجدي والفعل ناغي أفعال صريحة، يدعو فيها المتكلم أم الصّغير بالسّجود و بمناغاة صغيرها، ولكن فعل السجود هنا لا يعني معنى السجود الحقيقي فهو جاء بمعنى انحني كي تناعي صغيرك.

ومن المشهد الثاني نجد:

الأم الكبرى: "ها هي ذي كواكبي المنيرة على الأرض، فابحثي إلى أي كوكب تنتمين، واعلمي على شاكلتها... خذي منهنّ عملاً صالحاً وأسألينهنّ عن سبب خلودهنّ..."²؛ فالأم الكبيرة ستتحاور مع غالية وتأمرها بالقيّام بعدة أشياء، أولها البحث عن الكوكب الذي تنتمي إليه غالية من بين الكواكب المنيرة المعروضة أمامها، ثمّ تتطلب منها وتأمرها بالعمل على شاكلة هذه الكواكب، كاختيار العمل الصالح والأخذ به... إلخ خذي وكلّ هذه الأفعال جاءت على صيغة افعّل ولكنّها دلّت على النصّح والإرشاد و التوجيه.

ومن النماذج المشتملة على الأمر الدالّ على التوجيه والإرشاد والاقتراد بالمرأة المسلمة المكافحة وخاصة الجزائرية نجد:

المرأة الجزائرية: "...اجعلي حياتك وفقاً للسلام والسلم في العالم، اجعلي الإسلام قبساً لك كما كان السلف، اجعلي المرأة في العالم قدرة..."³

ومن النماذج التي اشتملت على الأمر المتضمن التوجيه أيضاً نجد:

المرأة الكبرى: "هاهو ذا سرّ خلودك عاجلاً أو آجلاً... اعلمي به تفوزي... حصّني به أجيال المستقبل... اجعليه دليلاً ونبراساً فيحياتك"⁴؛ فالأفعال: اعلمي، حصّني، اجعليه جاءت على صيغة افعّل وهي صيغة فعل الأمر الحقيقية ولكنّها تضمّنت النصّح والتوجيه والإرشاد.

1 - صالح رحمون، المرأة الخالدة، المشهد الأول، ص03.

2- المصدر نفسه، المشهد الثاني، ص04.

3 صالح رحمون، المصدر السابق، المشهد الثاني، ص04.

4 المصدر نفسه، ص05.

لقد اشتملت النماذج السابقة صيغة الأمر افعِل، فمنها ما دلّ على الأمر بالقيام بفعل ما مباشرةً ومنها ما دلّ على معانٍ أخرى كالنصح والإرشاد، وهذا ما تناوله العرب واستعملوه بكثرة، فقد استعمل العرب صيغة افعِل بكثرة في كلامهم فمعناه افعِل فوراً وعدم التراخي، وهذا شأن الطلب في الجملة¹

2- فعل المضارع المسبوق باللام:

الفعل المضارع المقترن بلام الأمر من الصيغ الصريحة للأمر بعد صيغة افعِل وقد عرّفه لنا أبو الحسن المعتزلي في كتابه المعتمد بقوله: "حدّدنا الأمر بأنه قول يقتضي استدعاء الفعل بنفسه لا على جهة التّدلّ وقد دخل في ذلك قولنا افعِل كذلك (كذا) وقولنا لتفعل"²، إذ أنّ صيغة لتفعل وهي لام مقترنة بالفعل المضارع للقيام بعملٍ ما أو بالأمر الصريح للقيام بعملٍ ما ومن النماذج المشتملة على هذا النمط نجد:

عرفية: "النسع ليس لدينا وقت لنهده"³

بابا ناغ: " تعالي لنذهب من هنا"⁴

عرفية: "لتغيّر من نغمتك وإلاّ شووك"⁵

بابا ناغ: " يحتمل نحن لسنا ضد تعالي لتتصرف"⁶

بابا ناغ: " أنملاً نحن بطنيننا، ولنذهب الكلاب إلى الجحيم"⁷

بابا ناغ: "لنحمل الكلاب معنا"⁸

ومن الترنيمة الرابعة نجد:

1 السكاكي، مفتاح العلوم، ص 153.
2 محمد بن ناصر الشثري: الأمر صيغته ودلالته عند الأصوليين دار الحبيب، الرياض، ط2، 1420/ 1999، ص14.
3- محمد ديب، ألف مرحى لمتسولة، الترنيمة الأولى، ص22
4 - المصدر نفسه، الترنيمة الثانية، ص 27
5- المصدر نفسه، ص27.
6- المصدر نفسه، ص 30.
7- محمد ديب، ألف مرحى لمتسولة، الترنيمة الثانية، ص32.
8- المصدر نفسه، ص33.

وسيم: "ليكن ليكن أيتها العجوز المجنونة" ¹

ومن الترنيمة الخامسة نجد:

بابا ناغ: "هيا هيا لنبحث فقد نجدهما" ²

بابا ناغ: "آه ليأخذني الشيطان" ³

الشريك: "لنتم في أمن يا أستاذ لنتم في أمن" ⁴

فجّل النماذج السابقة اشتملت على لام+فعل مضارع أو فعل مضارع مسبوق باللام، وهو من الأنماط أو الصيغ المباشرة والصريحة لأسلوب الأمر ⁵، إذ أنه يأتي -الفعل المضارع المسبوق المسبوق بلام الأمر - في المرتبة الثانية بعد الفعل الصريح لأسلوب الأمر والذي يكون على وزن افعل كاذهب واصنع.....

وتستمر النماذج المشتملة على هذه الصيغة فنجد :

الرجل الثاني: "لنهرب من هنا" ⁶

الرجل الأول لصديقه: "لنرحل من هنا لقد تعكّر الجو" ⁷

باسل: "لقد آن الأوان، ليتدبر كل واحد أمره!" ⁸

نميش: "لنمشي حتى قمة الغريان" ⁹

ومن مسرحية فجر وأقول لنور جاي علاش نجد النماذج الآتية:

1 - محمد ديب ، الترنيمة الرابعة، ص 65 .

2 - المصدر نفسه، الخامسة، ص 68.

3 -المصدر نفسه، ص 70.

4 -المصدر نفسه، ص72.

5-يوسف أبو العدوس، مصدر سابق، ص 66.

6-محمد ديب، ألف مرجى لمتسولة، الترنيمة الخامسة، ص74.

7-المصدر نفسه، ص78.

8-المصدر نفسه ، ص80.

9- المصدر نفسه، ص80.

الداهية: " فلنترك السجن مؤانسا أيامه الأخيرة"¹

المرشد: "فلنقتله اذا وتخلص منه"²

زئير: "إن كان العبيد لا يستطيعون نيل حريتهم فليظفروا بالموت"³

الداهية: " فلنضرب الغريب بسيف ابن عمه"⁴

الداهية: " فلنترك العامة تقتل سراب"⁵

الداهية: "وجوده عبء وفرجة فلندعه يروي للناس روايات السخيفة"⁶

ومن مسرحية انتحار كاتب لعلي ناصر نجد:

الكاتب غاضباً: "إذن فلنفسخ هذا العقد حالاً"⁷

الزوجة: "لنذهب الآن إلى المستشفى لزيارة ابنتنا"

الزوجة: "هيا لنخرج إليها حالاً"⁸

الكاتب: "إذن تعالي أنت لنكتب"⁹

الكاتب: "أنا لا أهتم لأحد فليقولوا ما يحلو لهم"¹⁰

نلاحظ إذن أهم النماذج المشتملة على الأمر بصيغة المضارع المسبوق باللام؛ فكلمة أساليب اشتملت على الأمر المباشر بصيغة اللام المقترنة بالفعل المضارع، وكما قلنا سابقاً

1- نور جاي علاش، فجر وأقول، الفصل الأول المشهد السادس، ص163.

2- المصدر نفسه، الفصل الأول المشهد السادس، ص165.

3- المصدر نفسه، الفصل الثالث، المشهد الثاني، ص200.

4- المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد التاسع، ص192.

5- فجر وأقول، مصدر سابق، الفصل الثالث، المشهد الثاني، ص196.

6- المصدر نفسه، الفصل الرابع المشهد الرابع، ص222.

7- علي ناصر انتحار كاتب، المشهد الأول، ص112.

8- المصدر نفسه، المشهد الثاني، ص117.

9- المصدر نفسه، المشهد الثالث، ص122.

10- علي ناصر، انتحار كاتب، المشهد الرابع، ص122.

هو من إحدى صيغ الأمر الأربعة المعروفة؛ كالفعل الصريح على وزن افعل، والمضارع المسبوق باللام اسم فعل الأمر... إلخ وقد لاحظنا ما حققته صيغة المضارع من وحدة حافلة بالتأثير "فعلى الرغم من أن صورة الفعل المضارع تثير حركة ما مع اقترانها بلام الأمر إلا أنها تحقق وحدة كليّة ذات اتجاه خلاق في الخطاب حافلة بالتأثير، وإن كانت على سبيل الاستعلاء الحقيقي فهي تتيح المجال واسعاً للتفكير لاستنادها إلى فعالية التقدير والإجلال"¹، ولكن نجد أن صيغة افعل أشد في الأمر من صيغة ليفعل وذلك "لأن المتكلم يلقي في الأولى بمادة الفعل إلى المخاطب أمراً إياه بإيقاع الفعل، وليس في الثانية ما يشير إلى الأمر سوى اللام"²

3- اسم فعل الأمر:

اسم فعل الأمر، صيغة من صيغ الأمر الحقيقية، وقد تأتي هذه الأخيرة بعدة كلمات أو ألفاظ نذكر منها: حيّ، هلمّ، إليك، أمامك، آمين، صه حذار...³ وسنتطرق الآن إلى عرض بعض النماذج المشتملة على لفظة واحدة من بين ألفاظ اسم فعل الأمر ألا وهي حذارٍ أو احذر أو الفعل أحذرك: وهي تنتمي إلى القسم الثالث من أقسام اسم فعل الأمر وتسمى بالأفعال المعدولة إذ أنها: "أسماء عدلت عن فعل الأمر كقولنا (انزل) وحذارٍ منهما معدولان عن فعلي (انزل) و(احذر)..."⁴

سليم صارخاً: "حذارٍ لا تلمسني"⁵ فسليم يصرخ قائلاً: حذار لا تلمسني بمعنى احذر ولا تلمسني فهو اسم أمر فيه تحذير واضح و مباشر. ونجد من جهة أخرى عرقية تتوجه بتحذيرها المباشر، وهو أمر جاء على صيغة اسم فعل أمر احذر ولكنه هذه المرّة استعمال صريح للفعل أحذر تقول:

1 حسين جمعة، مرجع سابق، ص132.

2 ابن خالويه ت370ه، اعراب ثلاثي صورة، طبع تحت إدارة جمعية دائرة لمعارف العثمانية في عاصمة حيدر آباد الدكن، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية 1360ه 1941 ص42.

3 يوسف أبو العدوس، مرجع سابق، ص66، وانظر أيضاً السيد أحمد الهاشمي، مرجع سابق، ص67.

4 المرجع السابق، جمالية الخبر والإنشاء، ص134.

5 محمد ديب، ألف مرحى لمتسولة، الترنيمة الأولى، ص12.

عرفية: "إِنِّي أَحذرك أَيُّهَا الْقَدَّيس..."¹

كما نجد استعمال فعل الأمر الصريح احذر، ولكن هذه المرّة جاء بصيغة الجمع فما هو سليم يصرخ قائلاً:

سليم صارخاً: "احذروا... احموا أنفسكم"²، فسليم يأمر أصدقاءه بحماية أنفسهم موظفاً فعل الأمر احذروا وهو فعل أمر صريح من سليم لأصدقائه.

أمّا الرجل الثاني من نفس المسرحية (ألف مرحي لمتسولة) فبعد أن يؤكد لصديقه نهوض الشخص و التفاته إليهما، هاهو يحذّره قائلاً:

الرجل الثاني: "إنّه ينهض، إنّه يلتفت إلينا حذارٍ، ترى ماذا يفعل؟"³، هنا نجد اسم فعل الأمر حذارٍ واضح وهو من الصيغ الحقيقية للأمر.

فصيغة فعال هي صيغة معدولة عن فعل الأمر، فهي اذن من الأسماء المعدولة... فصيغة فعال أو أي صيغة أخرى معدولة إنّما تؤصل تحوّلًا في الشعور لاختلاف بنية الكلمة؛ وإنّما كان الاشتقاق من مادة واحدة، فنقول الإيقاع الصوتي الصرفي ليس تحوّلًا جامدًا أو مجرد تغيير لا قيمة له في الحضور اللغوي والبلاغي... فالتحول البلاغي يدل على تمثيل دلالي استقرائي لمعنى لم يكن متخزّنًا بالفعل، و إلاّ لما عدل المتكلّم إلى الصيغة الجديدة، أي أنّ المتكلم اختار صيغة الأمر التي تعبر عن مراده كقول أمير المؤمنين عمر لكعب الحبار:

وَمَا بِي حَذَارُ الْمَوْتِ إِنِّي لَمَيِّتٌ وَلَكِنْ حَذَارٍ لِدَنْبٍ يَتَّبَعُهُ دَنْبٌ⁴

1 المصدر نفسه، الترنيمة الأولى، ص13.

2 المصدر نفسه الترنيمة الثالثة، ص45.

3- محمد ديب، المصدر السابق، الترنيمة الخامسة، ص77.

4- حسين جمعة، مرجع سابق، ص134.

الاستفهام:

الاستفهام طلب الفهم، "و الاستفهام مصدر الفعل استفهم واستفهمه سأله أن يفهمه ،وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهم"¹ والفهم لغة "تصوّر المعنى في لفظ المخاطب"² ويعرّف الراغب الأصبهاني الاستفهام قائلاً: "الاستفهام أن يطلب من غيره أن يفهمه"³ أي أن الاستفهام أسلوب من الأساليب الطلبية التي يطلب بها الإفهام أو الاستفهام عن أمرٍ ما .

وقد عقد له سيويوه أبواباً وتحدّث عن أدواته⁴ ومعانيها الحقيقية، وبذلك فهو عند جمهور النحاة و البلاغيين طلب الفهم⁵ أو هو: "طلب الفهم بأداة مخصوصة، أو هو طلب الجواب مع سبق جهل المستفهم أو هو تنبيه السامع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي الجواب"⁶ أي أن أن الاستفهام هو طلب الفهم من المستفهم ويكون ذلك بأدوات مخصوصة لغرض الاستخبار والاستعلام عن أمر يجهله السامع أو المستفهم.

الاستفهام هو الاستخبار وقد ساوى ابن فارس بين معنى الاستفهام والاستخبار فقال الاستخبار طلب خُبر ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام⁷ ولا يفرّق الزمخشريّ بين الاستخبار والاستفهام فيقول: "من فرع من الاستبهاًم فرع إلى الاستفهام"⁸، والاستفهام والاستخبار والاستعلام عند ابن يعيش بمعنى واحد إذ يقول: "إنّ الاستفهام والاستعلام والاستخبار بمعنى واحد فالاستفهام مصدر استفهمت أي: طلبت الفهم، وهذه السين تفيد الطلب، وكذلك الاستعلام والاستخبار مصدر استعلمت واستخبرت"⁹، وأما حدّه عند ابن هشام هشام هو: "طلب الفهم"¹⁰

- 1- ابن منظر لسان العرب، طبعة دار صادر ط2000، [مادة فهم ج 12، ص459.
- 2- علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط1 1987، ص93.
- 3- الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن ضن كتاب النهاية في غريب الحديث و الأثر لابن الأثير، الطبعة الخيرية مصر 1318 هـ، ص368.
- 4- الكتاب، ج1، ص343،340،338،127،108،98.
- 5- مغنى اللبيب، ج1، ص13.
- 6- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص151.
- 7- ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة العبية و سنن العرب في كلامها، تحقيق السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سلسلة الذخائر العدد 99 جويلية 2003، ص220.
- 8- الزمخشري، أساس البلاغة، ج22، ص220.
- 9- ابن يعيش، شرح المفصل، ج8، ص150.
- 10- ابن هشام، مغنى اللبيب، ج1، ص14.

وعرّفه السكاكي بأنّه: "طلب حصول في الذهن والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكماً بشيء على شيء أو لا يكون والأول هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصوّر الطرفين، والثاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق"¹، وهذا يعني أنّ الاستفهام إمّا أن يكون يكون حقيقياً لطلب التصديق، أو لطلب التصور، ومعناه الاستعلام عند العلوي كذلك: "معناه طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام يخرج منه فإنه طلب المراد على جهة التحصيل والإيجاد"²، وقد حدّده الجرجاني بقوله: "الاستفهام: استعلام ما في ضمير الخاطب، وقيل هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فكانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشئيين أولاً ووقوعها فحصولها هو التصديق، إلّا فهو التصوير"³

وعند التهانوي "كلام يدل على فهم ما اتصل به أداة الطلب أو هو طلب ارتسام صورة ما في الخارج في الذهن"⁴

أمّا عند البلاغيين المحدثين فهو: "طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل وهو الاستخبار الذي قالوا فيه: طلب خبر ما ليس عندك أي طلب الفهم"⁵ فالاستفهام إذن أحد أساليب الإنشاء الطلبي في الجملة العربية ولكنّه ""لا يبحث فيه المتكلم في أحياب كثيرة عن إجابة محددة وإنما يهدف إلى تصور ما يتحدث عنه فيخرجه عن حقيقته إلى مقاصد شتى..."⁶، إذ أنّه أسلوب من الأساليب التي يكون أساسها طلب الفهم وبصفته أسلوب من الأساليب اللغوية قبل كلّ شيء وقد وضح لنا ذلك السيوطي بقوله: "أسلوب الاستفهام أسلوب لغوي، قبل كلّ شيء وأساسه طلب الفهم والفهم صورة ذهنية تتعلّق بشخصٍ ما أو بشيء ما أو بنسبة، أو بحكم من الأحكام على جهة اليقين أو الظن، وله قسمان حقيقي ومجازي، وكلاهما لقي عناية البلاغيين العرب قديماً وحديثاً"⁷، وبذلك يكون السيوطي قد حدّد لنا الاستفهام وصوره

1- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 303.

6- العلوي، الطراز، ج 1/ص 286.

7- الجرجاني، التعريفات، ص 309.

4- التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، ج 5، ص 155-156. منشورات شركة خياط للكتب و النشر، بيروت لبنان

5- أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، بغداد، الفصاحة، البلاغة (المعاني)، ص 118.

6- حسين جمعة، مصدر سابق، ص 175.

7- السيوطي، الجامع الصغير، من حديث البشير النذير، ت ح محمد محي الدين عبد الحميد، دار خدمات القرآن، القاهرة،

ضمن حسين جمعة، ص 175.

الذهنية التي لا تقتصر على الأشياء أو الأشخاص أو الأحكام... إلخ، كما قسم لنا الاستفهام إلى استفهام حقيقي و استفهام مجازي.

الاستفهام الحقيقي والاستفهام المجازي:

الاستفهام الحقيقي يكون لغرض الاستخبار عن معلومة لم تكن معروفة من قبل سواء أكانت طلب العلم بشيء أو حقيقة أو صفة" الاستخبار الذي قيل فيه طلب خبر ما ليس عند المتكلم أو هو ما سبق أولاً ولم يفهم حقّ الفهم فطلب فهمه من المخاطب فإذا سئل عنه ثانياً كان استفهاماً¹ وبذلك يطلب المتكلم من المخاطب توضيح دقيق لمعلومة لم تكن معروفة من قبل ولم يكن حاصلًا قبل السؤال عنه ،ويكون ذلك بأدواتٍ مخصوصة ولكل أداة دورها ومعناها..لها الدور أو المعنى الحقيقي والمجازي، ونشرع الآن في إحصاء بعض النماذج المشتملة على أسلوب الاستفهام سواء أكان حقيقياً أو مجازياً وبأدوات مخصوصة وأول هذه الأدوات نجد الأداة (هل) التي يطلب بها التصديق:

هل:

هل حرف من حروف الاستفهام التي يطلب بها التصديق، والتي تدل على الماضي أو على المستقبل وهي عند سيبويه بمعنى قد يقول هل إنّما تكون بمنزلة قد ولكنهم تركوا الألف إذ كانت هل لا تقع إلا في الاستفهام²، ونجد من ذلك قوله تعالى(هل أتى على الإنسان حين من الدهر)³ وكلّه يدخل على الاستفهام المجازي ولا يحتاج إلى إجابة لأنّ (الاستفهام الحقيقي الذي وضع للتصديق يحتاج إلى إجابة فيه تسمى هل بسيطة لأنّه سيستفهم بها عن وجود في نفسه و الجواب يكون بنعم أو لا للنفي⁴، فهل إذن تكون للاستفهام عن الحقيقة أي حقيقة الخبر فهي (من الحروف الهوامل لأنها لا تختص بأحد القبيلين وتكون استفهاماً عن حقيقة الخبر وجوابها بنعم أو لا)⁵، فهي بذلك تكون-هل-للتصديق الإيجابي دون التصوّر

1- المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق(فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل)دار الأفاق الجديدة،بيروت، ط1983، 2، ص160.

2 سيبويه، الكتاب ج3، ص189.

3سورة الإنسان ، الآية 01/76.

4حسينجمعة، مرجع سابق، ص178.

5ابن هشام، مغني اللبيب ، ج2، ص28.

ولا تختص "ولا تكون للتصديق السلبي، فيمتنع نحو: هل زيد قائم أم عمرو؟ لأن تقديم الاسم يشعر بحصول التصديق بنفس النسبة"¹، فهو يتوجب تحديد من هو القائم فعلاً فإمّا يكون زيداً أم عمراً فيتعين في الأخير من هو القائم؛ ولذلك لا يكون لهل هنا معنى التصديق الإيجابي، فلا يمكننا أن نجيب بنعم أو لا.

ونشرع الآن في إحصاء بعض النماذج المشتملة على حرف الاستفهام (هل) وما اختص به من استفهام عن حقيقة خيرٍ ما وأنماط مختلفة.

1- ما يطلب به التصديق: هل:

من الحروف التي يتطلب بها التصديق نجد هل هذه الأخيرة التي يستفهم بها عن الجملة الاسمية نحو هل زيد منطلق؟ كما يستفهم بها عن مضمون الجملة الفعلية نحو هل انطلق زيد؟ أو هل زيد قائم؟ أو، هل قام زيد؟ "فهل يستفهم بها عن مضمون الجملة الاسمية والفعلية على السواء ولكن دخولها على الجملة الفعلية هو الأغلب"²، وهذا ما ذهب إليه سيبويه أيضاً" يقول النحاة بأنها تدخل على الجملة الاسمية³ والجملة الفعلية".

ما دلّ على الماضي:

النمط الأول:

هل+فعل ماضٍ نحو:

عرفية: "هل سمعت؟"⁴، فهذا سؤال يتطلب إجابة ب: نعم أو لا.

هل+فعل ماضٍ+فاعل ضمير مستتر+جار ومجرور فهو:

1 القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، دار الكتاب العربي، بيروت دبت، دط، ص 155-159.

2 شرح ابن عقيل، ج1، ص231.

3 سيبويه، الكتاب ج1، ص492.

4 محمد ديب، ألف مرحى لمتسولة، الترنيمة الأولى، ص12.

نميش: "هل نظرت إليهما"¹، فـنميش يطرح سؤالاً على عرقية حيث تعطي له إجابة وافية وشفافية عن حالة كل من باسل وسليم وما أصابهما من التعب والإرهاك.

هل+فعل ماضٍ+اسم إشارة+جار ومجرور نحو:

عرقية: "هل أدركتما ذلك بمفردكما؟"²، فعرقية تتساءل، أو بالأحرى تريد توضيحاً أو تطلب إجابةً محددة من باسل ونميش، عن استدراجهما لأهمية الموقف الذي وقعا فيه وللضوضاء التي أحدثتها الجماعة (وسيم، بابا ناغ...) وقد تدلّ هل على المستقبل وتأتي بأنماط متنوعة نذكر منها على سبيل المثال:

النمط الأول:

هل+فعل مضارع نحو:

باسل: "هل تأتي"³، فباسل هنا يستفهم ويستخبر عما إذا كانت عرقية ستأتي لاحقاً أمل لا، فهل هنا جاءت للاستفهام أو الاستخبار عن إمكانية حدوث الشيء في المستقبل

النمط الثاني:

هل+السين+فعل مضارع وهذا ما يدلّ على طلب حدوث الفعل لاحقاً أي في المستقبل نحو:

عرقية: "هل ستنهض... نعم أم لا؟"⁴ فعرقية هنا تسأل سليم عن اللحظة التي سينهض فيها من أمامها، وفي هذا الاستفهام نجد نوعاً من التهديد ويتضح لنا ذلك في عبارة: "نعم أم لا؟، فهي توّد لو ينهض سليم حالاً من أمامها لأنه أقلقها بكلامه.

النمط الثالث:

1 محمد ديب، المصدر السابق، ص20.

2 المصدر نفسه، الترنيمة الثانية، ص19.

3 المصدر نفسه، الترنيمة الأولى، ص13.

4 المصدر نفسه، ص25.

هل+فعل مضارع+فاعل ضمير مستتر+مفعول به+ظرف زمان+أن+فعل مضارع منصوب
بأن نحو:

المجنون: "هل تتذوق اللذة بعد أن تموت"¹، فالمجنون هنا يسأل الملك سؤالاً محيراً، ليطالبه
بإجابة دقيقة ومحددة، هذه الإجابة التي لم يستطع الملك الإجابة عنها، لأنه وجد في هذا
المجنون ما لم يجده في العاقل ويتضح لنا ذلك من خلال الرد التالي:

الملك "مفكراً، عقلاء، ليس لديهم ما لديك من الذكاء، إنك تستحق أكثر من أي أحد"²، ففي
النماذج السابقة لاحظنا أن جلّ الصيغ جاءت فيها هل مصاحبة للجملة الفعلية أي دخلت
على الجملة الفعلية، منها ما كان فعلها ماضياً ومنها ما كان فعلها مضارعاً وإلا على
المستقبل القريب أو تخص المضارع بالاستقبال. إنّه هنا جاءت لطلب التصديق الإيجابي
دون التصوّر ودون التصديق السلبي.

وما تجدر الإشارة إليه أيضاً أنّ هل لها معانٍ أخرى متعددة، فهي قد تكون بمعنى قد في
مواقع عديدة فقد تأتي هل بمعانٍ متعددة، فهذا غير غريب أو مستغرب لأن من طبيعة
مفردات أي لغة أن يتعدد معناها الوظيفي"³، ومعنى ذلك أن هل قد تخرج عن حدّ الاستفهام
الحقيقي إلى المجاز فتكون بمعنى قد وذلك لغرض إفادة تحقيق وتأكيد الخبر، وهذا مانجده
على سبيل المثال في قوله تعالى: "هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً
مذكوراً"⁴ وأول من أشار إلى ذلك المبرّد إذ قال: "ومنها هل وهي للاستفهام نحو قولك: هل
جاء زيد وتكون بمنزلة قد في قوله عزّو جلّ (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) لأنها
تخرج عن حدّ الاستفهام"⁵ فهنا (هل) أفادت التقرير وتأكيد الخبر لا الاستفهام والاستخبار عن
شيءٍ ما.

و من النماذج التي دخلت فيها (هل) على الجملة الاسمية نجد:

1 محمد ديب، المصدر السابق، الترنيمة الرابعة، ص.64.

2 المصدر نفسه، الترنيمة الرابعة، ص.64.

3 تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص.163.

4 سورة الإنسان، الآية 01.

5 الميرد، المقترض، ج1، ص.44، 43.

مدير المسرح متشوقاً: "ولكن.. هل هي مسرحية ممتازة حسب رأيك؟"¹، وهو سؤال قصد مدير المسرح من ورائه أن يجد إجابة صريحة من الكاتب حول المسرحية التي كتبها، فهل هي حقاً مسرحية جديرة بالعرض وممتازة فعلاً؟. وتضيف الزوجة بدورها هذا السؤال:

الزوجة مقاطعة: "وهل هذه مشكلة كبيرة في رأيك أنت"²، فقد دخلت هنا (هل) على جمل اسمية إذ "جوّز الكسائي أن يأتي بعد هل اسم"³ ولكن دخول هذه الأخيرة على الجملة الإسمية كان نادراً ما يقع إذ أن دخولها على الجملة الفعلية كان هو الأقوى في أغلبية النصوص التي مررنا بها، فسرعان ما تعود (هل) إلى مكانها في الجملة الفعلية:

مدير المسرح: "هل يوجد هناك مشاهد للفظائع و القتل والدماء في مسرحيتك هذه"⁴، إذ اتصلت هل هنا ب: فعل مضارع +ف+ ج+مجرور... ومن نماذج اتصالها بالمضارع أيضاً: الزوجة مستعطفة: "هل أحضر لك كأساً من القهوة"⁵ وهي من النمط: هل+فعل مضارع+ف+مفعول به+جار ومجرور.

أشرنا إلى النوع الأول من حروف الاستفهام وهو هل والآن سنلقي نظرة على النوع الثاني من حروف الاستفهام وهي: (الهمزة) التي لها هي الأخرى الصدارة في الكلام، فقد تناولها النحويون والبلاغيون لما تمتلكه من خصائص وقد ميّزوها عن هل إذ يقول سيبويه: " وذلك لأنها حرف الاستفهام الذي لا يزول عنه إلى غيره وليس للاستفهام في الأصل غيره"⁶ وقد سميت أيضاً أم الباب⁷ وكذلك أم الاستفهام⁸، فهي أصل أدوات وحروف الاستفهام⁹، والذي جعلها أصل أدوات الاستفهام هو دخولها على همزة الوصل، هذه الأخيرة التي دخلت عليها تثبت وهذا ما أكدّه لنا الرماني بقوله: " والدليل على أصالة همزة الاستفهام أنها إذا

1 انتحار كاتب، المشهد الأول، ص 109.

2 المصدر نفسه، المشهد الثاني، ص 117.

3 السيوطي، همع الهوامع، ج 2، ص 77.

4 انتحار كاتب، المشهد الأول، ص 199.

5- انتحار كاتب، المصدر نفسه، المشهد الثاني، ص 113.

6- الكتاب، ج 1، ص 99.

7- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 4، ص 201.

8- ابن السيدة: المخصص، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ج 4، ص 52.

9- ابن هشام، مغني اللبيب، ج 1، ص 14.

دخلت على همزة الوصل ثبتت وسقطت همزة الوصل¹، وذلك لأصالتها وقوتها في الكلام كما تميز الهمزة أيضاً بالشمول، فهي غير مفيدة كغيرها من الأدوات الأخرى، لا بوقت ولا بحال ويقول في وصفها بالشمول ابن القيم الجوزية: " ... والسؤال بها استفهام بسيط مطلق غير مفيد بوقت ولا حال، والسؤال بغيرها استفهام مركب مقيد إما بوقت كمتى أو إما بمكان كأين وإمّا بحال نحو كيف"²

وقد اقتصت الهمزة كذلك دون بقية أدوات الاستفهام بأنها تستعمل لطلب التصور كما أنها تستعمل أيضاً لطلب التصديق وقد قال في ذلك العلوي: " إفادتها للتصور في مثل قولك أ إدامك زيت أم عسل؟ وعمامتك قطن أم حرير؟ وإمّا كونها سؤالاً عن التصديق ففي قولك أقام زيد؟ أزيد قائم؟ ونحوه أنت ركب؟ ففي الأولى يكون الجواب بذكر حقيقة الشيء، وتصور ماهيته، ومن الثاني يكون الجواب بذكر الحصول أي حصول الصفة أو نفيها، وهذه هي فائدة التصور والتصديق"³

ومما جاءت به الهمزة لطلب أو لفائدة التصديق نجد:

مدير المسرح متشوقاً: "... أيمكن أن تطلعي على بعض خبايا النصر الموعود...؟"⁴.

الكاتب فرحاً: " أجل ... أجل.. النصر الموعود... إنّ هذا النص الذي أعده ليس كسائر النصوص..."⁵، فمدير المسرح هنا يسأل الكاتب وينتظر منه إجابة بنعم أو لا لقد جاء بعد همزة الاستفهام جملة فعلية فعلها مضارع، الاستفهام فيها لطلب التصديق وقد أجابه الكاتب إجابة صريحة قائلاً: أجل، أجل، أي أنّه موافق على أن يطلع المدير على خبايا النصر الموعود.

وما جاء على هذا النمط نجد أيضاً:

1- الرماني، معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مطبعة دار العلم العربي القاهرة، 1973، ص 34.
2- ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع د.ت، د.ط، ج 1/ ص 203.
3- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 308.
4- انتحار كاتب، المشهد الأول، ص 110.
5- المصدر نفسه، المشهد الأول، ص 110.

الصديق (مبتسمًا): "أتسخر مني؟"¹

الكاتب (وكأنه حزين): "أنا أحب شخصياتي كثيرا، كما تعرف... بل أقدمها... وأخشى عليها من كل مكروه..."²، فالصديق تساءل أو بالأحرى يسأل الكاتب بقوله (أتسخر مني؟ بعدما تلقى كلامًا غريبًا من الكاتب وهو: " ... من أنا إلا كاتب..."³

فيرد عليه الصديق بسؤال غرضه التعجب من قوله.

ومن نماذج الاستفهام بالهمزة (كذلك) المتصلة بالفعل المضارع نجد: فشبح المرأة: (غاضبة): "أيمكن أن يطاردني القدر دائمًا وحدي أم أنك تخلق هذه الأعذار الواهية... قل هيا تكلم"⁴، هذه المرأة التي يطاردها شبح موت خطيبها، فهي في حوار ساخن مع الكاتب الذي يؤكد لها موت الخطيب والذي يقّر لها بالقضاء والقدر ونجد ذلك في قوله:

الكاتب "أعرف، أعرف... أعرف أنك تتألمين كثيرا، .. و لكن ما في اليد حيلة"⁵

فالرد صريح جداً، فهذا قرار أكيد وحتمي، وما على المرأة إلا أن تتحلّى بالصبر وأن تؤمن بقضاء الله وقدره.

الكاتب مسترسلاً: "الجمال لا يدركه من كان ينظر ببصيرة الخيال وروح الفنان وملكة الإبداع"⁶ فيرد عليه الطبيب النفسي مقاطعاً.

الطبيب النفسي مقاطعاً: "أتحدثن الموت ونقول جمال؟!!! أترسم الجنائز والمقابر ونقول فن!!!"⁷، فالاستفهام هنا جاء مصحوباً بتعجب كبير أبداه الطبيب النفسي للكاتب وهو يقاطعه أثناء حواره معه.

1- انتحار كاتب ، المشهد الثالث، ص 119.
2- المصدر نفسه، المشهد الثالث، ص 119.
3- المصدر نفسه، المشهد الثالث، ص 119.
4- المصدر نفسه، المشهد الرابع، ص 124.
5- المصدر نفسه، المشهد الثالث، ص 125.
6- انتحار كاتب ، المشهد الخامس، ص 130.
7- المصدر نفسه، المشهد الخامس، ص 130.

مع أن الاستفهام هنا جاء من نمط: الهمزة + فعل مضارع + وهو من المفروض أن يكون لطلب التصديق إلا أن خرج عن هذا الطلب لغرض التعجب وما اختصت به الهمزة لطلب التصديق نجد:

عرفية: " أين أنت؟ ... أنت قريب أم بعيد..."¹، فعرفية هنا تبحث عن نميش وتناديه لخبرها عن مكان وجوده، فجاءت صيغة أ ت قريب أم بعيد؟ وذلك لأجل تحديد مكان تواجده. ومنه أيضا نجد:

وسيم: " ... أهو أنت يا عرفية؟"²، فوسيم هنا يطلب من عرفية أن تجيبه إجابة صريحة لتأكد له أنها هي من أثارت الضوضاء في المكان، ولكن عرفية لم ترد عليه بجواب صريح، بل التزمت الصمت، وهذا ما يزيد من حماس وسيم ورفقته في معرفة السبب الحقيقي لإثارة الفوضى والضوضاء.

فالشك هنا في الفاعل " فإذا بدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو؟"³، لذلك يكون " المسؤول عنه هو الذي يلي الهمزة"⁴، أما إذا ما انتقلنا إلى الاستفهام الذي يطلب به التصور فقط فس نجد نماذج متنوعة اشتملت على: من، وما، كيف، وأين، ومتى، ولم، وماذا، وهي ما يعرف بأسماء الاستفهام وهي تستعمل لطلب التصور فقط⁵

فهي ليست بمنزلة الهمزة (الألف). " فالاستفهام معنى حادث فيها على ما وضعت له الأسماء على إفادة المعنى"⁶، وبذلك " تكون هذه الأسماء بمنزلة هذا، وذلك"⁷، ومن أسماء الاستفهام التي تستعمل للتصور فقط نجد من، فهذه الأخيرة " اسم استفهام يستعمل للسؤال عن الناس"⁸، أي للسؤال عن الشخص وهي على حدّ تعبير المبرد " السؤال عن كل ما يعقل"⁹، أي تستعمل للعاقل فقط، وهي عند السكاكي: " للسؤال عن الجنس من ذوي العلم:

1- محمد ديب، ألف مرحى لمتسولة، الترنيمة الأولى، ص 22.

2- المصدر نفسه، الترنيمة الثانية ص 29.

3- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 111، 112.

4- القزويني، الإيضاح، ج1، ص 132.

5- زين كامل الخويسكي، الجملة الفعلية استفهامية ومؤكدة في شعر المتنبي، ص 14.

6- ابن جني، الخصائص، ج3، ص 81، 82.

7- سيبويه، الكتاب، ج1، ص 189.

8- المصدر نفسه، ج4، ص 229/228 وأنظر كذلك المقضب ج2، ص 296.

9- المبرد، المقضب، ج2، ص 309/306 وأنظر الصاحب، ص 279.

من جبريل؟ بمعنى أبشّر هو، أم ملك، أم جنّي وكذا من إبليس؟ ومن فلام؟¹، فهي إذن للسؤال والاستفسار عن الجنس وهذا ما سلّم به الخطيب القزويني قائلاً: " تكون من السؤال عن الجنس، تكون سؤالاً كما يشخص ويعين المسؤول عنه من بين ذوي العلم. وهذا هو الصحيح، لأنه إذا قيل من فلان؟ يجابُ ب: زيد ونحوه من يفيد التشخيص ولا يصح في جواب من جبريل؟ أن يقال ملك"²، وهذا ما نجده في قول المتنبي:

أجد مقطعة حوالي رأسه ≠ وفقاً يصيح بها ألا من يصفح³، فمن ما سبق قوله عن (من) نجد أنها اسم استفهام يستعمل للعاقل غالباً، وهذا ما أكدّه لنا حسين جمعة بقوله: " من اسم استفهام يستعمل للعاقل غالباً، ويستفسر به عن الجنس كقوله تعالى: (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) يسن الآية 78/36"⁴.

ومن ذلك نجد:

- أهو أنت من جديد يا سليم

عرفية: " ... من يصدر هذا الصراخ؟"⁵

سليم: " مازال يصرخ في الظلام، أتركني هنا قلت لك، يدخل سليم إلى دائرة الضوء..."⁶، فعرفية هنا تعلم أن سليم هو من كان يصرخ ولكنها جددت سؤالها لأن سليم ظهر مرة أخرى ليثير الفوضى والصراخ، فالاستفهام هنا ليس حقيقياً وإنما مجازياً لأنها قالت: أهو أنت من جديد، فهي تعلم أنه سليم ولكنها قالت: من يصدر هذا الصراخ، أي الاستعمال المجازي لأسلوب الاستفهام يكسب المعنى الحيوية ويزيد من التأثير والإثارة، وجذب الانتباه " فالمستفهم من الشيء قد يكون عارفاً به مع استفهامه في الظاهر عنه، لكن غرضه الاستفهام عن أشياء ومنها أن يرى المسؤول أنه خفيٌّ عليه يسمع جوابه عنه، ومنها أن يتعرف حال المسؤول هل هو عارف بها السائل ...، ومنها أن يرى الحاضر غيرهما أنه

1- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 150/149.

2- الخطيب القزويني الإيضاح، ج1، ص 135.

3- ديوان المتنبي، ج2، ص 275.

4- حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص 180.

5- محمد ديب، ألف مرحة لمتسولة، الترنيمة الأولى، ص 12.

6- المصدر نفسه، ص 12.

بصورة السائل المسترشد، لحاله في ذلك من الغرض، ومنها أن يعد ذلك لما يعد مما يتوقعه"1، ومن نماذج خروج الاستفهام كذلك إلى معاني مجازية وباستعمال (من ومتى وما) نجد هذا الحوار الذي دار بين الملك والمجنون2.

-الملك: وما هو سؤالك؟

المجنون: متى يتذوق النائم لذة النوم؟

الملك: يتذوقه حيث ينام.

.....

الملك: بعد أن ينام3.

المجنون: هل تتذوق اللذة بعد أن تموت؟ يبقى الملك صامتاً: أيها الملك أنك لم ترحب.. ترى من مآً يوجد خلف هذا الشباك يقوم بحركة دائرية بين يديه ومن هنا أمامه من هو النائم؟ ومن هو اليقظ؟ من العاقل؟ ومن المجنون؟

الملك: مفكراً " عقلاء ليس لديهم ما لديك من الذكاء، إنك تستحق أكثر من أي أحد..."

- فهذا الحوار يحمل في طياته استفهامات مجازية أكسبته إثارة وحيوية، إذ خرج الاستفهام إلى معنى التسوية، والمدح والتعجب، فالملك يمدح المجنون لشدة ذكائه فهو في نظره عاقلاً والمجنون بدوره وبأسئلته العديدة للملك وضّح للملك وأكد له وبطريقة غير مباشرة أنه هم من يستحق كرسي الملك لا الملك، فهو بذلك يستوي نفسه بالملك، بل وأكثر منه. وقد ذكر لنا سيبويه خروج الاستفهام لبعض المعاني المجازية قائلاً: "... المعاني المجازية للاستفهام

1- ابن جني، الخصائص، ج2، ص 66-417.

2- محمد ديب، ألف مرعى لمتسولة الترنيمة الرابعة ص 64.

3- محمد ديب، المصدر السابق، ص 64.

كالتوبيخ والتحذير والتسوية والتعجب والتقرير والتثبيته...¹، ومن المعاني المجازية للاستفهام بمن نجد هذا الحوار الذي دار بين حطام والغريب²:

حطام: " اعذرنى يا غريب فأني كنت وما زلت قريب من الناس ومن همومهم "

الغريب: ومن قال أن الهموم تراودني؟ "

حطام: " الهموم أشباح تزور وتعانق كل البشر إلا من فارق الحياة. "

الغريب: " دعك من همومي الآن فلنتحدث عن همومك أنت. "

فالغريب هنا يعلم أن الهموم تراوده ويعاني منها، ولكنه حاول إنكار ذلك أمام الحطام بجملة استفهامية ولكن الاستفهام هنا غير حقيقي، لأنه حقا يعاني من الهموم والدليل على ذلك قوله الأخير: " دعك من همومي... ".

ومن النماذج المشتملة كذلك على الاستفهام بمن³ نجد:

المرشد: " قوة خفية تحميه من بطش الجان والعفريت وجده يحميه من بطش الإنس من يكون هذا الرجل؟ هل هو إله؟ "

الداهية: " لا تدع الغضب يتغلب عليك... أقر أن بعض الشباب يتهافتون حوله ويصغون إلى بقائه، ولكن أهل المدينة ينفرون منه "

المرشد: " ولكن أهل المدينة يتهافتون إليه ليلاً "

فالمرشد هنا يتساءل عن هوية هذا الرجل الذي سحر الناس بكلامه، هل هو إله أو ملك أو... ولكن الداهية يعده بان يتخلص من هذا الرجل ولا يكون ذلك إلا من خلال التخلص من محرفه الحقيقي، وهو على حدّ تعبير الداهية سراب الساحر ونجد ذلك في قوله:

1- سيبويه الكتاب، ج1، ص 344/343 وج1 ص 102، ج2، ص 306، وج3 ص 176، ج3، ص 173/172.

2- فجر وأقول، الفصل الأول، المشهد الرابع، ص 156.

3- فجر و أقول، المصدر السابق، الفصل الأول، المشهد السادس، ص 166.

الداهية: " كن مطمئنا يا سيدي، سأجعل الناس تبغضه ... المهم الآن هو أن نتخلص من سراب الساحر الملعون هو من يحرضه علينا...1"

فالاستفهام هنا حقيقي لأن السائل أو المستفهم يحاول أن يستخبر عن هوية هذا الرجل الذي وصل إلى المدينة وحاول جلب الأنظار إليه.

ومن الاستفهام الإنكاري نجد هذا الحوار الذي دار بين شديد والغريب².

شديد: "إنه لا يستحق شفقتك" أي زئير لا يستحق الشفقة.

الغريب: "ومن قال لك إنني أشفق عليه؟"، فشديد هنا بنية الغريب ويخبره بأن زئير لا يستحق شفقة أحد، والغريب رد عليه بجملة استفهامية غرضها الإنكار، فهو يذكر شفقة على زئير "فالإنكار إما أن يكون للتوبيخ أو للتكذيب³.

فالغريب هنا يكذب أمر شفقتة على الغريب.

ومن الاستفهام الذي غرضه الكشف عن شخصية ما هذا الحوار الذي دار بين زئير رماد⁴ حول شخصية الفتاة التي أبهره المبعد: زئير: "من تكون تلك الفتاة؟"

رماد: "غنها تاج الملوك ابنة المرشد خادمة المعبد والإله إزري" رماد هنا يكشف ويخبر زئير أن هذه الفتاة تكون ابنة المرشد وخادمة المعبد. فزئير وجد جوابا شافيا لسؤاله واستفاد من هذه الشخصية.

ومن بعد ذلك نجد أيضا الحوار الآتي⁵.

الغريب: "هذا العبد ليس عبدا كالأخرين إنه عبد الغريب... إن أبناء إله الظلام تلهمه"

شديد: "ومن يلهمك أنت يا غريب؟ فان روايتك لا تنتهي"

1- فجر وأقول ، المشهد السادس، ص 167.

2- المصدر نفسه، المشهد السادس، ص 169.

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة ذكر، ج5، ص 232.

4- فجر وأقول، الفصل الثاني، المشهد الثاني: ص 175.

5- المصدر نفسه، الفصل الرابع، المشهد الثالث، ص219، 220.

الغريب: "بلى يا شديد، بلى سنتتهي فلكل رواية بداية ولكل بداية نهاية"

هذا الاستفهام غرضه التمني، فشديد يتمنى أن تنته رواية الغريب على أحسن وجه، فعبد الغريب تلهمه أبناء إله الظلام، أما الغريب فلا آلة تلهمه ولكن الغريب يؤكد له أن روايته سنتتهي وذلك من خلال قوله السابق، بل يا شديد، بلى يا شديد سنتتهي.

ومن الاستفهام بأي ومن معا نجد¹:

رجل آخر: "نعم يا غريب قل لنا أي أذى تعرض له ولوع؟ وحتمن كان يريد الانتقام؟"

الغريب: "كان الحكواتي ولوع طفل صغير يعيش بين قومه...وفي ليلة هاجم عليهم جنود مدينة العنقاء ... قتل الجميع وشاءت الأقدار أن ينجو ولوع... وعبد صغير اسمه معروف"، فالغريب هنا لم يجب الرجل إجابة شافية، بل اكتفى بسرد قصة ولوع ولما طلبت منه الإجابة قال:

الغريب: لقد نال مني العطش²، وذلك كي يتهرب من ذكر الحقيقة التي يعرفها.

إن الاستفهام بأي كان بمنزلة الاستفهام ب (من) فقد جعله يسويه بمنزلة من إذ قال: "أعلم أن أي مضافا وغير مضافا بمنزلة من، ألا ترى أنك تقول أي أفضل؟ وأي القوم أفضل؟ فصار المضاف وغير المضاف يجريان مجرى من؟"³، فهل هنا يسأل بها عن العاقل وغير العاقل يقول الرجل: أي أذى تعرض له ولوع؟ سؤال عن غير العاقل، أي نوع العذاب والأذى الذي تعرض له لوع "فأي يسأل بها عن، العاقل وغير العاقل، وعن الزمان و المكان والحال والعدد على حسب ما تضاف إليه"⁴.

ومن ذلك نجد⁵:

عقبة: ".. وإن اهتمامي متجه إلى عبثية الفعل في حل معضلة بمعضلة أخرى".

1- فجر وأقول، الفصل الرابع، المشهد العاشر، ص 248، 247.

2- المصدر نفسه، الفصل الرابع، المشهد العاشر، ص 248.

3- سيبويه، الكتاب، ج2، ص 398.

4- ابن يعيش، شرح المفصل، ج7، ص 44.

5- ك.ل.ابن آدم، مسرحية الوهم، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1432هـ/2011، ص 10.

سهيل: "أي معضلة تتوقعها بعد معضلتنا؟"، فاستعمال أيّ هنا جاء للسؤال عن نوع غير العاقل (المعضلة) أي ما هي المعضلة التي ستحدث بعد المعضلة الحقيقية التي حدثت لكل من عقبة سهيل.

ونجد كذلك قول زكية:

زكية: "...أي حل أسلكه معها بعد ثلاث سنين زواجا لها بغير نتيجة؟" ⁽¹⁾ فزكية تسأل عن الحل الذي ستسلكه كي تخرج ابنتها من أزمتها أي أزمة العقم.

وها هي فاضلة تسأل هي الأخرى عن الطريق أو الشيء الذي يحسن من حالة حسناء النفسية:

فاضلة: "وأيّ شيء تراه يعجل بتحسن حالتها النفسية؟" ².

وها هي زكية تسأل مرة أخرى:

زكية: "وأيّ شيء يراه الطّب عويصا في حسناء غير قادر على علاجه فيها حسب توقعك؟" ⁽³⁾، إنه سؤال وجهته لسهيل كي تجد إجابة شافية لها، ولكن سهيل يرد عليها قائلاً:

سهيل: "لا علم لي بأن الآن منها لأن ظروفها شاذة...⁴"، فإجابة سهيل تدل على أنه يعرف ويعلم مشكلة حسناء الحقيقية.

فأيّ إذن "تصلح لكل بحسب ما تضاف إليه" ⁵

1-ك.ل.ابن آدم، مسرحية الوهم، المصدر السابق، ص 14.

2- المصدر نفسه، ص 29.

3- المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد الأول، ص 42.

4- المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد الأول، ص 42.

5- مسعود بودوخة، مدخل على البلاغة العربية وعلومها، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2015، ص 22.

أما عن الاستفهام بـ ما سواء جاءت بمفردها أو اتصلت بـ (ذا) فهي للسؤال عن كل شيء وهذا ما أكده لنا سيبويه بقوله: "ما مبهمة تقع على كل شيء"¹ فهي بمعنى أي شيء عقولنا، ما هذا؟ ما لونه؟، ... ففي قول الغريب هذا نجد:

الغريب: "ما ذنب هذا الرجل؟"²، فما هنا وقعت للتساؤل عن ذنب هذا الرجل، رماد الذي تعرض للجلد في ساحة المعبد فيرد سيد رماد بإجابة تتضمن ذنب هذا الرجل قائلاً:

سيد رماد: "إنه ينفر من لعمل، لسانه جريء، يلقي الشعر على مسامع العبيد، يشتكي فيه من العبودية ... يحلم بحرية لا تليق إلا بالنبلاء"³ فـ (ما) هنا جاءت للسؤال عن الوصف... فما للسؤال عن الوصف تقول: ما يزيد ما وما عمرو؟ وجوابه الكريم أو الفاضل وما شاكل ذلك"⁴.

فما في الحوار السابق جاءت لتبين لنا أوصاف هذا العبد (وهاء) التي جعلته يتعرض للضرب والجلد أمام الجميع والإجابة المولية للسؤال يثبت لنا أوصافه (اللسان الجريء، ينفر من العمل...). "فما يسأل بها عما لا يعقل وعن صفات من يعقل"⁵ ومن النماذج كذلك المتضمنة السؤال بـ ما: عرفية: "ما بها؟"⁶، فهي تسأل عن الشيء الذي أصاب كل من سليم سليم باسل، ولكن نميش يقدم لها إجابة يوضح لها من خلالها، الشيء الذي أصابها نميش "الم تلاحظي ما أصابها من الإنهاك؟"⁷ فما إذن للسؤال عن أي شيء "فهي تفيد العلوم للعقلاء وغيرهم..."⁸: هذا عن السؤال بـ (ما) بمفردها.

من خصائص ما اقترانها بـ (ذا) الذي قد يكون -أي ذا- للإشارة أو الوصول، وهذا ما أورده ابن هشام: "أن تكون ما استفهامية وذا إشارة نحو لماذا التواني و ماذا السكون؟". وان تكون ما استفهامية وذا موصولة كقول لبيد

- 1- سيبويه، الكتاب، ج4، ص 328.
- 2- فجر وأقول، الفصل الأول، المشهد الثاني، ص 147.
- 3- فجر وأقول، الفصل الأول، المشهد الثاني، ص 147.
- 4- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 310.
- 5- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ما)، ج 20، ص 08.
- 6- محمد ديب، ألف مرعى لمتسولة الترنيمة الأولى ص 20.
- 7- محمد ديب، ألف مرمى لمتسولة الترنيمة الأولى، ص 20.
- 8- شرح المفصل، ج4، ص 05.

أَلَا تَسْأَلَنَ الْمَرْءَ مَاذَا يُحَاوِلُ أَنْحَبُّ فَيَقْضِي أَمْ ضَلَّالٌ وَبَاطِلٌ؟¹

أي ماذا يحاول المرء أن يفعل، ومنه ذلك نجد هذا الحوار:

سعاد: "و إن لم تستجب له أمه فماذا تفعلين؟"²

خديجة: "أقرر الشغل عن قريب"، أي ماذا تحاولين أن تفعلي إن رفعت أمه تقديم المساعدة، فاقتران ما هنا مع ذا جاء للسؤال والاستفهام.

إنه في اقتران، ما ب (ذا) القوة والمبالغة في الاستفهام لا نجدها في الاستفهام ب (ما) ففي قولنا ماذا فعلت؟ قوة ومبالغة ليست موجودة في قولنا، ما فعلت؟ ولعل ذلك يعود إلى زيادة حروفها³ ففي هذا القول مثلا:

زكية: "وما تضن في الأمر السري؟"⁴ لو قلنا ماذا تظن في الأمر السري؟ لكان الاستفهام أبلغ أبلغ وأقوى وكذلك نجد:

عفاف: "لكن ما يكون موقفي؟"⁵، فالاستفهام ب (ما) أضعف من الاستفهام ب (ماذا) نلاحظ مثلا:

زكية: "وإن لم تعثر عليه فماذا تفعل"⁶، إن أغلب الاستفهامات جاءت من النمط ما + ذا، وهذا ما بين لنا القوة والمبالغة في الاستفهام ومن جملة النماذج المشتملة على هذا النمط من الاستفهام نجد:

عرفية "وعن ما ذا سألت إذن"⁷

1- ابن هشام، مغني اللبيب، ج1، ص 302/300.
2- ك.ل ابن آدم، مسرحية الصماء، الفصل الأول، المشهد الأول، ص 19.
3- معاني النحو، ج4، ص 637.
4- ك.ل ابن آدم، الوهم، الفصل الرابع، المشهد (01)، ص 81.
5- ك.ل ابن آدم الصماء، الفصل الأول، المشهد الأول، ص 21.
6- ك.ل ابن آدم الوهم، الفصل الرابع، المشهد الثاني، ص 91.
7- محمد ديب، مصدر سابق، الترنيمة الأولى، ص 13.

باسل: "...ماذا فعلت بالآخرين"¹

باسل: "والآن ماذا؟"²

سليم: "ماذا؟ ألا تستريح قليلا؟"³

عرفية: "ماذا أصابك"⁴

عرفية: "ماذا؟ ما به الجبل؟"⁵

الرجل الثاني: "ماذا أصابك؟ ما الذي تجدد مهما فيه"⁶

فقد جاءت جل الاستفهامات هنا للتعبير أو للتساؤل عن الوصف أو من أي شيء آخر، فتارة أفادت الوصف وتارة العلوم ومن ذلك أيضا نجد هذا الحوار الذي دار بين الكاتب وزوجته:

الكاتب: "ماذا عرفت؟ ماذا فهمت؟ ..قولي"⁷

الزوجة: " أنا متأكدة أنك تخاصمت مع مدير المسرح من جديد، أليس كذلك؟" فالكاتب يسأل زوجته يريد منها أن تفسر له ما فهمته وما عرضته، فهو يخفي عنها شيئاً ما وتحاول معرفته.

وها هو شبح المرأة يطارد الكاتب، غاضبا من تصرفاته وخطوته:

شبح المرأة: "ماذا جنيت من كل أفعالك ماذا جنيت من غطرتك وجنونك؟ قل؟"⁸

1- محمد ديب، مصدر سابق، الترنيمة الأولى، ص 15.

2- المصدر نفسه ، الترنيمة الأولى، ص 16.

3- المصدر نفسه ، الترنيمة الأولى، ص 21.

4- المصدر نفسه، الترنيمة الأولى، ص 44.

5- محمد ديب، المصدر السابق ، الترنيمة الأولى، ص 48.

6- المصدر نفسه ، الترنيمة الخامسة، ص 74.

7- انتحار كاتب، المشهد الثاني، ص 113.

8- انتحار كاتب، المشهد الرابع، ص 122.

فماذا هنا جاءت للسؤال عن عدة أشياء حاول شبح المرأة أن يلفت الكتاب إليها فأخذت العلوم أي علوم الأشياء، ولكن الكاتب قائلاً: "لا حاجة لي في الآخرين... أنا أفعل ما يحلو لي..." وبإجابته هذه يتهرب من الإجابة الصريحة التي طالما أخفاها في أعماقه.

هذا عن ما واتصالها بذا الذي قد يكون للإشارة أو الوصف أو استناد موصولاً أما عن ماذا الذي يكون استفهاماً كله على التركيب¹ فنجد:

عرفية: "لماذا تريدني أن أتركك يا سليم؟". لماذا تريدني أن أتركك أيتها العنيدة²

فعرفية تريد معرفة السبب الذي سيجعل سليم يتركها وحيدة فهنا جاءت مركبة للاستفهام عن السبب الذي سيجعل سليم يترك عرضية فلا يمكن أن تأتي ما لوحدها فلا بد أن تأتي مركبة مع ذا ومن هذا النمط أيضاً نجد:

عرفية: "لماذا كل هذا الصراخ؟"³

الغريب: "لماذا لم تقاوم يا حطام لماذا ركعت أمام الناس؟"⁴

زئير: "لماذا تعني به هكذا؟"⁵

"لماذا لا تريد مساعدتي على الموت"⁶

الغريب: "لماذا نركع للعفاريت والجان؟"⁷

نعم مخلوقات من نار لسانا منهم وليسوا منا

زئير: "لماذا تطعميني؟"⁸

- 1- ابن هشام، مغني اللبيب، ج1/ ص 302/300.
- 2- محمد ديب، ألف مرعى لمتسولة، الترنيمة الأولى، ص 12.
- 3- محمد ديب، ألف مرعى لمتسولة، الترنيمة الثالثة، ص 44.
- 4- نور جاي علاش، فجر وأقول، الفصل الأول، المشهد الأول، ص 167.
- 5- المصدر نفسه، الفصل الأول، المشهد الأول، ص 157.
- 6- المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد الأول، ص 168.
- 7- المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد الأول، ص 170.
- 8- المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد السادس، ص 184.

تاج الملوك: "لا أدري، إن قوة غريبة تحثني على الاعتناء بك"

فزئير يريد معرفة السبب الذي جعل تاج الملوك تعتني به وتطعمه، أمر الشفقة أم الحب؟
ولكن تاج الملوك تتردد في الاعتراف قائلة:

تاج الملوك "كيف تجراً؟ أنا... أنا... أنا أحب رجلاً مثلك؟"¹ وهنا هو الغريب يطلب من
الحطام أن ينصرف ولكن هذا الأخير يحاول معرفة السبب فيرد عليه قائلاً:

حطام: لماذا تريد أن أنصرف؟²، فيرد عليه الغريب ويطلبه بأسره قائلاً:

الغريب: "انصرف يا حطام أريد أن أناجي نفسي" وها هو رماد يلوم الغريب على ما فعله
بكنز الأولين قائلاً:

رماد: "لقد ضاع كنز الأولين

لماذا تخليت عنه؟

لماذا قدمته للغفريت"³

الغريب: كنت مضطراً لفعل ذلك يا رماد فحياة البشر أهم من الكتاب" فالغريب قدم وصرح له
بالسبب الذي دفعه إلى التخلي عن هذا الكنز الثمين.

ويقع زئير تحت وطأة تهديد شديد وكل ذلك تحت أنظار غريب:

شديد: "لماذا لا تطع الأوامر؟

لماذا تريد تنظيف ساحة المعبد؟"⁴

ولكن شديد يقف ساكناً أمامه لتظهر تاج الملوك التي تدافع عنه قائلة:

1- نور جاي علاش، الفصل الثاني، المشهد السادس، ص 184.

2- نور جاي علاش، المصدر السابق، الفصل الثاني، المشهد السابع، ص 185.

3- المصدر نفسه، الفصل الثالث، المشهد السابع، ص 209.

4- المصدر نفسه، الفصل الرابع، المشهد الخامس، ص 223.

تاج الملوك: "توقف، توقف، دعه وشأنه"¹ وها هو حطام يندد القوم على شربهم للخمر وابتعادهم عن الطريق الصحيح قائلاً:

حطام: "لماذا يا قوم؟ لماذا كل هذا الجهل؟"² فهو استفهام يحمل في طياته اللوم والعتاب ولاحتقار لمن يشرب الخمر وابتعد عن مرضاة الله.

وقد ورد الاستفهام ب (لماذا؟) ولكن بصيغة أو باللهجة العامية علاه،... في النصوص المسرحية المكتوبة بالعامية.

ومن جملة ما جاء على هذه الصيغة، الحوار الذي دار بين ماري والضابط:³

الضابط: "ما نقدرش نجاوبك على هذا السؤال..."

ماري: علاه واش كاين فيها؟، فكلمة علاه بالعامية تعني لماذا؟ بالفصحى.

ومنه كذلك نجد:⁴

ماري: متناقلة: نعم واش تسحق عندي"

الضابط: "علاش خرجتي؟".

فكلمة علاواش تسحق بالعامية، ماذا تريد مني؟ وكلمة علاش تعني لماذا؟

بلقاسم: "واش بيك يا صاحبي؟" بمعنى ما بك؟⁵

محمد "واش يخصك؟"⁶

ومن مسرحية ناس الحومة نجد:⁷

- 1- نور جاي علاش، الفصل الرابع، المشهد الخامس، ص 223.
- 2- المصدر نفسه، الفصل الرابع، المشهد الثامن، ص 240.
- 3- قاسمي جمعة، النصر المتفجر، الفصل الأول، المشهد الأول، ص 275.
- 4- المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد الخامس، ص 287.
- 5- المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد السادس، ص 289.
- 6- المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد السادس، ص 290.
- 7- مسرحية ناس الحومة، الفصل الأول، اللوحة الأولى، ص 25، 26، 30.

حمدي: "آسيدي واش صار...؟"

الرجل 1: "آه... لا شيء يا عمي إبراهيم... علاه؟"

الشيخ إبراهيم: "...واش هذا يا الشيخ المحفوظ، تقول عندك مغروس وجبدوك؟"

فكلمات واش صار، وعلاه، وواش هذا جاء بمنزلة لماذا أو ما هذا.

ومنه لذلك نجد:

الشخص 4 الذي يتحدث عن أزقة المواصلات وانتظار الطويل لحضور الحافلة:

الشخص 4 "ووكي يجي يهز نص من الغاشي والباقي يزيد يستنى ساعة أخرى ... هذي ماشي خدمة، هذه علاه المنكر هذا علاه؟"¹، فكلمة علاه تعني لماذا كل هذا العمل غير مقبول.

إبراهيم: "أحلة واش راك تدير"²، أي ماذا تفعل هنا؟ ومنه كذلك الحوار لتالي بين كل من خوخة وخرابطة وصوت إبراهيم الموشم والمحفوظ³:

خوخة: " حتى الدرك وفي هذا البرد، علاه مارحتش ترقد؟"، أي لماذا لم تذهب للنوم؟

خرابطة: "واش كايين؟ واش بيكم؟"، أي ماذا يحدث؟ وما بكم؟

الموشم: "... واش بيك يا خرابطة؟"، أي ما بك؟

صوت إبراهيم: "يا خوخة واش الحس هذا؟" أي ما هذا الصراخ؟

ومنه كذلك هذا الحوار الذي دار بين حمدي وعائشة⁴:

حمدي: "خير يا أمي عائشة واش قالك الطبيب؟".

1- ناس الحومة، مصدر سابق ، الفصل الأول، اللوحة الأولى، ص 40.

2- المصدر نفسه، الفصل الأول، اللوحة الأولى، ص 48.

3- المصدر نفسه ، الفصل الأول، اللوحة الثانية، ص: 51،52،54،55.

4- المصدر نفسه ، الفصل الثاني، اللوحة الثانية، ص 126-127.

عائشة: "...سقساني واش كليت وواش اشريت".

وكذلك:

الهامل: "واش هم هذا؟، الناس تخدم وانتوما تنتقابطوا"¹.

ومن اللوحة الأخيرة نجد:²

...حمدي: "واش قال علي؟"

عائشة: "راه قابل واش قلت يا سي ابراهيم؟"

ومن نماذج الاستفهام بـ ماذا يعني ما + ذا الموصولة الحوار الثاني³: نزيهة: " والبائع؟"

رشيد: "تشروه"

نزيهة: "والمسؤول واش يقول؟"

نسيمة: "تسكتوه"، فالاستفهام في عبارة واش يقول؟ أي ماذا الذي يقول؟ فـ "ما + ذا الموصولة وجه من أوجه الاستفهام نحوس ذا كتبت؟ أي ما الذي كتبت؟"⁴، ومنه كذلك الحوار التالي⁵:

فيصل: "مزال ما كلمته..."

رشيد: " واش تستنى ... واش عندك؟"، أي ماذا تنتظر؟

ومنه أيضا:

1- ناس الحومة مصدر سابق، الفصل الثاني، اللوحة الرابعة، ص 160.
2- المصدر نفسه، الفصل الثاني، اللوحة الأخيرة، ص 168.
3- علي ناصر، مسرحية كح وفوت، من نصوص الكاكي الذهبي، المشهد الأول، ص 15.
4- محمد سويرتي، النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم، تقريب توليدي وأسلوب وتداولي، إفريقيا الشرق المغرب 2007، ص 152.
5- علي ناصر، كح وفوت، المشهد الثاني، ص 33.

نسيمة: " واش درت آرشيد زوج بزاف عليه بغي تهيل ولدك؟"¹، أي ما الذي فعلته؟

ومنه أيضا الحوار الآتي²:

ر. البلدة: "واش راه يقول؟"

رشيد: "ما ديرش عليه شارب ويعترف"، أي ماذا يقول هذا الشاب أو ما يقوله؟

فكلما لاحظنا سابقا أن الاستفهام بـ: ماذا؟ كان هو الأقوى وذلك بما تخمنه من مبالغة وقوة.

أما عن الاستفهام بكيف؟ والتي تعني على أي حال³، فلقد جاءت كيف مبني على الفتح لأنها متضمنة معنى همزة الاستفهام "فهي تغني عن التعديد الأحوال لأنها أكثر من أن يخاطبها"⁴. فقول كيف حالك اليوم؟ أي بأي حال أنت اليوم إذ أن: "كيف أنت؟ تريد من ورائها بأي حال أنت؟"⁵، فقولنا للمريض كيف أنت اليوم؟ أي كيف حالك اليوم؟ " فهي للسؤال عن الحال، إذا قيل كيف زيد؟ فجوابه: صحيح أو سقيم، مشغول أو فارغ"⁶، فكيف إذن "يسأل به عن الحال وعن الصفات الغزيرة مثل: كيف زيد أسقيم ام صحيح؟ ولا يقال كيف زيد أقاعد أم قائم؟"⁷، ومن ذلك نجد:

الأم: "وليدي محمد، واش راك، راك مليح؟"⁸، أي كيف حالك حسن أم لا. ومنه أيضا:

فاضلة: "عم مساء كيف أنت يا حسناء؟"⁹، كيف حالك وكيف صرت أتحسننت صحتك أم لا.

ومنه أيضا هذا الحوار¹⁰:

- 1- علي ناصر، المشهد الثالث، ص 68.
- 2- المصدر نفسه، المشهد السابع، ص 95.
- 3- سيوييه، الكتاب، ج 4، ص 233.
- 4- ابن السراج، الأصول، ج 2، ص 136.
- 5- ابن فارس، الصحابي، ص 243 وانظر كذلك الزركشي البرهان في علوم القرآن، ج 4، ص 355.
- 6- العلوي الطراز، ج 3، ص 288.
- 7- إبراهيم قلاتي قصة الإعراب، جامع دروس النحو ولصرف، دار الهدى للنشر والتوزيع، دبط، 2006، ص 140.
- 8- قاسمي جمعة، النصر المتفجر الفصل الثاني، المشهد السابع، ص 291.
- 9- ك.ل ابن آدم، الوهم، الفصل الأول، المشهد الأول، ص 20.
- 10- المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد الثاني، ص 55.

زكية: أهلا فاضلة.

فاضلة: كيف حالك وحال حسناء؟"، ففاضلة هنا تسال عن حال زكية وحال حسناء أي عن صحتها وصحة حسناء.

سعيد: "كيف حال الوالدة؟"¹، سعيد يسال آخاه عن حال الوالدة وصحتها. فالاستفهام في النماذج السابقة كان بـ كيف التي هي "اسم يستعمل للسؤال عن الحال سواء وقع طرفا يخبر به، كقولنا كيف أنت؟ وكيف كنت؟"² كما قد يفيد الاستفهام بكيف أسلوب التوبيخ³ ومنه نجد:

محمود: "وكيف صبرتم على أمثال هذه المخازي تقتحم عليكم منزلكم الطاهر النقي؟"⁴ فمحمود يوبخ إخوته على السماح للدجالة بالدخول إلى منزلهم، وذلك طبعاً بإرادة من زوجة الأب، فهو يلومهم ويوبخهم على صبرهم هذا الذي سمح لهذه القرابة أو الرغبة بالاقتراب منهم.

ومنه أيضاً هذا الحوار⁵:

الصديق: "كيف تقول كلاماً كهذا؟.. وأنت تتقنن في قتل شخصيتك" ومنه أيضاً⁶

الكاتب بكل برودة: لأنه كان يجب أن تموت، هذا كل ما في الأمر."

الصديق: "كان في مقدورك أن تقلل من عدد الأموات.

1- أحمد بن ذياب، امرأة الأب، مسرحية اجتماعية ذات أربعة فصول، دار الشباب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، ط2، دبت، الفصل الأول، ص 18.
2- حسين جمعة، مرجع سابق، ص 180.
3- محمد سويرتي، مرجع سابق، ص 134.
4- أحمد بن ذياب، امرأة الأب، مصدر سابق، ص 18.
5- انتحار كاتب، المشهد الثالث، ص 119.
6- المصدر نفسه، المشهد الثالث، ص 120.

الكاتب: "وكأنه يبرر ما يقول: "كيف؟، كيف لقد حاولت مرارا وتكرارا ولكن؟"، فالصديق يوبخ الكاتب على به الذي من خلاله قتل شخصياته ومن جملة ما جاء بأسلوب التوبيخ أيضا نجد هذا الحوار¹:

عرفية: "رغم ذلك، فإذا كان هناك شيء يعلمنا ما فهو تضحية الذين ذهبوا ليطمئئوا في الجبال"
بابا ناغ: "الموتى يا عرفية، كيف تريدون منهم المساكين عمل شيء ما للأحياء؟" ففي كلام بابا ناغ لوم وتوبيخ كما صدر عرفية من كلام في حق هؤلاء المساكين.
ومنه أيضا هذا الحوار²:

المجنون: "كيف يشعر باللذة قبل أن يأخذ النوم؟"

الملك: "بعد أن ينام"، فالمجنون هنا يوبخ الملك وذلك لشدة غبائه، وقد صرح الملك في الأخير شدة فطنة هذا المجنون ونجد ذلك في قول الملك: "...عقلاء ليس لديك من الذكاء، إنك تستحق أكثر من أي أحد..."³
ومن ذلك كذلك نجد الحوار التالي⁴:

ابراهيم: "يجلس على درجة يحط رجلا على رجل ويجبد منديله ويمسح أنفه كيفاه هذا؟"

حمدي: "...تسعة في العائلة.. كي تعود البيت اللّي تطبخ فيها ترقد فيها.. كيفاش ترتاح...ط، فإبراهيم حائر وحمدي يوبخه على تصرفه مع الجيران.

كما جاءت كيف في سياق أسلوب النفي والإنكار⁵ ومنه نجد هذا الحوار⁶:

حمدي: "عندي زوج اکتاباتانتاع لولاد خوتي، مكتبة ما خليتها"

1- محمد ديب، مسرحية ألف مرجى لمتسولة، الترنيمة 02، ص 31.

2- محمد ديب، مصدر سابق، الترنيمة 04، ص 64.

3- المصدر نفسه، الترنيمة 04، ص 64.

4- ناس الحومة، الفصل الأول، اللوحة الأولى، ص 27.

5- محمد سويرتي، مرجع سابق، 134.

6- ناس الحومة، الفصل الأول: المشهد الأول، ص 28.

الرجل 1: "كيفاه مالقيتش".

حمدي بسخرية: "لا لا ألقيت كيفاه تعرف تطبخ، كيفاه تتعلم تصيد وتطرز.. وباه تتعلم تقرا مالقيتش"، فحمدي هنا يؤكد للرجل بأنه وجد الكتب الخاصة بالطبخ والطرز... أما كتب القراءة فنفي وجودها وأنكره وقد جاء انكار بأسلوب السخرية والتحكم.

ومن وظائف كيف نجد الوظيفة الحالية¹ أيضا في هذا الحوار²:

الرجل الثاني: ضاحكا: "كيف عرفت أنه يتنفس؟"

الرجل الأول: "سمعته يتنفس.. قلت لك.. وقد تحرك كذلك"، فالرجل الأول عرف حالة هذا الشخص من خلال سماعه له ومن خلال وضعيته (الحركة).

كما تأتي كيف في سياق أسلوب التعجب³ ومنه الحوار الآتي⁴:

الطبيب النفسي: "وهكذا كنت تعامل أعدائك؟"

الكاتب: "بل أكثر من ذلك".

الطبيب النفسي: "كيف؟"

الكاتب: "لو وجدت عدوي على شفا حفرة من نار لما ترددت في رميه من الأعلى"

الطبيب النفسي: "إذن كيف تدعي أنك بريء مما حدث؟"، ففي الحوار تعجب من حالة الكاتب الغربية من خلال معاملة لشخصياته ولذم وتوبيخ تلقاه من طرف الطبيب النفسي وذلك في قوله: كيف تدعي أنك بريء مما حدث؟".

ومنه أيضا الحوار الآتي⁵:

1- محمد سويرتي، مرجع سابق، ص 134.
2- محمد ديب، ألف مرجى لمتسولة، الترنيمة الخامسة، ص 74.
3- محمد سويرتي، مرجع سابق، ص 135. وانظر كذلك إبراهيم قلاتي، قصة الإعراب، ص 140.
4- انتحار كاتب، المشهد الثاني، ص 114.
5- محمد ديب ألف مرجى لمتسولة، الترنيمة الثانية، ص 27-31.

باباناغ: "ألا ترين كيف أنهم جميعا يغدرن أذانهم"

وسيم: "لو أنكم فقط لم تذبحوا الأبرياء وتتشروا..."

عرفية: "...الثورة التي صنعتك كيف جرى الأمر بالدخول؟ مرفوقة بالموسيقى أريد أن اعرف"، فالحوار نفس استفهامات بكيف ولكنها حملت في طياتها تعجب وفقه هنا السياق الذي سقت فيه الحوارات.

وقد يكره الاستفهام باسم الاستفهام أين هذا الأخير الذي بمعنى أي مكان¹، أي يستفهم عن المكان أي مكان وقوع فعل من الأفعال، أو المكان الذي حل فيه الشيء فهي "للسؤال عن المكان أين زيد؟ فجوابه في الدار أو في المسجد أو في السوق بتنظيم الأماكن كلها"²، أي تحديد المكان الذي يتواجد فيه زيد وهي عند ابن الشجري: "من الظروف المستفهم بها، وهي اسم من أسماء الأمكنة مبهم، يقع على الجهات الست..."³، فهو إذن ظرف يستفهم به عن المكان الذي حل فيه الشيء لقوله تعالى: (يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَقَرُّ)⁴، أما إذا دخلته من "كان سؤال عن المكان برز الشيء من أين جئت؟ مبني على الفتح في محل جر بحرف الجر"⁵، فهي على العموم تكون للسؤال عن المكان.

ومن النماذج المحتملة الاستفهام بأن الذي يحدد المكان نجد الحوار التالي⁶:

خوخة: "واينرايحيننشروا أما لا؟"

ومنه أيضا نجد⁷:

عبد القادر: "أنا عبد القادر يا الشيخ المحفوظ"

1- سيبويه الكاتب، ج2، ص 128 وج4، ص 233 وانظر كذلك ابن فارس في كتابه الصحابي، ص 101.
2- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 313، وكذلك شرح المفصل ج7 ص 45.
3- ابن الشجري، الأمالي الشجرية، ج1، ص 263.
4- سورة القيامة، الآية 10.
5- إبراهيم قلاني، قصة الإعراب، ص 138.
6- ناس الحومة، الفصل الأول، اللوحة الأولى، ص 24.
7- المصدر نفسه، الفصل الأول، اللوحة الثالثة، ص 77.

المحفوظ: "أنت سي عبد القادر، وهوسي عبد العالي وأنا... أنا الشيخ المحفوظ وبين رحى؟"، فهو يسأل عبد القادر إلى أين ذهب كل هذه المدة.

ومنه الحوار الآتي¹:

الشيخ المحفوظ: "واش هية هذه؟ انخرجهم ولا باس.. وواينرايح الدير البروات انتاع الفابريكة اللي قريب تطلع"

الشيخ إبراهيم: "وهما ثاني واينرايحين يسكنوا مساكن؟"، فالشيخ المحفوظ محتار أين يضع أغراض الفابريكة ولكن الشيخ إبراهيم يلومه ويعاتبه على اخراج هؤلاء المساكين من المنازل التي؟؟؟ قائلواينرايحين يسكنوا مساكن؟ومنه نجد²:

عرفية: تتوجه إلى وسيم: "أريد أن أعرف، أين شاركت في الثورة إذا لم يكن الأمر شرا؟"

وسيم: "ليست إجابتك في عصر النبوة"، فعرفية تريد معرفة المكان الذي شارك فيه وسيم في الثورة أي كان الأمر ليس شرا.

ومن النماذج التي اشتملت على الاستفهام ب أين بمفردها وبدخول من عليها نجد الحوار الآتي³:

وسيم: "أنت يا من تنطقين شعرا من تكوني؟"

عرفية: "عجوز مسكينة"

وسيم: "لكن... من أين اتيت؟ واين تقصدين؟"، فاتصال من بأين يعني السؤال عن مكان برز الشيء، أي حددي لي المكان الذي جنئت منه إلى أين ستذهبين؟.

ومنه أيضا الحوار الآتي⁴:

1- ناس الحومة، المصدر السابق، الفصل الثاني، اللوحة الأولى، ص 118.

2- محمد ديب، ألف مرعى لمتسولة، الترنيمة 02، ص 31.

3- محمد ديب، ألف مرعى لمتسولة، الترنيمة 04، ص 62.

4- محمد التوري، زعيط ومعيط ونقاز الحيط، الفصل الأول، ص 33.

حورية: "منين أنتما؟"

الحيط: "ياخواتي بلادنا بعيدة، والطريق طويلة والغربة صعبة".

حياة: "ومنين ماشيين هكذا؟"، فحورية تسأل زعيط ومعيط ونقاز الحيط عن موطنهم الحقيقي من أين جاءوا إلى هذا المكان، وإلى أين وإلى أين سيتجهون.

ومنه أيضا¹:

جميلة: أنت من أين؟"

القزانة: "أنا تونسية، ولية بنت ولية، جئت من الثنية"، فجميلة تسال عن المكان الذي جاءت منه القزانة بدررها حددت لها المكان بذكر اسمه (تونس) ويذكر موقع محدد أي مكان برز وهو الثنية.

ومن الاستفهام كذلك باين بمفردها نجد:

بسمة: "أنتما ما تستعقلش وين بايت البارح العجوز قلبت عليك المدينة؟"²، فهي تسأل عن المكان الذي بات فيه الرجل وترك الوالدة تبحث عنه في كل أرجاء المدينة.

ومنه نجد أيضا:

رشيد: "وين بيها يا امرأة؟"³، فرشيد يسأل الزوجة متعجبا منها من تصرفها وين بيها يا امرأة أي اين ستذهبين في مثل هذا الوقت! أما عن الاستفهام ب متى فنجد ما يلي⁴:

سليم: وزعم أن بدأ النهار سيطلع.

نعيش: أنا أزعم، أنا أزعم.

1- أحمد بن ذياب، امرأة الأب، الفصل الثالث، ص 40.

2- علي ناصر، كح وفوت، الفصل الأول، ص 26.

3- المصدر نفسه، الفصل الأول، ص 75

4- محمد ديب، الف مرحي لمتسولة، الترنيمة الأولى، ص 21.

باسل: "هنا إنني هنا...¹.

عرفية: "ليس بعد أيها الأبله.

نميش: "متى سمعتني أزعم؟..."

فالاستفهام بمتى يكون للسؤال عند الزمان "فهو اسم استفهام بمعنى أي زمان"²، فتكون للسؤال عن الزمان ماضيا كان أو مستقبلا، فقول نميش متى سمعتني أزعم أي، حدد لي الوقت أو الزمان الذي كنت أزعم فيه بأن النهار سيطلع، وقد جاءت هنا للسؤال عن الزمان الماضي، "فيقال مثلا: متى جئت؟ والجواب شهرا..."³

ومن نماذج الاستفهام ب متى لتعيين الزمان الماضي نجد:

جميلة: "منذ متى حاولت الإفساد بينكم، إن أباكم لا يزال جمعية لكم"⁴ فجميلة تطلب من أبناء زوجها أن يحددوا ويذكروا لها الزمان الذي حاولت فيه أن تبعدهم عن والدهم، وهو استفهام حمل في طياته طلب استفسار وتعجب من تصرف الأبناء مع زوجة الأب، فالاستفهام ب متى "مختص بتصور حقيقة الزمان" قال الله تعالى: (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)⁵

ومن نماذج الاستفهام ب متى لتعيين الزمان المستقبل نجد:

سليم يجد: "متى سنصل يا عرفية؟"

عرفية تقترب منه: متى سنصل؟ ماذا تعني؟

عرفية: "هل هذا وقت طرح سؤال كهذا؟"

1- محمد ديب ، الترنيمة الأولى، ص 21.
2- سيوييه، الكتاب، ج1، ص 217، 219، وج4، ص 233، 235.
3- سيوييه المرجع السابق ، ج4، ص 233، 235.
4- ابن ذياب، امرأة الأب، الفصل الرابع: ص 61.
5- سورة ياسين، الآية 48. العلوي، الطراز، ج3، ص 289.
6- محمد ديب، ألف مرعى لمتسولة، الترنيمة الثالثة، ص 52.

سليم: "لكن متى يكون وقته؟"

فمتى هنا جاءت لتعيين الزمن المستقبل، إذ أن سليم يسأل عرفية عن الزمن الذي سيستغرقه للوصول إلى المكان المقصود (متى سنصل) وارتباط السبب بالفعل المضارع يدل على المستقبل. ونجد من هذا النوع كذلك الحوار التالي¹:

المجنون: متى متى يتذوق النائم لذة النوم؟

الملك: "يتذوقه حين ينام"

المرشد: "متى سأتخلص منك يا سراب"²

فالمرشد هنا يتوجه إلى سراب بهذا السؤال الذي يحمل في حياته تحديد الوقت والزمن الذي سيتخلص فيه منه، وكل دال على المستقبل.

ومن ذلك نجد أيضا³

زئير: "ومتى سنهجم؟"

الغريب: "في أربعة أيام وأربع ليالٍ"

حطام: "ومتى سترحل؟"⁴

الغريب: "الليلة"

ومما جاء أيضا لتعيين زمن المستقبل نجد⁵

1- محمد ديب، المصدر السابق، الترنيمة الرابعة، ص 64.
2- نورجايعلاش، فجر وأقول، الفصل الأول، المشهد السادس، ص 167.
3- المصدر نفسه، الفصل الرابع، المشهد السابع، ص 237.
4- فجر وأقول، الفصل الرابع، المشهد الثامن، ص 241.
5- ناس الحومة، اللوحة الرابعة، ص 160.

الهامل يضع ثيابه على الدرج "انا والوسخ مانتحاملوش يجلس فوق الدروج: كيفاه يا جماعة، الفوط وكتاش؟" فالهامل هنا يتساءل عن موعد الانتخابات أو ومن الفوط كما قال باللهجة العامية.

فالنماذج السابقة اشتملت على الاستفهام بمتى "والذي يكون لتعيين الزمن ماضيا كان أو مستقبلا كقولنا متى سافر أحمد؟ ومتى يعود؟"¹

كما يكون أو يأتي الاستفهام بـ كم والذي يسأل عنه العدد²، وهذا أفرد لها سيبويه بابا³، وهو اسم لعدد مبهم الجنس والمقدار، ومثله قوله تعالى: (كم لبثتم؟ قالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم)⁴، فهي إذن للسؤال أو الاستفهام عن العدد "فكم يستفهم بها عن العدد كقولك، كم درهما لك؟..."⁵، وقال الجرجاني: "أنها متضمنة معنى الكثرة"⁶

ومن النماذج المشتملة الاستفهام بـ كم نجد:

نمشي: "...تري كم ستمشي لو كان المكان بعيدا؟"⁷

عرفية: "إنك تنطق هراء... لن أستمع لك" فنمشي هنا يسأل عرفية عن المساحة التي سيقطعونها لو كان المكان بعيدا، فكم هنا جاءت للاستفهام عن العدد وهو تقديم المساحة التي سيقطعونها مشيا. ومنه نجد أيضا:

سليم: "أليس هذا المخبأ الذي نبحت عنه أكنوبة؟ كم يوم لنا في السعي إليه في هذه الجبال الوعرة؟"⁸ فقد جاءت كم هنا للاستفهام عن العدد وهو عدد الأيام التي سيستغرقها ورفاقه للوصول إلى الجبال الوعرة. ومنه الاستفهام بكم كذلك نجد الحوار الآتي:⁹

1- حسين جمعة، مرجع سابق ، ص 180.

2- سيبويه الكتاب، ج4/ص 228.

3- ابن هشام، مغني اللبيب، ج1/ص 206.

4- سورة الكهف ، 19/18

5- بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008، ص 82.

6- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق كاظم محمد المرجان، دار الرشيد للنشر، 1982، ص 95.

7- محمد ديب، ألف مرعى لمتسولة، الترنيمة الأولى، ص 19.

8- مصدر نفسه، ص 24.

9- نورجايعلاش، فجر وأقول، الفصل الرابع، المشهد الثالث، ص 219.

زئير: "...كم تريد مقابل هذا العبد؟"

الغريب: "أريد ثمنه.

شديد: "وكم ثمنه؟"

الغريب: "هذا العبد ليس عبدا كالأخرين، إنه عبد الغريب، عقله شديد، جسمه شديد يطيع الأوامر وينظم الشعر..."، فزئير يسأل الغريب عن الثمن الذي سيدفعه له مقابل هذا العبد، وحتى شديد هو الآخر يريد معرفة ثمن هذا العبد، ولكن الغريب يلح لهما بأن هذا العبد يساوي الكثير من المال، لأنه ليس كباقي العبيد، فهو ذو عقل شديد، وجسم شديد...، فكم هنا جاءت للاستفهام عن ثمن النقود أو المال.

ومن النماذج المستقلة كذلك على الاستفهام بكم نجد:¹

رشيد: "سي رابح هو المصدر ألي غلطوا إليه في الحلف.

سبحة سخرية: "...واشحال طالب تعويض...؟"، فبسمة هنا تريد معرفة ثمن التعويض الذي سيقدم سي رابح، فكم إذن اسم استفهام يسأل أو يستفهم به عن العدد.

النهى:

أشرنا سابقا أن أفعال الطلب تصدر دائما حتى صاحب المرتبة الأعلى إلى من هو أدنى مرتبة، والنهى من الأساليب التي يكون الطلب فيها أيضا من صاحب المرتبة الأعلى إلى من هو أدنى مرتبة منه، "فالنهى هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء وله صيغة واحدة وهي المضارع مع لا الناهية"²، ومن ذلك نجد قوله تعالى: "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا"³، فالنهى بذلك بمنزلة من الأمر "واعلم أن الطلب من النهى بمنزلة من الأمر، ويجري على لفظه كما جرى على لفظ الأمر"⁴، لأن الأمر هو الآخر من أساليب

1- كح وفوت، المشهد الثالث، ص 52.

2- الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 76.

3- الأعراف، الآية، ص 56.

4- المبرد، المقتضب، تحقيق عبد الخالق عزيمة، عالم المكتب، بيروت، ج2، ص 135.

الطلب التي تجري على لفظ واحد يكون على سبيل الاستعلاء، كذلك الأمر بالنسبة للنهي الذي يكون بصيغة واحدة وأصلية يتلفظ بها الرسل والذي يكون الأعلى مرتبة هذا بالنسبة للنهي الحقيقي: "إذ للنهي حرف واحد وهو لا الجازمة في قولك، لا تفعل: والنهي مطلوب والأمر في أن أصل استعمال: لا تفعل إنما يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب، ذلك أفاد طلب الترك فحسب... والأمر والنهي حقهما الفور"¹، فحتى يكون النهي حقيقيا فلا بد من شرطين "...أن يطلب بها ترك الفعل، وأن يصدر من الأعلى على إلى الأدنى... وصيغته واحدة وهي المضارع مع لا النافية..."²، وبذلك يكده النهي الحقيقي كل نهي كان من الأعلى وإلى الأدنى على سبيل الاستعلاء والإلزام: قد يكون النهي باستعمال لفظ دال على الترك بدون استعمال لا النافية مع المضارع "فمن أدوات النهي استعمال اللفظ الدال معجميا على الترك، بلا مترادفات، وإن كان بصيغة الأمر دع عنك الهراء... كيف عن الحديث في هذا الموضوع... وكذلك يكون بالألفاظ الدالة على عدم الحل بأسلوب النفي مثل: لا يحل لك من هذا الحال شيئا... فالمرسل يريد أن يفهم الرسل إليه أنه ينهاه عن هذه الأفعال سواء بالأمر بتركها، أو بنفي حرته في ممارستها..."³، أي أن هناك ألفاظا معجمية تستعمل للدلالة على النهي وتستمر بألفاظ النهي "وهي الألفاظ التي على النهي عند إطلاقها وتسمى صيغ النهي وهي... مادة حرم، وحظر، ونع ونهى مشتقاتها"⁴، فالنهي إذن نهيان "نهي حقيقي وهو مكان من الأعلى إلى الأدنى على سبيل الاستعلاء والإلزام ونهي بلاغي مجازي، وهو الذي يفتقد إلى شرطي الإعلاء والإلزام"⁵ ومن الأساليب المشتملة على النهي سواء أكان حقيقيا أو مجازيا سليم: "أهلك يا وجه الشؤم، إنني أفضل هذا على السير معكم" عرفية: "لتهلك لكن لا تصرخ بقرة"⁶

1- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 320، مرجع سابق.

2- بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، مقدمات وتطبيقات، ص 74.

3- بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 351-352.

4- قطب مصطفى سانو، معجم مصطلحات أصول الفقه، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، 1420/ ص 84-85.

5- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 70 مرجع سابق.

6- محمد ديب، ألف مرعى لمتسولة، الترنيمة، 01، ص 12.

سليم: "إنني أقول الحقيقة أيها النقيب، لا تستمع لهما، فمذ تلك الفترة التي كنت أمشي فيها بمفردي في هذه الجبال..."¹

باسل: "لا تصرخي إنني قادم"²

فقد تمثل أسلوب النهي في (لا تصرخ، لا تستمع لها، لا تصرخي...)، وهي أفعال المضارعة سبقت بـ لا الناهية وهو ما بين لنا بأن النهي حقيقي ومنه كذلك نجد:

باباناغ: "لا تعامليني بقساوة، أن يأكل شيء رائع، شيء جميل في الواقع أنت محقة..."³

باباناغ: "لا تطربيني يا عرفية، لا تدبغي جلدي إنني جائع، لم أكل شيء... لا تضربيني أيتها الشرسة"⁴

عرفية: "لا تتطق بالتفاهات"⁵

فالأساليب السابقة لطلب الكف عن فعل شيء ما على جهة الاستعلاء، فكل منا باباناغ، باسل وعرفية أبطال هذه المسرحية وهذه الرحلة ويتمتعون بالنفوذ والقوة، "قالمتكلم هنا يقدم ذاته بوصفه يلقي الكلام إلى الخطاب وعلى الأخير تنفيذ مضمونه"⁶، فكل شخصيات السابقة تحاول فرض سلطتها على الأخرى بوصفها أمره تنتظر تنفيذ ما نهت عنه.

ومن النماذج المشتملة على النهي بألفاظ تدل عليه نجد:

مدير المسرح بهدوء: "عليك أن تفكر بتأن وتمهل.. لا تكن متهوراً"⁷، فمدير المسرح صاحب صاحب سلطة عليا ينهى الكاتب عن التهور ولكن نهيه جاء بصيغة أمر ولكن في حقيقته

1- محمد ديب ، الترنيمة، 01، ص 15.
2- المصدر نفسه ، الترنيمة 01، ص 22.
3- محمد ديب، المصدر السابق، الترنيمة 02، ص 34.
4- المصدر نفسه ، الترنيمة 02، ص 39.
5- المصدر نفسه، الترنيمة 03، ص 49.
6- حسين جمعة، جمالية الخبر والانشاء، ص 155.
7- مسرحية انتحار كاتب، المشهد الأول، ص 122.

نهى جاء بألفاظ دالة عليه، ومن هذا النمط نجد أيضا: القائد: "وردوا بالكم كي تعسوا كاش واحد يتكلم مع الآخر ألي يتكلم مع الآخر راهو يقعد بلا مأكلة أربع أيام، سمعتوا"¹

الثلاثة: "سمعنا، فالقائد هنا بمنزلة الأمر فهو ذو مرتبة عالية، لهذا فهو ينهي الثلاثة بالثاني وأخذ الحيطه والحذر، وجاء نهيه بجمل واضحة: ردوا بالكم كي تعسوا... سمعتوا...

بوحدة "يا خويا، خاف ربي وماتغرش الناس، لوكان دواك ينفع، يداوي العايب والعمى واللي طاحوضروسوا"²، فيوحدة هنا بمنزلة الناصح الذي ينصح الدجال من عمله الحضر بالناس، فهو ينهيه دون استعمال لا الناهية، إذ استعمل ألفاظ تدل على النهي، خاف ربي، ماتغرش بالناس،... ومن ذلك أيضا نجد:

الشيخ ابراهيم: "هاك اوليدي..ها هي امصيريفة بالصح ما الطيشهم لا هك ولا هك..."³، فالشيخ إبراهيم شيخ كبير ورئيس من رؤساء الحومة، يقدم لخرابطة مبلغا عن المال كأجرة له مقابل مساعدته في إصلاح أسلاك الكهرباء، ولكنه يوصيه وينهاه عن صرف النقود في أمور غير لائقة والذي يتبين لنا ذلك -أسلوب النهي- ما الطيشهمش لا هك ولا هك.

هذا عن بعض أساليب النهي الحقيقية والتي استعملت على وجه الاستعلاء فكان منها ما هو على نمط لا الناهية +فعل مضارع وكان منها أيضا ما على شكل ألفاظ معجمية دالة على النهي، وكما سبقنا الإشارة من قبل، قد يخرج أسلوب النهي عن دلالاته الأصلية إلى أساليب مجازية، أي تخرج الصيغة عن مدلولها الرئيسي وهو طلب الكف عن الفعل إلى دلالات أخرى حتى السياق، كأن تكون الإرشاد أو التحضير أو التوبيخ، أو التمني أو الدعاء... "فيسكون النهي المجازي لا على سبيل الاستعلاء بل على سبيل الحجاز من الخطاب سواء كان مساويا له أم على مرتبة مكانة منه، أو ممن هو أقل شأنًا منه لأمر بلاغي..."⁴، أي أن النهي قد يكون حقيقيا لأمر بلاغي وهذا يضيف على الأسلوب جماله وحيوية مقاله ومن ذلك نجد:

1- محمد التوري، زعيط ومعيط ونقاز الحيط، الفصل الثالث، ص 44.

2- محمد التوري، بوحدة، الفصل الثاني، الموقف الثالث، ص 77-78.

3- ناس الحومة، الفصل الثاني اللوحة الأولى، ص 122.

4- حسين جمعة، مرجع سابق، ص 156.

الزوجة بكل عفوية: "لا تتعامل معه..."¹

الكاتب متحسرا: "ولكنني لا أستطيع... أنا مرغم على ذلك..."، فالنهي هنا خرج عن دلالاته الأصلية التي تكون على الاستعلاء من الأعلى مرتبة إلى الأدنى مرتبة إلى فرض آخر هو الالتماس، "فالالتماس اسم ومصدر وفعله التمس يلتمس، طلب، يطلب ويكون في النهي المجازي بأسلوب يدل عليه السياق هو يقع بين النظراء في المنزلة أو القرابة أو بين الأصدقاء وأمثالهم لصديق لا تتوانى عن المجيء² فالزوج والزوجة هنا على صلة قرابة، نهى زوجته وتلتمس منه أن لا يتعامل مع مدير المسرح. ومن ذلك نجد أيضا:

الكاتب: "إنها مهنة صعبة وشاقة... إنها قدر محتوم..." الزوجة مقاطعة: " لا تقل هذا الكلام أرجوك إنك بذلك تزداد توترا"³، فزوجة الكاتب هنا تلتمس إليه أيضا أن يبتعد وإلا ازداد توترا وقلقا.

الدجال: "رد بالك ماتلعيش بروحك واشري الدواوات..."

بوحدة: "خليني نتمتع شوية بالشمس، هذا الجمعيتين الي جوزتهم في السبيطارجازو عليا كي سنين"⁴، فالدجال ذو مرتبة أدنى فهو يعمل بما لا يرضي الله ولكنه استمع إلى نصائح بوحدة وابتعد عن عمله المضر بالناس وها هو الآن يلتمس من بوحدة أن يعتني بصحته ويشتري الأدوية اللازمة حتى يشفى من مرضه.

ومن النماذج الدالة على الإرشاد نجد:

الكاتب: "ما إن انقطع عن الكتابة حتى أصبح إنسانا آخر... يتعكر مزاجي..."

الزوجة مقاطعة: "لا تكن فيلسوفا إلى هذا الحد... حاول أن تتناساها تدريجيا."⁵، فالزوجة هنا تنصح زوجها بالابتعاد عن هذه الوسوس التي تدور في ذهنه، والتي ستجعله ينقطع عن

1- انتحار كاتب، المشهد الثاني، ص 114.

2- حسين جمعة، مرجع سابق، ص 155-156.

3- انتحار كاتب، المشهد الثاني، ص 115.

4- محمد التوري، بوحدة، الفصل الثالث، الموقف الرابع، ص 89.

5- انتحار كاتب، المشهد الثاني، ص 116.

الكتابة بشكل نهائي، لكن الزوجة تتصحه وترشده إلى أن يحاول أن يبتعد عنها تدريجياً وليس دفعة واحدة فهذا سيؤثر على حالته النفسية، "إذ يتم هذا الأسلوب للتوجيه في أمر من الأمور أو للتنبيه عليه والنهي عنه، على سبيل الإلزام والإيجاب..."¹ وذلك كقولنا مثلاً لمن لا ينتبه لشرح المعلم: لا تشغل نفسك بأمر خارج الدرس ويوجد من القرآن الكريم ما على هذا النمط فمنه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ)²، ومنه أيضاً قوله تعالى (وَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ، وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)³. ومن أمثلة النهي الذي خرج عنمدلوله الأصلي إلى النصح والإرشاد نجد:

الداهية: "تريث يا سيدي لا تدع الغضب يتغلب عليك ويعكر ذهنك جواسيسنا يحيطونه من كل مكان..."

المرشد: "ولكن أهل المدينة يتهافتون إليه ليلياً"⁴ فالداهية ينصح المرشد بالتاني والتريث والابتعاد عن الغضب والتغلب عليه، لأن في ذلك تعكير للذهن والمزاج كي أن الجواسيس محيطة بكل مكان وقد تنقل الخبر خارج الساحة، فكان هنا لغرض النصح والإرشاد.

أما عن النماذج التي اشتملت النهي الذي خرج عن مدلوله الأصلي ليفيد التهديد والوعيد والإنذار فنجد:

الغريب: " إن كنت عدوا للمعبد فلما لا يقتلني ربك ويتخلص مني؟"

شديد: "لا تثر غضبي يا ابن العم، إنني أحذرك، كف عن إهانة المعبد"⁵ فشديد غاضب ومتوتر، كلام الغريب أثار توتره وهيجانه، فنهاه ولكن النهي لم يكن حقيقياً بل جاء بمدلول

1- حسين جمعة، جمالية الخبر والانشاء، ص 161.

2- المائدة، 101/5.

3- سورة البقرة، 41، 42/2.

4- نورجايعلاش، مسرحية فجر وأقول، الفصل الأول، المشهد السادس، ص 166.

5- المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد الأول، ص 172.

التهديد والوعيد والإنذار "فالفعل المنهي عنه من قبل المتكلم يتصف بقوة التحريض لعدم القيام به ما يؤكد حالة الانفعال النفسي ومسوغاته التي تزيد جمالية الصورة البلاغية"¹ هذا عن بعض أساليب النهي التي اشتملت عليها نماذجنا المسرحية، منها النهي الحقيقي ومن دون ذلك أي المجازي.

النداء:

إن النداء ظاهرة تميز بها كل من الإنسان والحيوان، فهو ظاهرة غريزية يعبر بها عن شيء ما يطلب تلبية خاصة عند الإنسان بوصفه كائنا عاقلا، فهو يستعمل أسلوب النداء استعمالا صوتيا وبلاغيا، فالنداء في أصل اللغة الصوت "فهو مشتق من الندى وهو بعد الصوت، النداء الصوت وقد ناداه ونادى به مناداة أي: صاح به واندى الرجل إذا حسن صوته ... والنداء محدود الدعاء بأرفع الصوت.. وفلان أندى صوتا من فلان أي أبعد مذهبا وأرفع صوتا"²، فالنداء إذن يعبر عن بعد الصوت، والنداء بكسر النون أفصح فقد جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)³ واشتقاقه من ندى الصوت وهو بعده⁴، فالنداء لغة إذن هو التصويت والدعاء أما اصطلاحا فهو (طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص)⁵، (مخصوص)⁵، أي طلب إقبال المخاطب على المتكلم أي المدعو على الداعي لأمرها ويكره ذلك بحرف مخصوص يقدم مقام الفعل ويكره متضمنا لمعناه. أما في اصطلاح البلاغين فهو (طلب الإقبال حسا أو معنى بحرف نائب مناب أدعو)⁶، وأدوات النداء ثمان (أ، أي، آ، آ، أي، يا، هيا، أيا، وا، وأكثرها يصحب الأمر والنهي وإن ورد معه استفهام أو خبر)⁷ ويقسم ويقسم النداء إلى نداء القريب ونداء البعيد، ولكل نوع حروفه الخاصة به، فنداء القريب يكون

1- حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص 165-166.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة ندى، ج2/ص 178.

3- سورة البقرة، الآية 171.

4- شرح الأشموني، ج2/ص 135.

5- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2/ص 133.

6- الزركشي، مواهب الفتاح، ج2/ص 233.

7- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2/ص 235-236.

ب (أ. أي) وباقي الأدوات تكون للبعيد، وقد أشار إلى ذلك سيوييه بقوله: "قأما الاسم غير المندوب فينبه بخمسة أشياء ب (يا، أيا، هيا، أي، وبالآلف) نحو أحرار بن عمرو..."¹

النداء الحقيقي:

لقد قسم هذا النداء إلى النداء القريب والنداء البعيد:

النداء القريب الحقيقي:

نستعمل في هذا النداء (أ، أي)، فصوت الهمزة صوت إنفجاري لا ينبه السامع لمسافة قصيرة ولا يلفت الخطاب البعيد...²، أي أنها تستعمل لنداء القريب المصغى إليه " إذ لا يحتاج إلى مد الصوت في النداء..."³، ومن ذلك قول امرئ القيس⁴:

أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرَمَعْتِي صَرْمِي فَأَجْمِلِي

ويجمع النحاة على أن الهمزة تستعمل لنداء القريب ويؤكد لنا ذلك المالقي بقوله: "هي أقل استعمالا من (يا) لأنها تستعمل إلا في القريب المصغى إليك ويا تستعمل في القريب البعيد لأنها أكثر منها حروفا وأكثر حدا"⁵، فالهمزة إذن تدل على قرب المنادى من النفس، "فانفتاح" فانفتاح الفم بالهمزة يدل على تلطف في الخطاب المناسب لصوتها فقتيلة بنت النضر تخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوت لا يشي إلا بالعاطفة اللطيفة بالنفس.

أَمْحَمَدُ يَا خَيْرَ صَنْءٍ كَرِيمَةٍ فِي قَوْمِهَا، وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرَقٌ"⁶.

ومن نماذج النداء الحقيقي ب (أي) نجد:

باباناغ: "أي انظري"

1- سيوييه، الكتاب، ج2، ص 229-230.

2- ابن هشام مغني اللبيب، ص 106.

3- سيوييه الكتاب، ج2، ص 230/299.

4- ديوان امرئ القيس، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، مصر 1969، ص 12.

5- السيوطي، الأشباه والنظائر، تحقيق فايز نرجيتي، بيروت، ط1، 1984، ج2، ص 68.

6- حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص 231.

عرفية: "لماذا؟"

باباناغ: "المرأة..."¹.

فالنداء هنا جاء بحرف أي الموضوع لنداء القريب "فالصوت في هذا الأداة لا يحتمل أن يستعمل للبعيد على عجلة، الإطلاق، لأنه جمع بين الهمزة والياء والياء أفادت الاستكانة والحنو والعطف فضلا عن التلطف الذي تحمله الهمزة..."²، هذا ما ورد عن النداء القريب الحقيقي ب أي.

نداء البعيد:-

لقد نشأ نداء البعيد من دلالة بعض الأدوات عليه وكون في هذه الحالة الخطاب أبعد مكان وزمان المتكلم، ويحتوي هذا القسم على: نداء البعد الحقيقي وإنزال القريب منزلة النداء البعيد، وهذا ما نجده في نداء الله سبحانه وتعالى "فإذا صدر النداء من البعد لخالقه فهو نداء للبعيد بعدا حقيقيا كامنا في علوه، وهو نداء قريب قريبا حقيقيا كامنا في رحمة الله بعباده"³.

البعد الحقيقي:

نداء البعد الحقيقي أدوات مخصوصة كأي، وآ فالاسم المحطوط يلائم بعد المسافة "ما يجعل النداء للبعيد حقيقة أو حكما فقط وأن استعمل في المجاز"⁴، وإن كانت المسافة أبعد فالأداة المناسبة للنداء هي يا فهي أداة اتصال للبعيد ثم للتعبير عنه ومنه نجد قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ)⁵، فهو خطاب موجه للمؤمنين على أن لا يبطلوا صدقاتهم بالمن والأذى، والنداء المخاطب الأبعد نستعمل هيا، ولأبعد منه أيا وسنأتي بالتفصيل عن ذلك ومن أساليب النداء البعيد نجد:

1- محمد ديب، ألف مرحى لمتسولة، الترنيمة الثانية، ص 32.

2- حسين جمعة، المصدر السابق، ص 231.

3- الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 225.

4- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 237.

5- سورة البقرة، الآية 264.

يا: حرف نداء (وهي تستعمل في النداء لإمكان امتداد الصوت ورفعها بها)¹، كما أنها الأكثر استعمالا في القرآن الكريم من غيرها²، وقد قيل أنها تكون للقريب والبعيد يقول ابن الخشاب: (يا وهي الأصل، تكون للقريب والبعيد)³، ومن الأمثلة التي ورد فيها حرف النداء (الياء) ما جاء في كتاب الكامل للمبرد: "...وحدثني رجل من أصحابنا قال: شهدت رجلا في طريق مكة معتكفا على قبر يردد شيئا ودموعه تكف من لحيته، فدنوت إليه لأسمع، فجعلت العبرة تحول بينه وبين الإبانة فقلت له: يا هذا فرفع رأسه اليّ وكأنها هبّ من رقدة فقال: ما تشاء؟"⁴، ففي الخطاب السابق نجد استعمال حرف النداء الياء للقريب والدليل على ذلك الفعل دنوت، أي اقترب الرجل من الرجل وناداه: يا هذا، فالمسافة بينه وبين الرجل قريبة ومع ذلك استعمال (يا)، فهي إذن للقريب وللبعيد. ومما استعمل للدلالة على القريب:

عرفية: "سوف نتكلم عنه طويلا يا أبنائي..."⁵، فعرفية تجلس إلى جوار الأبناء وتود التكلم معهم عن الثورة التي صنعت الرجال ولكننا نجد استعمال (الياء) هنا أيضا للقريب وليس للبعيد ومنه نجد أيضا:

باباناغ: "سأكون مرغما على حياته يا عرفية.. أن أخبر عنك احذري سأقول للجميع"⁶، فباباناغ يحذر عرفية ويقر لها بأنه سيخبر عنها يوم من الأيام فاستعمال صيغة (يا عرفية) مع أنها قريبة منه.

ونجد ذلك أيضا في خطاب وسيم:

وسيم: "كل هذا جميل يا أصدقائي، لكن الذي حدث لي..."⁷.

ونجد ذلك هذا الخطاب الذي يحذر فيه شديد ابن عمه الغريب قائلا: شديد: "احذر يا غريب، احذر يا ابن العم، فالدهر يقلب القلوب"⁸، فالغريب قريب من شديد ومع ذلك حذره مناديا إياه

1- سيوييه، الكتاب، ج1، ص 230/2299.

2- الزمخشري الكشاف، ج1، ص 224.

3- ابن الخشاب، المرتجل، تحقيق على حيدر، دمشق، 1972، ص 191.

4- المبرد، الكامل، تحقيق تغاريد بيضون ونعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت 1469، ج2، ط2، ص282.

5- محمد ديب، الف مرحة لمتسولة، الترنيمة الثانية، ص 30.

6- المصدر نفسه، الترنيمة الرابعة، ص 55.

7- المصدر نفسه، الترنيمة الخامسة، ص 71.

8- نور جاي علاش، فجر وأقول، الفصل الثاني، المشهد الرابع، ص 179.

إياه باستعمال الحرف (يا) ومن مسرحية ناس الحومة نجد الخطابات التالية، والتي استعمل فيها حرف النداء (الياء) لنداء القريب:

الزميل: "يا ولدي ما زال هذا وأين خرج يصلي الفجر والصبح"¹، فالزميل يرد على الصالح الذي (يسأل) دعاه لأن يسرع في ارتداء ملابسه قبل عودة الشيخ المحفوظ، ونجد كذلك هذا الخطاب الذي يحمل في حياته التأسف وقلة الحيلة في قول عائشة وسي إبراهيم وهي تخبره عن ابنها وحالته:

عائشة: "واش اندير له يا سي إبراهيم، كرهت وعدت مانقدرلوش، الله غالب..."²، ومنه نجد أيضا:

حمدي وجه كلامه للسائق الذي تأخر عن الوقت اللازم للانطلاق قائلاً:

حمدي: "... انعل الشيطان يا سي رانا خدامة ولازم نوصلوا في الوقت..."³، وها هو الشيخ إبراهيم يطلب من حمدي بكل لطف أن يوصل ابنته إلى المدرسة قائلاً:

الشيخ إبراهيم: "يا حمدي وليدي تريح... نعطيك سبع مائة حق الركبة انتاع الطفلة بنتي وصلها في طريقك..."⁴، هذه الخطابات المشتملة على استعمال حرف (الياء) للنداء وكانت أغلبها لنداء القريب.

وقد ورد استعمال الحرف (يا) للنداء في هذا الخطاب:

الحيط: "يا ربي واسترنا..."⁵، فالحيط هنا ينادي من هو أعلى مرتبة وهو الله سبحانه وتعالى، وتعالى، فالبعد هنا حقيقي كامن في علوه، فالحيط، ينادي الله طالبا منه النجاة والستر والحماية من كيد الأعداء المحيطين به وبزملائه.

1- ناس الحومة، اللوحة الأولى، ص 13.
2- ناس الحومة، المصدر السابق، اللوحة الأولى، ص 21.
3- المصدر نفسه، اللوحة الأولى، ص 40، 41.
4- المصدر نفسه، اللوحة الأولى، ص 44.
5- محمد التوري، زعيط ومعيط ونقاز الحيط، الفصل الأول، ص 36.

كما ذكرنا سابقا، تستعمل (يا) النداء البعيد أصلا، كي تكون أداة اتصال للبعيد ومنه الخطاب التالي:

الشيخ إبراهيم: "يا خوخة... جيبيلي قهوة بنتي..."¹، فخوخة موجودة في البيت، والشيخ إبراهيم (أبوها) موجود في مكانه، فهو يناديها نداء البعيد من منزله لإحضار القهوة.

ومن هذا النمط نجد أيضا:

الشيخ المحفوظ: "يا سي إبراهيم، يا سي إبراهيم"²، فالشيخ المحفوظ بدوره ينادي سي إبراهيم وهو بعيد عن مكانا وزمانا الإقبال عليه، فنجد في هذا الخطاب استعمال الحرف (يا) + تكرار اللفظ سي إبراهيم، سي إبراهيم وهو يعد نداء حتى وإن لم تسبقه أداة.

كما قد تستعمل الفعل (نادى) أو ينادي مع حرف النداء ومنه نجد:

خرابطة: "احشم يا جامس ... راه نتاع عمي إبراهيم... ثم ينادي عمي إبراهيم... يا عمي إبراهيم..."³، فمع وجود حرف النداء (يا) وهو للبعيد نجد الفعل الصريح (ينادي) للتعبير عن النداء وبعده الحقيقي.

ومن النماذج استعمال الحرف (يا) للاتصال البعيد والتعبير عنه نجد:

الشيخ إبراهيم: "يلتفت أنا يا سي المحفوظ... اجري ليا.. يا المحفوظ يا خويا راهماقريبعراوني..."⁴، فالشيخ إبراهيم ينادي المحفوظ مستجدا به فاستعمال هنا (يا) لنداء ابعيد للإقبال على الشيخ إبراهيم ومساعدته.

ومما قيل في خطاب من هو غافل و شارد ولا يأبه لأمر المتكلم أو الداعي نجد:

1- مسرحية ناس الحومة، الفصل الثاني، اللوحة الأولى، ص 97.
2- ناس الحومة المصدر السابق، الفصل الثاني، اللوحة الأولى، ص 98.
3- المصدر نفسه، الفصل الثاني، اللوحة الأولى، ص 124.
4- المصدر نفسه، الفصل الثاني، اللوحة الأولى، ص 125.

الغريب: "يا لقسوتك أيتها المدينة كل هذا البنيان يشيد فوق جثث الكادحين، أتسمعين أيتها العذراء؟...¹، فالغريب ينادي أهل المدينة الغافلين عن طبقة الكادحين ومعاناتهم فهم في غفلة دائمة، لا يأبهون للمدينة ولا للطبقة الكادحة.

الداهية: "أعلم أيها المرشد الغريب...²، فالداهية يذكر المرشد ويحثه على اليقظة والتفطن لأمر الغريب. ومنه نجد أيضا:

شديد: كفى أيها الجلاء كفى، اتركنا وحدنا...³،

سليم: "بالضبط أيها النقيب، بل على قوائم الأربعة، الأماميتان والخلفيتان حتى أتسلق لأصل إليكم"⁴، فسليم يؤكد للنقيب، بل يصر على الوصول إلى المكان، ويكل الطرق، وفي هذا الخطاب نجد تنبيه ودعوة النقيب إلى التفطن لذلك الأمر، إذ قد يكون النقيب في غفلة من أمره و في كلام سليم ما يدعو إلى أخذ الحذر والحيطه.

نجد في الخطابات السابقة استعمال حرف النداء (يا) مع حرف التنبيه (ها) وذلك بصيغة (أيها) وهي أيضا لخطاب ونداء البعيد وكانت الخطابات السابقة لأجل تنبيه الغافل والشارد لأمر ما.

ومن النماذج التي فيها رفع الصوت إلى ابعد حدّ، لأجل الوصول إلى الطريق الصحيح والوجهة السليمة نجد:

سليم: "أيتها الريح المومس أيتها الريح المومس الليل لم يسدل ستاره"⁵، ويواصل سليم في نداءه البعيد:

سليم: "أيتها الريح القذرة.. أنت أيتها الريح"⁶.

1- نور جاي علاش، فجر وأفول، الفصل الأول، المشهد الأول، ص 145.

2- المصدر نفسه، الفصل الأول، المشهد السادس ص 164.

3- المصدر نفسه، الفصل الثالث، المشهد، ص 201.

4- محمد ديب، ألف مرعى لمتسولة، الترنيمة الأولى، ص 14.

5- المصدر نفسه، الترنيمة الثالثة، ص 51.

6- المصدر نفسه، الترنيمة الثالثة، ص 51.

ويصل بالحد إلى نداء الجبال البعيدة:

سليم: "أيتها الجبل.. أيتها الجبل، عرفية علينا أن نتوقف كل مرة كما فعلنا حتى الآن"¹، ففي الخطابات السابقة استعمال (أيتها) لنداء البعيد، ولكن هذا البعيد لم يكن أساساً، بل كان ريحا وجبال... وهذا ما بين لنا يأس سليم من كالتوصل إلى الحل المناسب أو بالأحرى إلى الطريق السليمة الآمنة فلجأ إلى نداء البعيد وتمكن هذه الجمالية" في إحساس المتكلم بالمفارقة النفسية غير المتوازنة لدى المخاطب..."²، وهذا النوع من النداء نداء الجماد ضرب من أساليب النداء المجازي، والذي نجد بصفة خاصة في (أشعار) نداء أو خطاب الشعراء لديارهم وأطلالهم التي لا تعقل شيئاً لا تتكلم وهذا ما يدخل في باب الاستعلاء "فنداء الجماد يدل على مظاهر استعلاء الربوبية، وانقياد الأشياء لها..."³، فالريح والجبال التي ناداها سليم بحد ذاتها جماد ولكن أعطاها منزلة إنسان عاقل يسمع نداءه ويحس بآلامه وأوجاعه، فيشاركه إياها ويحاول أن يخفف عنه بعض هذه الآلام، فهي المنفذ الوحيد لاستنطاق الروح الداخلية والتنفس عنها.

ومن أدوات النداء التي يستعمل لنداء البعيد نجد:

هَيَّا: وهو حرف نداء يستعمل للمنادى البعيد "وقد أجمع المناداة على أن أيّا-هيّا موضعتان لمد الصوت في نداء بعيد"⁴، أي أننا نستعمل هيّا لنداء المخاطب الأبعد إذ يرى ابن الخشاب الخشاب "أيّا، لما بعد، وهيّا". لما هو أبعد من المنادى بـ "أيّا"⁵.

ومن نماذج استعمال (هيّا) من الشعراء نجد قول الحطيئة:

فقالهيّا رباهُ ضيفٌ ولا قري بِحِقِّكَ لا تحرمهُ تا اللَّيلةُ اللَّحْماءُ6

ومن جملة النماذج المشتملة على هيّا في مسرحياتنا نجد:

- 1- محمد ديب ، الترنيمة الثالثة، ص 52.
- 2- حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص 240.
- 3- بلاغة الكلمة والجملة ضمن جمالية الخبر والإنشاء ص 249.
- 4- سيبويه، الكتاب ج2، ص 229-230.
- 5- الخشاب، المرتجل، تحقيق علي حيدر، دمشق 1972، ص 191.
- 6- ديوان الحطيئة ، اعتنى به و شرح محمود طماس ، دار المعرفة ، ط2، 2005، ص 133.

عرفية مخاطبة نمشي: أنتما الاثنان... باسل وأنت.. هيا قبل شروق الشمس¹.

أهل المدينة: "هيا يا غريب، هيا يا راوي أروى لنا رواية زين ليلتنا هيا يا راوي"²، حمدي: "هيا خوخة... يهمون بالخروج"³،

حمدي: "... هيا يا عمي إبراهيم ... راح الحال، هيا من ححك الحانوت نظفه من قبل...⁴، وفي ضوء هذه الشواهد نلاحظ أن (هيا) استعملت للأبعد فعرفية تخاطب نميش وهو وهو بعيد و تطلب منه ومن باسل الانطلاق قبل شروق الشمس، وكذلك الأمر مع باقي الشخصيات (أهل المدينة، حمدي،...) فقد استعملت هيا لنداء أو مخاطبة البعيد.

وأنا من خاطب آخر تتضمن (هيا) لنداء بعيد:

الملاك: "هيا بوحديّة، الا قادر، هيا بوحديّة..."⁵، وخالصة ما توصلنا إليه، أن الأفعال الإنشائية الطلبية، كانت " ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب"⁶، إذ (تعرضنا) فصلنا أنواعه المختلفة، الأمر، النهي، النداء التمني، الاستفهام، ورأينا أن هذه الأفعال الطلبية انتصرت في الأفعال ودلالاتها بألفاظها، وكانت جرها بأدوات خاصة بها مبنية لأساليبها المتنوعة، كما كان البعض منها فأفعال صريحة دالة عليها.

وكذلك تطرقنا إلى خروج بعض الأساليب إلى أغراض بلاغية أخرى كأغراض النصح والإرشاد، والالتماس... والتي تستفاد من قصد المتكلم وأحوال السياق.

د. 3.2: الأفعال الإنجازية غير المباشرة (الضمنية): غير الصريحة أو التلميحية

تطرقنا في القسم الأول من الأفعال الكلامية إلى الأفعال الإنجازية المباشرة. والتي تعد الخطاب فعلا لغويا، وبذلك يكون لكل ملفوظ تجسيده اللغوي، وهي على عكس الأفعال

1- محمد ديب، ألف مرجى لمتسولة، الترنيمة الأولى، ص 21.

2- نورجايعلاش، فجر وأقول، الفصل الثاني، المشهد الثالث، 175.

3- مسرحية ناس الحومة، اللوحة الأولى، ص 44.

4- مسرحية ناس الحومة، اللوحة الرابعة، ص 143.

5- محمد التوري، بوحديّة، مصدر سابق، الفصل الثاني، الوصف الثاني، ص 75.

6- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة وكذلك السيوطي: شرح عقود الجمان في علم المعاني، والبيان وبها مشه أحمد المنهوري، حلبة اللب الحصون على الجوهر المكنون، دار الفكرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دت، ص 48.

الانجازية غير المباشرة أو الضمنية أو التلميحية والتي يقصد المتكلم من ورائها إلى المشتاق غير المنطوق به من المنطوق. وقد انتبه العرب القديس إلى هذه الظاهرة وتناولها تحت أسماء الخبرة وذلك وفقا وتبعاً لتخصصاتها المتنوعة والعديدة كالبلاغة، والنحو، والصرف والفقه وأصوله، ولكن كانت البلاغة هي ميدانها الواسع خاصة علم البيان وما (يأتي) يتفرع عنه من تشبيه وكناية ومجاز "إذ أن العدول عن الحقيقة إلى المجاز إنما لأجل التلفظ، أو بمعنى أولهما...¹"، وذلك كان يكون العدول من الحقيقة إلى الحال لأجل التعظيم، أو التحقير، أو لأجل تلطيف الكلام.

وكان عبد القاهر الجرجاني وأبو يعقوب السكاكي من أبرز العلماء الذين تناولوها بالدراسة والتحليل، فهاهو ذا السكاكي ينظر في ضوابط خروج بعض الأفعال اللغوية في قانون الطلب عن معناها الأصلي إلى معاني أخرى إذ: "تمتاز اقتراحات السكاكي في مفتاحه عن باقي ما ورد في وصف الظاهرة بأن تجاوز الملاحظة الصرف وتحمل أهم بذور التحليل الملائم للظاهرة، أي التحليل الذي يضبط علاقة المعنى الصريح بالمعنى المستلزم مقامياً هذا بالإضافة إلى أن تععيد السكاكي وراة مؤطرا داخل وصف لغوي شامل يطمح لتناول جميع المستويات اللغوية: أصوات، صرف، نحو، معاني، بيان...²"، ويكون ذلك بوضع قواعد واضحة للاستلزام التخاطبي

أما في البحث المعاصر فنجد نظريات عديدة تناولها عدد من الباحثين تحت أسماء متنوعة منهم سبيريير وولسون، براون، و ليفنسون، جرايس، أوستين و سيرل...، إذ تناول جرابيس مثلاً نظرية الاستلزام الحوارية والتي تعد نظرية منطقية تكون وفقاً لما يقتضيه مبدأ التعاون.

كما تطرق كل من براون و ليفنسون إلى نظرية ظاهرة التأدب³، والتي تعد عاملاً من عوامل استعمال الأفعال المجازية غير المباشرة. ولكن كيف يتم استعمال هذه الأفعال ووفق أي

1- أبو عبد الله محمد عمر بن الحسين أبو فخر الرازي. المحصول في علم الأصول، علق عليه ووضع حواشيه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، المجلد الأول، بيروت، ط1، 1999، ص 125.

2- أحمد المتوكّل، اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي، أعمال الندوة الثالثة في البحث اللساني والسينمائي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1981، ص 21.

3- عبد الهادي بن ظافر الشهري، مصدر سابق، ص 376.

إستراتيجية؟ وهل يعني المرسل حقا ما يقوله وهو يستعمل هذه الإستراتيجية التلميحية المباشرة أو غير المباشرة؟

إن استعمال إستراتيجية التلميح لغويا تكون عادة من خلال استعمال:"الاستعارة: التهكم، الأسئلة البلاغية، تحصيل الحاصل، وكل أنواع التلميحات التي تعبر عن إدارة المرسل أو معانيه في التواصل، دون أن يصرح بها مباشرة"¹، إذ أن المتكلم مثلا وهو يريد تنبيه المخاطب إلى أمر إلى أمر ما لنصيحة، إرشاد... فيستعمل جملا دالة على ذلك ملمحا إياه إلى ما يريد تبليغه من غيره أن يستعمل أفعالا مباشرة وصريحة كاستعمال أسلوب العصر بـ إنما، أو كم الخبرية، أو أساليب المدح والذم، أو القسم أو التعجب أو أفعال العقود...

إن الإنشاء غير الطلبي هو ما لا تستدعي مطلوبا، غير حاصل وقت الطلب كصيغ المدح والذم...²، هذه الأفعال -غير الطلبية- تدل على معنى لا يقصده المتكلم وذلك كأن تقول شيئا وتريد به شيئا آخر كالكناية مثلا التي يوضحها الجرجاني يقوله: ".... ألا ترى أنك لما نظرت إلى قولهم: هو كثير رماد القدر وعرفت أنهم أرادوا أنه كثير القرى والضيافة ثم تعرف ذلك من خلال اللفظ ولكنك عرفته بأن رجعت إلى نفسك فقلت إنه كلام جاء منهم في المدح ولا معنى للمدح، بكثرة الرماد ، فليس إلا أنهم أرادوا أن يدلوا بكثرة الرماد على أنه تنصب له القدر الكثيرة ويطبخ فيها للقرى والضيافة..."³، وكثيرة هي النماذج والخطابات التي تلفظ وتأتي تركيبها على هيئة وتدل على معنى لم يصرح به كقولنا: فلانة نؤوم الضحى فهي كناية عن البذخ و الترف....

أما عن الصيغ والأساليب الإنشائية غير الطلبية، والتي سنتطرق لها فستكون معه: حول: أساليب المدح والذم، أساليب القسم، صيغ التعجب، أساليب الرجاء، أساليب العقود، أساليب التوجع أو التخوف، كم الخبرية... وبعض الكنايات المتنوعة، كما سنتطرق إلى بعض أفعال التعهد وأفعال السلوك.

1 -Bromnstephen : universal in language p74 , 385. ضمن استراتيجيات الخطاب ص

2- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع ، ص 69.

3- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 430-431.

أ- أساليب المدح والذم:

تعد أساليب المدح والذم من الأساليب المنتمية على الصيغ الإنشاء وغير الطلبية " أما المدح والذم فيكونان بنعم وبئس وما جرى مجراها نحو حبذا ولا حبذا...¹، ومن ذلك نجد قوله تعالى: "ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون"²، ففي الآية أسلوب ذم واضح بينته لنا الأداة بئس، ومنه قول الشاعر عبد الله بن قيس الرقيات

حَبْدًا أَلْعِشَ حِينَ قَوْمِي جَمِيعٌ لَمْ تُفَرِّقْ أُمُورَهَا الْأَهْوَاءُ³

أما عن أساليب المدح والذم التي اشتملتها مسرحيتنا المتنوعة فنجد: عرفية: "... يمكننا أن نرد عليهم ولما لا، حبذا لم يرينا أحدكم كم نضحى..."⁴، فالأسلوب الوارد في الخطاب أسلوب مدح وضحته لنا كلمة حبذا والتي تعني المدح، فعرفية تحبذ أن يريها أحدهم التضحيات الجسام التي قدمتها هي وزملائها.

زكية: "نعم الرأي الهادف وبه تحل الأزمة لنا جميعا"⁵، فزكية تمدح سهيل باستعمال نعم، وذلك لرأيه السديد في حل المشكلة وهي إجراء التحاليل.

زكية: "إني لا أحبذ انفصالها عنه لأن رغبة الحفيد منها ضئيلة في نفسي..."⁶

مريم: نعم الرأي منك حالما أدركت أن الدين قادر على رفع الأذى عنك وعن حسناء"⁷، فمريم تستحسن الرأي، وهو أن نعتمد على الدين في رفع الأذى.

مريم: "ربما قصدت عدم أذى لما حكما وأنتما على انفراد بحديث خروجها ويا حبذا لو اطلعتني عليه لاستشرتها إذ يكون لها ثياب تريد غسلها..."⁸، فاستعمال حبذا هنا كان لتمني لتمني الحصول الاطلاع من مريم، فهي تستحسن وتحبذ أن تطلعها حسناء على قرار

1- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 69.

2- سورة البقرة، الآية 101.

3- يوسف أبو العدوس، مصدر سابق، ص 64.

4- محمد ديب، ألف مرحى لمتسولة، الترنيمة الثانية، ص 28.

5- كل ابن آدم، الوهم، الفصل الأول، المشهد الأول، ص 08.

6- المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد الأول، ص 43.

7- المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد الأول، ص 64.

8- المصدر نفسه، الفصل الرابع، المشهد الأول، ص 88.

خروجها. هند: "...وإذا أثبتتها التحاليل ولا حبذا هذا ما يكون موقفك اتجاهها؟"¹، فهند لا تتمنى أن تثبت التحاليل صحة ما قاله الطبيب، فأساليب المدح أتت مرة بنعم ومرة بحبذا، أما بالنسبة لأسلوب الذم فقد جاء بصيغة واحدة وهي لا حبذا إذ " ليكون الذم ب لا حبذا"²

ب-أساليب الرجاء:

إن أسلوب الرجاء، من أساليب الإنشاء غير الطلبي، وهي تنتسب إلى أفعال السلوك ←behabitives " التي تعبر عن ردود أفعال لسلوك الآخرين كالاعتذار والشكر والمواساة..."³، ويكون هذا الأسلوب بأفعال مخصوصة، عسى، حرى، اخلوق، واستعمال هذا الأسلوب خاصة بعسى نجده بكثرة في القرآن الكريم ومنه: قوله الله تعالى: "فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّكَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ"⁴، وقوله تعالى أيضا: "وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَدًّا"⁵، كما يكون الرجاء بالحرف لعل، وقد وردت لعل هي الأخرى في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"⁶ إذن "المعنى اعبدوا ليصح منكم رجاء التقوى"⁷، وحمل لعل هنا يكون مجازا، فالترجي هنا في حق من هو علم بالكليات والجزئيات مستحيل لذلك حملت هنا لعل مجازا، فكان تقريب الناس على التقوى.

ومن أساليب الرجاء في مسرحياتنا نجد:

الزوجة: "وكانها تذكرت أمرا مهما جدا: هذا ليس بمشكلة أو ورطة لنذهب الآن إلى المستشفى لزيارة ابنتنا ... لم نرها منذ أيام... لعلها اشتاقت إلينا كثيرا"⁸، فالزوجة تطلب من زوجها الذهاب إلى المستشفى التي لعلها اشتاقت لهما حسناء: "أجل لكنني أشعر بهم يزداد في نفسي يوما لا خلاص لي منه إلا بمعرفة مصيري لعله يخلصني مما أشعر به فتهداً

1- ك.ل ابن آدم، الفصل الرابع، المشهد الثاني، ص 92.

2- بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ص 101، 102.

3- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 70.

4- سورة المائدة، 52.

5- سورة يوسف، آية 21.

6- سورة البقرة، آية 21.

7- العلوي: الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز، تحقيق بن عيسى باطاهر، ط1، دار المدار الإسلامي

بيروت، 2007، ص 100.

8- مسرحية انتحار كاتب، المشهد الثاني، ص 117.

الأمر بالنتيجة¹، زكية: "...لكنني تعمدت أن أطلع عقبة عليها حتى تسلم نتائج التحاليل من العيادة اليوم ولعله يقصدها بعد خروجه من الثانوية..."²، فزكية هنا ترجو وتتمنى أن يقصد عقبة العيادة بعد خروجه من الثانوية.

سهيل: "لعلها تتراجع عن وعدها إن بطل منها الإنجاب معذرة وتعهده زلة لسان ساعة يأس..."³، فعمل هنا جاءت أقرب للتمنى.

عقبة: "لعل العيادة لم تتعرف على سبب الخلل عليها فاحتملته بقرابة الدم"⁴

فاضلة: " لعل توقعك يا خالة لم يحدث ولا أساس له من الصحة وإنما هي هواجس منك..."⁵

فاضلة: "لعل هواجس باطلة يدحضها العلم"⁶، ففاضلة ترجوا وتتمنى أن يكون تخمين الخالة خاطئ في تقدير الأمور.

سهيل: "ولابد لها من أدوية تهدئة الأعصاب لعلها تكون كافية فلا يتفاقم التوتر لديها..."⁷

سهيل: "أما عاملها بإحسان فلعله يخفف عنها أزمته مع أدوية مهدئة لأعصابها"⁸، كما قد قد يكون الرجاء بأفعال مخصوصة كعسى ومنه نجد:

زكية: "...ولن أتخلص منه حتى تقررها مثلما يرى سهيل عسى أن تتخلص من فاجعة الإجهاض بعد ثلاث منها..."⁹، فالأصل في الرجاء أن يأتي بهذه الأفعال عسى، حرى اخلوق، و لذا كثيرة هي النماذج المشتملة على الرجاء بعسى ومنها أيضا:

- 1- ك.ل. ابن آدم، الوهم، الفصل الأول، المشهد الأول، ص 16.
- 2- المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد الأول، ص 38.
- 3- المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد الأول، ص 44.
- 4- المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد الأول، ص 46.
- 5- المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد الثاني، ص 59.
- 6- ك.ل. ابن آدم، المصدر السابق، الفصل الثاني، المشهد الثاني، ص 61.
- 7- المصدر نفسه، الفصل الثالث، المشهد الأول، ص 68.
- 8- المصدر نفسه، الفصل الثالث، المشهد الأول، ص 68.
- 9- المصدر نفسه، الفصل الأول، المشهد الأول، ص 07.

حسنا: "لقد وعدت بعد ما قررت أن أتعرف على مصيري برياطة جأش عسى أن يكون زاهرا"، فهي ترجوا وتتمنى أن يكون مصيرها زاهرا.

زكية: "إني لا أرفض إرقاءها فعسى أن يصل خبر الإرقاء إلى النسوة فيكفن عن البهتان ولو بدافع تديني"¹

زكية: "إن رغبتني لشديدة في أن ألجأ إلى الدين مثلما تحثيني عليه دوما عسى أن يبدد أزممتنا بعد ما انتشر خبرها عن أحوال حسناء وجيرانهم..."²، فزكية ترجو وتتمنى أن يبدد الدين الأزمة بها فكان هنا الرجاء لطلب حصول كتم الخبر وإخفائه، ومنه نجد أيضا:

سهيل: إن دوارها يدل على توتر أعصابها بصراع ينتمي نفسها... فعسى أن يزول عنها الصراع النفسي ولا يتطور إلى الأسوأ من الدوار"³، فكان الرجاء لطلب حصول زوال الصراع الصراع النفسي.

زكية: "...أعدك بأنني أغير سيرتي معها عسى أن تعود إلى عافيتها، فيكون خروجها من هذه الدار خفيفا على نفسي..."⁴

زكية: "أقترح عليك أن تقصد وسائل الإعلام عساه يقرأ الإعلان فيتصل بك..."⁵، فزكية تطلب من ابنها أن يقصد وسائل الإعلام للاستفسار أو لطلب البحث عن والد حسناء راجية ومتمنية أن يكون هذا الأخير من قراء أو من متصفح الجرائد اليومية أو الحصص التلفزيونية، لقضية البحث عنه.

منصور: "إني لا أرى حيلة أخرى غير الحيلة الآنفة الذكر فلنجرها عسى أن يتحقق استنتاجي في ألا تستجيب حسناء لإعلان سهيل في الجرائد..."⁶، ومن مسرحية الصماء نجد أيضا:

1- ك. ل. ابن آدم ، الفصل الثاني، المشهد الأول، ص 64.
2- المصدر نفسه، الفصل الثالث، المشهد الأول، ص 65.
3- المصدر نفسه ، الفصل الثالث، المشهد الأول، ص 66.
4- ك. ل. بن آدم المصدر السابق ، الفصل الثالث، المشهد الأول، ص 68
5- المصدر نفسه ، الفصل الرابع، المشهد الأول، ص 79.
6- المصدر نفسه ، الفصل الرابع، المشهد الثاني، ص 102.

عفاف: "إني قصدت من الهبة جلب الحظ لها لأنه يصبح ثروة مغرية فعساها تغض بصر واحد من الصم فيطلب يدها"¹، فالأم ترجو أن تلتفت ابنتها نظر شاب أصم مثلها فيتزوجها فكان رجاؤها لطلب حصول لفت الانتباه. وها هو أحمد يرد على أمه بجواب يبين لها فيه أن الثروة غير كافية لجلب الحظ أو للزواج، فالدين هو الأساس قائلاً:

أحمد: "إن الثروة غير كافية في بناء بيت زوجي على الأسس الصحيحة وإنما يضاف إلى ذلك التدين... وعسى أن يكون سبباً في زواجها من تقي مثلها"²، كما يكون الرجاء باستعمال الفعل الصريح أرجو منه نجد:

مدير المسرح مستفسراً: "لكن ... عما يتحدث هذا النص؟ هيا أرجوك... قل..."³

الزوجة مقاطعة: "لا تقل هذا الكلام أرجوك إنك بذلك إنك بذلك تزداد توتراً"⁴

سهيل: "إن دوارها يدل على توتر أعصابها بصراع ينهش نفسها أترجى أن يخف عنها بمرور الوقت..."⁵

كانت هذه التفاتة موجزة عن بعض النماذج والخطابات التي اشتملت على أسلوب الرجاء، فقد جاء أسلوب الرجاء في كل مرة لطلب حصول شيء ما يرجوه المخاطب وفق ما يقتضيه السياق والموقف.

ج-أساليب القسم:

يعد القسم من أساليب الأفعال غير المباشرة وهو ينتمي إلى أفعال التعهد ← commissives إذ "هي التي تعبر عن تعهد المتكلم بفعل شيء ما وإلزام نفسه به مثل: أعد أتعهد، أتعاهد، أحنن، أقسم على، أقبل..."⁶، فالقسم إلزامي، إذ يتعهد المخاطب أو المتكلم بفعل شيء ما ويكون القسم بحروف مخصوصة، كما قد يكون بأفعال كأقسم، أقسمت... إن حروف القسم

1- ك.ل، ابن آدم، الصماء، الفصل الأول، المشهد الأول، ص 23.

2- المصدر نفسه، الصماء، الفصل الأول، المشهد الأول، ص 24.

3- محمد ناصر، انتحار كاتب، المشهد الأول، ص 111.

4- المصدر نفسه، المشهد الثاني، ص 115.

5- ك.ل، ابن آدم، الوهم، الفصل الثالث، المشهد الأول، ص 66.

6 -Austin J.L performative comantative in searleJ.a 1971.p195.

هي الواو، الباء، والتاء و... هذا الأسلوب في القرآن الكريم بكثرة ومنه قوله تعالى: "وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ"¹، وقوله تعالى: "لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ"²

كما قد يكون القسم بفعل صريح كأن تقول: أقسم بالله لقيمت بكذا، أو احلف بالله، وعلى الأغلب يحذف هذا الفعل ويؤتى بالأحرف الثلاثة، "إن كثيرا ما يحذف فعل القسم ويشار إليه بأحرف ثلاثة هي: الواو، الباء، والتاء، كقولك والله إن هذا لحق،..."³، ومن أساليب القسم الواردة في مسرحياتنا المتنوعة نجد:

الشريكان: "قسما بكل المقدسات، نحن لم نر أي شيء .. إنا حجاج..."⁴، بان الشريكين يقسمان بكل ما هو مقدس على أنهما لم يريا أي شيء ففي هذا الخطاب تأكيد قوي على نفي رؤية أي شيء والدليل على ذلك الحلف بالقسم بكل المقدسات. وفي موضع آخر نجد:

عرفية: "أنا لا أعرف هذا الرجل، أقسم هيا، امسكاه يا متحجرا القلب..."⁵، وها هو الرجل الثاني يقسم بشرفه قائلا:

الرجل الثاني: "أقسم بشرفي، إنه هو..."⁶

شديد: "...تخلى عن الكتاب، قدم كنز الأولين للعفريت سنعرف عنك... أقسم لك أننا لن نتعرض لك..."⁷، هذه بعض الأساليب المشتملة على القسم بالفعل أقسم أما عن النماذج المشتملة على القسم بالحروف فنجد:

خرابطة: "والله يا مصارنكنجبدهملك"⁸

1- سورة الأنبياء، الآية 57.

2- سورة القيامة، آية 1-2.

3- بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ص 102.

4- محمد ديب، ألف مرحى لمتسولة مصدر سابق، الترنيمة الرابعة ص 75.

5- المصدر نفسه، الترنيمة الرابعة ص 76.

6- المصدر نفسه، الترنيمة الرابعة ص 77.

7- نور جاي علاش، فجر وأقول، الفصل الثالث، المشهد الخامس، ص 206.

8- ناس الحومة، الفصل الأول للوحة الأولى، ص 16.

الشيخ إبراهيم: "والله ماني طالقك حتى انقر"¹

السي المحفوظ: "...وحتمتها على السي عبد القادر باه يقبلها تخدم عنه في داره ... قسما بالله حتى الخبز تقطعه عليها"²

ومنه الخطاب التالي الذي جرى بين السائق والشخص 4:

السائق: "انجي نخدم عندك واقيله"

الشخص 4: "منت رايحانقولها لك.. والله نحيتها لي من فمي"³

وها هو المحفوظ يقسم بالله، الذي لا شريك قائلاً:

المحفوظ: "داهية... قسما بالذي لا شريك له داهية ومعاويه قدامك بيان يرضع في صباعه"⁴، فهذا الخطاب وجهه المحفوظ لعبد العالي الذي اقترح فكرة أبهرت السي الحفوظ فأعجب بدهائه وحنكته، فاقسم بالله على أنه داهية ومدبر لأفكار وخطط جهنمية.

ومنه نجد أيضاً:

زعيط: والله ماراك عارف..."⁵، فزعيط يقسم بالله على أن معيط غير عارف بالوضع وما يحيط بها من خطر. وفي وضع آخر نجد:

الأعرج: "حكاية طويلة حلوة... هذا واحد الإنسان جاهل ما يعرف لا يقرا ولا يكتب وأشرى ورقة لا لوتري نهار التيراج اشرى جريدة، سبحان الله.. والله غير هذه الحكاية ما يسمعها حد..."⁶، فالأعرج يقسم بصراحة على أن حكاية ورقة لا لوتري التي اختلقها لسي بوحدبة كانت مزحة وهي حكاية لم يسمع بها أحد.

1- ناس الحومة ، الفصل الأول اللوحة الأولى، ص 18.

2- المصدر نفسه ، الفصل الأول اللوحة الأولى، ص 34.

3- ناس الحومة، الفصل الأول اللوحة الأولى، ص 43.

4- ناس الحومة، المصدر السابق ، الفصل الأول اللوحة الثالثة، ص 69.

5- محمد التوري، زعيط ومعيط ونقاز الحيط، الفصل الأول، ص 40.

6- محمد التوري، بوحدبة، الفصل الثالث، الوقف 01، ص 86

فأساليب القسم السابقة جاءت بحروف مخصوصة منها الواو، والباء فكانت نمط: و + الله أو يقسم + الباء + الله أو قسما + الباء + الله أو اقسام + الباء + الله، وكلها كانت تؤدي معنى القسم.

د-أساليب العقود:

تستعمل أساليب العقود قصد إنشاء عقود البيع، أو الزواج، الشراء... فنقول مثلا اشتريت منك هذا الهاتف النقال، أو بعثك هذا المتجر وتستعمل عادة مع الفعل الماضي إذ... "كثيرا ما يستعمل معها الفعل الماضي فنقول: بعثك هذا الحاسوب، واشتريت هذا الكتاب، واعتقدت ذلك العبد، و قبلت الزواج منك..."¹، إذ تكون عبارات العقود متنوعة بحسب نوع العقد، إذ كان عقد زواج فله عباراته كزواجك ابنتي، أو زوجني ابنتك... وإن كانت عقود شراء أو بيع فلها عباراتها الخاصة بها كاشتريت منك هذا البيت أو بعثك سيارتي...، كما تكون هذه العقود أيضا للمبايعة مثلا كأبيحك، وانتخبك أو انتخبتك...

تكون أساليب العقود عادة بالماضي "أما العقود فتكون بالماضي كثيرا، نحو بعث، واشتريت وأعتقت وبغيره قليلا نحو أنا بائع..."²، فمواضعها إذن تكون للبيع والشراء والزواج والمبايعة... وهي واردة الذكر في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا"³، ففي الآية عقد الشراء و من عقود البيع في القرآن الكريم نجد قوله تعالى: "... وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ"⁴

كما تأتي عقود الزواج بعبارات متنوعة كقولنا: أنا الموقع أدناه قبلت منك هذا الزواج...

ومن أساليب العقود الواردة في مسرحياتنا نجد الحوار التالي:

الغريب: "قلت إنني أريد مالي"

1- . بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، مرجع سابق، ص 105.

2- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 69. يوسف، الآية 25.

3- سورة يوسف، الآية 21.

4- سورة يوسف، الآية 20.

لهوف: "لقد اشتريت منّي هذا العبد وأنا لم أرغمك على شرائه التجارة هي التجارة"¹، ففي الخطاب حوار ساخن بين الغريب ولهوف، فهذا الأخير عقد مع الغريب عقد بيع وشراء ولا يريد فضه والعبارات الدالة على البيع والشراء (اشتريت منّي) و (أرغمك على شرائه)، ومن عقود الشراء أيضا نجد:

الأعرج: "...ما يعرف لا يقرأ ولا يكتب واشري ورقة لا لوتري... نهار التيراج اشري جريدة..."²

ومن أساليب عقود العمل نجد:

مدير المسرح: "أنت تدرك أن هناك عقدا يربطنا... أو بالأحرى أنت مرتبط بعقد عمل مع مؤسستنا، أليس كذلك..."³، فمدير المسرح يذكر الكاتب الذي يريد الانسحاب بعقد العمل الموقع بينه وبين المؤسسة: لا يمكنه الانسحاب بسهولة.

أما أساليب عقود الزواج، فقد وردت بصيغ وبمفردات متنوعة تعبر حقا عن القران أو الزواج ومنه نجد:

مراد: "...بأن اقصد مصلحة عقود الزواج وأتأكد من أنه أعزب حقا قبل أن أقوده إلى هنا لعقد القران على سلمى..."⁴

مراد بالإشارة والكلام: "نعم لقد طلب يدك شهم وجيه عفيف لكن يتمه وفقد أهله لم يكن باختياره..."⁵، فمراد يخبر سلمى عن الرجل الشهم الذي طلب يدها منه قصد الزواج، شارحا لها ظروفه الأسرية والاجتماعية.

وفي الحوار الآتي أسلوب يشتمل على العزم على عقد القران:

عائشة: "كي تخرج نزوج ابني..."

1- نور جاي علاش، فجر وأقول، الفصل الرابع، المشهد الثاني، ص 215.

2- محمد التوري، بوحديّة، الفصل الثالث، الموقف الأول، ص 86.

3- انتحار كاتب، المشهد الأول، ص 112.

4- ك.ل ابن آدم، الصماء، الفصل الثاني، المشهد الثاني، ص 50.

5- المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد الثاني، ص 52.

خرابطة: "أنا ما نتزوجش..."

عائشة: "انحط عليها يدي باه اتخليهالي لوليدي..."¹، فعبارة أو جملة (انحط عليها يدي) تعني الخطبة الأولية، حتى لا يتقدم آخر ويخطبها.

وفي الخطاب التالي: ما يدل على الرضى والقبول بعقد القران والزواج:

حمدي: "... واش قال عليا خرابطة يعمل حركة برأسه نعم ..."

عائشة: "راه قابل... واش قلت يا سي إبراهيم؟..."²، فالإشارة والحركة بالرأس تكون عادة وخاصة رفع الرأس وخفضه -للتعبير عن الموافقة، كما نجد العبارة الصريحة التي تلمظت بها عائشة والتي على لسان ابنه: راه قابل تبيين موافقته على الزواج.

هذا عن عقود الزواج، أما إذا ما انتقلنا إلى إحصاء أساليب عقود المبايعة والتي تكون لمبايعة شخص أو انتخابه فنجد الحوار التالي:

الهامل: "يضع ثيابه على الدرج: أنا والوسخ مانتحاملوش، يجلس فوق الدروج كيفاه يا جماعة الفوط وكتاش؟"

الرجل 1: "علاه؟ ترشح روحك"

الهامل: "أنا نفوطي برك... وانفوطي على الناس اللي قادرين يعينونا ويحاوامشاكانا. اللي بلا سكنة.. والشومورة يخدموه... رجال تقدرنا نعلوا عليهم انتاع الصبح والناس هذوراهم معروفين وموجدين بينا واحنا كنا غالطين فيهم"³، فعبارات: ترشح روحك، انفوطي على الناس اللي قاريين" تدل على المبايعة واختيار الشخص المناسب. ومن الخطابات التي تبيين لنا اختيار أو مبايعة شخص ما نجد:

1- ناس الحومة، اللوحة الأخيرة، ص 168.

2- ناس الحومة، اللوحة الأخيرة، ص 168.

3- المصدر نفسه، اللوحة الرابعة، ص 160.

خرابطة: "أنا حطيت أمي ... بالصح أنزيد انفوطي على عمي إبراهيم مي عادي باباك برك"¹، فخرابطة يوجه خطابه هذا ل: خوخة ابنة السي إبراهيم الذي ظن خرابطة أنه رشح نفسه للانتخاب، إذ نجد رد السي إبراهيم قائلاً:

الشيخ إبراهيم: "أنا ما نرشح روحي وأنت مانفوطي علي..."²،

هـ-أساليب التعجب:

أسلوب التعجب من الأساليب الإنشائية غير الطلبية ويكون إما سماعياً قياسياً "إذ يكون قياسياً بصيغتين ما افعله وأفعل به"³ ومنه نجد قول المتنبي:

مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنُّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي أَنَا الثُّرَيَّا وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ⁴.

كما قد يكون سماعياً وبصيغ متنوعة نحو: ليت شعري، و لله درك، والله أكبر، وسبحان الله⁵، فالتعجب إذن انفعال نفسي يعبر به الشخص عن استعضامه لشيء ما (حكم) ظاناً أنك لم تر مثله، ومن أمثلة ونماذج أساليب التعجب في مسرحيتنا نجد:

نميش ناهضاً: "يا إلهي! عرفية هؤلاء الاثنتين"

عرفية: "ما بهما؟"

نميش: الم تلاحظي ما أصابهما من الإنهاك؟"⁶، فنميش نهض متعجباً من تصرف سليم ووسيم الغريب فاستعمل صيغة أو جملة يا إلهي متبوعة بعلامة تعجب واضحة ، فالجملة أو صيغة التعجب جاءت سماعية موجهة لعرفية التي تساءلت هي الأخرى عن سبب تعجب نميش الذي أجابها أنه سبب تعجبه هو ما لاحظته من إنهاك كل من وسيم وسليم.

1- ناس الحومة ، اللوحة الأخيرة، ص 166.

2- المصدر نفسه ، اللوحة الأخيرة، ص 166.

3- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 62. وانظر كذلك يوسف أبو العدوس مدخل إلى البلاغة العربية، ص 67،68.

4- ديوان المتنبي، أحمد بن حسين الجعفي، المتنبي أبو الطيب، دار بيروت للطباعة والنشر، 1983

5- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 68.

6- محمد ديب، ألف مرعى لمتسولة، الترنيمة الأولى، ص 20.

ومن نماذج التعجب السماعي أيضا نجد:

الكاتب مستدركا: "آه أجل نسيت... أنني أخبرتك.. يا له من تافه ومتسلط وذلك المدير..."

الكاتب بغضب وكأنه نادم: "آه يا إلهي.. لماذا اخترت هذه المهنة؟"¹، فصيغة (يا له ومن تافه)، تعجب سماعي تُلَفِّظ به الكاتب متعجبا من تسلط المدير وتفاوته.

الحيط: "بصوت منخفض: بسم الله الرحمان الرحيم... لا إله إلا الله"²، إذ تعجب الحيط من قول القائد (ونحولوا، يد ورجل) - أي الميت الذي يموت، فالحيط اندهش وتعجب من كلام القائد فقال: (بسم الله الرحمن الرحيم)، (لا إله إلا الله).

ومن أساليب التعجب السماعي نجد أيضا:

الأعرج: "...هذا واحد الإنسان جاهر ما يعرف لا يقرأ ولا يكتب واشرى ورقة لالوتري...نهار التيراج اشرى جريدة، سبحان الله..."³، فصيغة أو عبارة "سبحان الله" تعبر عن مدى تعجب الأعرج من تصرف هذا الإنسان الذي اشترى ورقة لالوتري وفوزه بالمبلغ المالي وهي في الأصل حكاية وهمية فقط.

عفاف: "احمد أريد منك ألا تظهر رفضا قاطعا مثل سفيان و إنما وافق عليه بحجة رغبته في إتمام نصف دينه تتوقع منه توبة يترجمها بحسن المعاشرة لسلمى"

مراد: "يا له من رأي حكيم! يصدر من أمي..."⁴، فمراد تعجب من رأي أمه في ألا يظهر أحمد علنا رفض خطيب أخته سلمى، حتى يتأكد من نيته، فرأى مراد أن رأي أمه سديد وحكيم.

أما عن أساليب التعجب القياسية فنجد جملة واحدة جاءت صيغة ما أفعله!:

1- انتحار كاتب، المشهد الثاني، ص 114.

2- محمد التوري، زعيط ومعيط ونقاز الحيط

3- محمد التوري، بوحده، الفصل الثالث، الموقف 01، ص 86.

4- ك.ل، ابن آدم، الصماء، الفصل الثالث، المشهد الثاني، ص 72.

الغريب: "ما أكثر أسئلتك يا حطام"¹، فالغريب تعجب واندھش من كثرة أسئلة حطام واستفساراته التي لا تنتقطع والصيغة التي بينت لنا شدة تعجب الغريب هي: ما أكثر وجاءت على صيغة أوزن ما أفعل.

كانت هذه جملة الأساليب التعجبية الواردة في مسرحيتنا إذ كانت جلها سماعية ما عدا فقط جاءت على وزن ما أفعل.

تطرقنا ادن في هذا الجزء إلى عرض الأفعال الأدائية الانجازية بشقيها الطلبية وغير الطلبية، إذ تضمنت للأفعال الإنشائية الطلبية أغراضا كثيرة وبأفعال ظاهرة أتت بصيغة الزمن الحاضر للمتكلم كالأمر والحض و الدعاء والنهي، والنداء والاستفهام، أما الأفعال الإنشائية غير الطلبية فقد انطوت تحتها أغراض كثيرة منها صيغ المدح والذم وأفعال العقود، القسم، الرجاء (الفعل أو بلعل)....

كانت إذن هذه إطلالة وجيزة عن نظرية الأفعال الكلامية في مسرحيتنا المعاصرة ومدى تحققها بنسب متفاوتة بين الأفعال الإخبارية التقريرية التي تهدف إلى إخبار السامع بخبر كان بجهله وذلك بمؤكدات أو شرح واضحة قصد إزالة الشكر أو التردد من نفس المخاطب، وبين الأفعال الدائمة الانجازية الصريحة المباشرة منها غير المباشرة.

ب-متضمنات القول: ← les implicites

يتعلق هذا المفهوم التداولي الإجرائي برصد جملة من الظواهر التي تتعلق بالجوانب الخفية الضمنية غير صريحة من قوانين الخطاب ومن أهمها:

1-نور جاي علاش، فجر وأفول، الفصل الأول، المشهد الرابع، ص 155.

1- الافتراض المسبق¹ ← pre-supposition²

أثناء التواصل اللساني بين الأشخاص تكون الانطلاقة دائما من معطيات سابقة وافتراضات متفق عليها، هذه الافتراضات تؤدي إلى نجاح عملية التواصل بين المتخاطبين فقول احدهم مثلا:

1-أغلق الباب

وقول الثاني:

2-لا تغلق الباب

فالتلفظ بالجملتين كان قائما على خلفية سابقة أو افتراض مسبق مفاده أن الباب مفتوح، فالافتراض المسبق لإنجاز العملية التواصلية التبليغية وبضعفه يحدث ما يسمى بالتواصل السيئ إذ يرى التداوليون أن الافتراضات المسبقة ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ، ففي التعليمات Didactique تم الاعتراف بدور الافتراضات المسبقة منذ زمن طويل، فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه والبناء عليه³، بمعنى آخر سيفيد المتكلمون عن تقديم مساهماتهم الكلامية أثناء المحادثة مواد أخرى كثيرة توفرها لهم المصادر البنيوية و المعجمية الموجودة في لغتهم كما تخص الافتراضات المسبقة معلومات عن خليفاتهم وخصائص الموقف وسير المحادثة أو الكلام والحوار، إذ يرى جولمان أنه أثناء التواصل أو المحادثة تساعد الافتراضات السبقية السامعين على حصر المعاني المحتملة التي تولدها الجمل الغامضة أصلا وبذلك يقتربون أكثر من المعنى الحقيقي الذي يقصده المتكلم عندما ينطق تلك الجملة...⁴، فتكون بذلك استنباطهم -السامعون- الافتراضات المسبقة من الانطلاقة الأولية من المحادثة ومن خصائص الموقف.

1-Oswald ducrotpresupposes et sons. Entendus in langue française 1969.p30-4

2- من الباحثين من يطلق على الافتراضات المسبقة الافتراضات المتداولة، أنظر، طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 1998، ص 113.

3- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 44.

4- جون إي جوزيف، نايجل ليف توليت جي تيلار، أعلام الفكر اللغوي التقليدي الغربي في القرن العشرين، ترجمة د.أحمد شاعر الكلابي، دار الكتاب الجديد المتحدة ط1 كانون الثاني جانفي 2006، ص 239-240-241....256.

إن الافتراض المسبق مقيد باستدلالات تداولية *inferencespragmatic* يعينها¹، تحملها تعبيرات لغوية معينة إذ نجد استنثار هذه الخاصية بخاصة عند وكلاء النيابة والمحامين عند استجواب المتهمين والشهود كقول وكيل النيابة مثلا وهو يسأل المتهم: وأين تباع الكوكايين؟ فيجيبه المتهم بذكر مكان ما، فبمجرد ذكر المكان تثبت عليه التهمة، فتحديد مكان البيع يتضمن افتراضا مسبقا بالمتاجرة في الكوكايين²، فالافتراض المسبق إذن يعين على تحقيق المتواصل التبليغي ويحدد الخلفية التي تسهل عملية تحقيق الإبلاغ وبذلك يعنى الافتراض السابق بالمعلومات المشتركة بين المتكلم والمتلقي، فبمجرد أن يوجه المتكلم (أ) حديثا أو كلامه للسامع (ب) يفترض سابقا أو سلفا أن (ب) يعلم وله خلفية مسبقة عن موضوع الكلام أو المحادثة، وكل ذلك نجد موصولا بسياق الحال وبعلاقة المتكلم بالخطاب. فعلى أساس المعلومات السابقة المشتركة بين المتكلم والخطاب يبنى المتواصل والحديث.

إن الحوار الآتي يبين خلفية المعلومة التي عند باسل (وجود الأشخاص والرفقة مع سليم وجماعته)، لكن سليم يذكر ذلك (إما) لشدة توتره وخوفه³:

باسل: هل أنت متأكد أنه لم يكن من أحد معك؟ ماذا فعلت بالآخرين؟

سليم: الآخرون؟ لا أعرف أحدا غير نفسي وإذا كان هناك آخرون فإنني لم أراهم...

باسل: ألم تأكلهم بالصدفة عندما أحسست بالجوع؟ إذ أن المعرفة المشتركة بين سليم وباسل تكمن في وجود جماعة (عرفية، نميش...) فالمتكلم (باسل) أراد أن يعبر عن قصده بصفة مرسل وهو عن الجماعة، وما على المرسل إليه (سليم) إلا أن يزول أو يجيب عن استفسار باسل انطلاقا من معارفها المشتركة إذ: "لم تمنع محاولة المجاملات بينهما من إنتاج أو تأويل بعض الخطابات المتبادلة بينهما وهنا لهذه المعرفة مما جعل المعرفة المشتركة أساسا للافتراضات المسبقة، حتى أصبح اختيار إستراتيجية الخطاب للتعبير عن القصد هي الخطوة الأولى عند المرسل في الإنتاج وعند المرسل إليه في التأويل"⁴، فأهمية القصد إذن والمعرفة

1- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 26.

2- المرجع نفسه، ص 199.

3- محمد ديب، ألف مرعى لمتسولة، الترنيمة الأولى، ص 15.

4- عبد الهادي بن ظافر الشهري، مصدر سابق، ص 181، 182.

المشتركة بين طرفي الخطاب هي أساس الافتراض المسبق، ومن نماذج ذلك أيضا نجد الخطاب أو الحوار الآتي¹:

سليم: "والآن ها أنا تحت أمرك أيها النقيب، أريد أن أوصل المقاومة من أجل الثورة أريد وضع نفسي في خدمة الثورة، بندقية بندقية. هذا ما يلزمني!"

باسل: "بندقية أيها الغبي! لك أنت؟ وغدا تعود من حيث جئت إننا لا نقبل كسيحا في الثورة"، فقرار مواصلة المقاومة من أجل الثورة خطاب وجهه سليم لباسل على افتراض مسبق مفاده أن سليم قد شارك في مقاومات ولكنها باءت بالفشل وهذا ما يفسره رد باسل (أيها الغبي... إننا لا نقبل كسيحا في الثورة) فبينهما معرفة مشتركة (المشاركة في المقاومات المختلفة التي كانت قبل الثورة).

ومن الخطابات أو الحوارات المشتملة على الافتراض المسبق نجد الحوار الآتي²:

عرفية: "لا بد أن يستيقظوا"

باباناغ: "أمر صعب عليهم الاستيقاظ... ربما لا يريدون"

عرفية: "عليهم أن يفتحوا عيونهم..."

باباناغ: "سوف يفتحون عيونهم بالقدر الذي تريدين ولكن في باطنه سوف يواصلون النوم..."، فالأمر المفترض مسبقا أو سابقا هو نوم الجماعة، التي ترى عرفية وتصر على ضرورة استيقاظهم من نومهم العميق، فعبرة أو جملة (عليهم أن يفتحوا عيونهم) تبين أن الأمر المفترض هو نومهم العميق فالعيون مغمضة، وستفتح حسب رأي باباناغ بقدر كاف في ملاحظة ما يحيط بهم ولكن سرعان ما يعودون للنوم من جديد، فقصد عرفية هنا من خطاب (لا بد أن تستيقظوا) كان لأجل أن يستيقظ الآخرون من سباتهم لإدراك معنى التضحيات من أجل الثورة فعرفية أرادت أن تبلغ مقصودنا لمن يهمه الأمر و بما يحتويه هذا الخطاب من مرام وأهداف، فمن شروط بلوغ الكلام صحته و تمامه القصد: "إذ يحتاج

1- محمد ديب، ألف مرعى لمتسولة، الترنيمة الأولى، ص 16-17.

2- محمد ديب، الف مرعى لمتسولة، الترنيمة الثانية، ص 35.

صاحب المغني على أن القصد شرط في بلوغ الكلام تمامه معتمدا على ملاحظة أن الكلام في الشاهد يكون أمانة لما يريده المتكلم بحيث يكون دليلا على مقصود المتكلم وعلى أن المتكلم أراد أن يبلغ مراده بمقصوده"¹، ومن أمثلة ذلك أيضا نجد الخطاب الآتي²

وسيم: "أنت رجل غريب من أين جئت؟

باباناغ: "نحن من الحجاج"

وسيم: "ليس هذا ما سألت عنه، تقول بأنك لا تعرفني؟

باباناغ: معذرة يا أستاذ ينحني أمامه طبعاً، نعرفك... الجميع يعرفك..."، فالمقترض مسبقاً أن شخصية الأستاذ المحترمة معروفة لدى الجميع، وأن قصد وسيم ليس هذا السؤال عن الرجل الغريب أو من يكون وإنما كان لأجل باباناغ لمعرفته السابقة بوسيم، فالقصد هنا هو أن يتأكد وسيم من معرفة باباناغ والجميع لع، فهو شخصية محترمة ومعروفة على حد تعبير باباناغ، وإليك الحوار الآتي³

الكاتب منتفضاً: "أنت لم تكن تستيقظ في الصباح على أنين القتلى وصراخ القنابل..."

الطبيب النفسي بهدوء: "أنا مثلك عشت ما عشته أنت ترعرعنا

ونشأنا في وطن واحد!!!"

الكاتب: "...أنت لم تعرف الحرب... أنت لم تتذوق مرارة اليتيم أنت لم تر أنك تذبح أمام عينيك!!!"

الطبيب النفسي مستغرباً: هكذا إذن!!!"

الكاتب مفسراً "هذه الحقيقة... كل ما قلته لك للأحدث فعلاً!!!"

1- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981، دبط، ص 151-152.

2- محمد ديب، ألف مرحة لمتسولة، الترنيمة الخامسة، ص 68-69.

3- محمد ناصر، انتحار كاتب، المشهد الخامس، ص 133.

الطبيب النفسي وهو ينظر إلى ما كتبه على الورق: "الآن فقط بدأت أفهمك!! أجل... بدأت أفهمك!!!"، فالمفترض مسبقا في هذا الحوار أن الكاتب والطبيب النفسي ينتميان لنفس الوطن وجمعتها الظروف نفسها وما بين لنا ذلك هو الكاتب: أنا مثلك عشت ما عشته أنت ترعرعنا ونشأنا في وطن واحد!!!) غير أن الكاتب ونظرا لحالته النفسية المزرية لم ير ذلك بوضوح وهذا ما دفع بالطبيب الاستغراب (هكذا إذن!!!)، فالطبيب في النهاية تمكن من تشخيص حالته ومن فهم مراده وحقده من كل ما تلفظ به.

ومن أمثلة أو نماذج الافتراض المسبق نجد¹:

الصحفي 1 ضاحكا بسخرية: "ترى أي شخصية سيقتل هذه المرة!!!"

الزوجة تقبض على رأسها: "يا إلهي... إنه في صدد كتابه قصة حياته!!!"

الصحفي 1: "هذا يعني أنه سي..."

الزوجة تصرخ: يا إلهي كيف تركته لوحده؟..."

الصحفي 1: ولكنه سيقتل..."

الصحفي 2: مقاطعا بالطبع سيقتل نفسه..."

فجملته: رأي شخصية سيقتل هذه المرة!!!)، فالمفترض مسبقا من هذه الجملة على أن الكاتب قد قتل قبل هذه المرة شخصيات كثيرة ولمرات متعددة، وها هو يستعد لقتل آخر شخصية من شخصياته البطولية وهي (نفسه)، فالمفترض مسبقا أو المعرفة المشتركة بين الصحفي والزوجة هو قتل الكاتب لشخصياته أو كتابته التي لا تكاد تخلو من قتل والذبح وسفك الدماء، فكانت، النتيجة كما توقعها الجميع (الزوجة، الصحفي، الطبيب، الصحفي 2) وكل من يعرف الكاتب. ومنه ذلك نجد الحوار الآتي²:

1- محمد ناصر ، المشهد الأخير، ص 137.

2- محمد التوري، زعيط ومعيط ونقاز الحيط، الفصل الثالث، ص 49.

شعبان: "شوفوا... لوكان تتكلموا كلمة راهم صحابي غير منا نزقيلهم يكونوا الكل هنا، ردوا بالك تغلطوا.

الثلاثة: مانغلطوش.

شعبان: "شوفوا، اليوم راني جيت نخطب في بنت الشيخ القبيلة وهو راهومايعرفنيش. لوكان تخرجوا كلمة عمركم تطير فهمتوا...

الثلاثة: فهمنا

إذ انه من المفترض مسبقا أن الأصدقاء الثلاثة (زعيط، معيط، نقاز الحيط) على معرفة سابقة بشعبان الخائن اللص، فبينهما إذن معرفة مشتركة أي بين المتكلم المستمتع وقول شعبان الآتي بين لنا ذلك: (وهو راهومايعرفنيش) فالمعرفة السابقة خاصة بالثلاثة وليست بشيخ القبيلة ولأجل ذلك خاطب شعبان الثلاثة بهذا الخطاب المليء بالتهديدات والأوامر.

ومن مسرحية بوحدبة نجد الحوار الآتي¹، بين القاضي والعون، هذا الأخير الذي لع معرفة سابقة ومشتركة بينه وبين القاضي على كتابه وتدوين نص الطلاق بين بوحدبة وليلى وذلك بخدعة من سي عبد الرحمن والد ليلي:

القاضي: "هيا عون خذ الزحام، بعد الحمد لله، أما نحن قاضي محكمة.

الخامس والخمسين وأعان اله بعنايته ومنه ... من فضلك يا سي عبد الرحمن نادي للزوجة بنتك...، فالقاضي هنا في منزلة الأمر بالنسبة للعون الذي يأخذ المام أو عبد الرحمان الذي سينادي ابنته، ويكون للأمر تأثير على المستمع المخاطب (العون، عبد الرحمن) ولهذا الأخير القدرة على الطاعة وتأويل القول، بمعنى أخذ الزمام الذي فتح أمام سي عبد الرحمن والد الزوجة.

1- محمد التوري، بوحدبة، الفصل الأول، الموقف السادس، ص 70.

وما سنجده في الحوار الآتي¹، من مسرحية ناس الحومة بين كل من الرجل 1 والرجل 2 والشيخ إبراهيم ما بين لنا مسبقا أن صوت المذيع مقترحا مسبقا:

الرجل 1: "تقصوا علينا ياو... الرجل يدخل ثم نسمع صوت رجل 2 يجاوب من المنزل.

الرجل 2: "في داري نعمل واش نحب يا هاو..."

الشيخ إبراهيم: "نقص علينا ياو... أنت تسمع لنفسك وزالا تستمع الناس...، فالمعرفة السابقة والمشاركة بين الرجل 1 والرجل 2 والشيخ إبراهيم هو أن المذيع كان مقترحا وبصوت عال دفع الشخصيات إلى التماور لأجل خفض هذا الصوت المزعج.

ومنه نجد أيضا²:

السائق: "إذا الطرق ضيقين و أمحفرين وانا علاه؟ إذا الطرامات وأنا علاه؟ إذ ما قدرناشانرعدوا القدم والبيانات مطوعين وأنا علاه؟الزميل: "وكي زدتوا في حق الطرام وانا علاه؟"

الصالح: وكي ماقدرتوش ترقدوا القدم وبعنوتهم وراهم دوك يمشيو واحنا علاه؟

السائق: "روحوا... روحوا اتكلموا مع اللي يخلقوا في الفوضة وأنا علاه؟"

فالمعرفة المشتركة والمسبقة بين الشخصيات (السائق، الزميل، الصالح) هي ان كل الطرق ضيقة، قلة الطرامات وغلائها، الناس الي تخلق في الفوضة) ولكن الحوار جاء عبارة عن تساؤلات، حاولت كل الشخصيات أن تبرر موقفا على أنها ليست السبب في كل ما يعطل.

صوت الشيخ إبراهيم: "يا خوخة واش هذا الحس؟"³

"خوخة تفتح النافذة وتطل" التلفزيون بابا "ترمكي اللحاف إلى خرابطة" شفت كيفاه...

1- ناس الحومة، الفصل الأول، اللوحة الأولى، ص 23.

2- المصدر نفسه، الفصل الأول، اللوحة الأولى، ص 42، 43.

3- ناس الحومة، الفصل الأول، اللوحة الثانية، ص 55

صوت إبراهيم: "يخي قتلك طفي عليّ خليني نرقد يا مصيبة..."

خوخة تغلق النافذة، فالمفترض مسبقاً هو أن النافذة كانت مغلقة وها هي خوخة تفتحها كما أن التلفزيون كان مسبقاً، وها هو الشيخ إبراهيم يطالبها بإيقاف تشغيله حتى يتمكن من النوم.

وما نجده في الحوار الآتي¹، بين عبد العالي وعبد القادر والمحفوظ بين لنا معرفتهم السابقة والمشاركة حول القضية التي تمت دراستها من غير أن يصرحوا بها: لوحة خاصة بالتلفون:

عبد العالي: "ابواهاوين وصلت القضية...؟"

عبد القادر: القضية راهي تمشي للقدام بالصح الطريق محجرة..."

الحفوظ: "وضح وضح... يا سي عبد القادر..."

فمن خلال رصدنا لأهم النماذج المشتمة على الافتراضات المسبقة، وجدنا أن الافتراضات المسبقة ذات أهمية قصوى في تحقيق عملية التواصل والإبلاغ، مع ضرورة مراعاة القصد إذ: لا يوجد لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل، ودون وجود إبداع أو على الأقل دون وجود توليف للعلامات² فالعلامة لا تتكون من الدال والمدلول فحسب بل من القصد الذي يحدد المراد وغلا مكان الخطاب غامضاً وخارجاً عن المعنى المنوط به، إذ "يذهب أنصار سيميائا التواصل بوسيني، برييتو، مونانجرايس، أوستن، فتجنشتاين، مارتينييه إلى أن العلاقة تكون من وحدة ثلاثية المبنى، الدال والمدلول، والقصد"³، فبحسب القصد تتعدد السياقات، فمراعاة القصد يعتبر المرسل عن مراده وذلك بما يستجيب للقواعد، وبمجرد خرق القواعد تجاهها يحدث ما يسمى بالاستلزام الحوارية والذي سنعالجه لاحقاً.

1- - المصدر نفسه، الفصل الأول، اللوحة الثالثة، ص 67.

2- جيرار دولودال، التحليل السيموقراطيلنص الشعري، ترجمة عبد الرحمن بوعلي، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، 1994، ص 25.

3- عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1996، ص 89.

ج- الاستلزام الحواري: conversational implicature

يعد الاستلزام الحواري واحدا من أهم الجوانب في الدرس التداولي ويعد الفيلسوف الأمريكي كرايس، من واضعي هذا المفهوم¹، اللصيق بلسانيات الخطاب التي أخذ منها البحث اللساني منحى فريدا، فحاول إذن كرايس أن يضع نحوا قائما على أسس تداولية للخطاب، فمعنى الجمل عادة لا ينحصر في ما تدل عليه صيغها الصورية، أي أنه يمكن للجمل أن تحمل معنى غير المعنى الظاهر في شكلها الصوري، أي تؤول هذه الجملة تأويلا دلاليا آخر، "ف يتم الانتقال من المعنى الصريح إلى معنى غير مصرح به معنى مستلزم حواريا"²، أي قدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما يقول أو أن تحمل العبارة أكثر من معنى وقد ضرب لنا كرايس مثلا³، لتوضيح ذلك الحوار بين أستاذين أ و ب.

الأستاذ أ هل الطالب ج مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة

الأستاذ ب: إن الطالب ج لاعب كرة ممتاز

لاحظ الفيلسوف كرايس أننا تأملنا الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ ب وجدناها تدل على معنيين اثنين في نفس الوقت أحدهما حرفي والآخر مستلزم فالحرفي أن الطالب ج لاعب كرة ممتاز والمعنى الاستلزامي أنه ليس مستعدا لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة، ولكن الأستاذ ب لم يصرح مباشرة بعدم قدرة الطالب على متابعة دراسته في قسم الفلسفة ولكنه لمح لذلك بجملة لاعب كرة ممتاز فالإجابة إذن أخذت بعدين في تفسيرها، وبذلك يكون كرايس قد حاول أن يقيم معبرا بين المعنى الصريح explicit meaning والمعنى المتضمن inxPLICITMEANING

1-herbertpaulgrice logique et conversation in l'informationgramaticaltradint par frederickberthet et michelborenpanir n g 6 1955 p 51.71.

2- العياشي أدراوي الاستلزام الحواري في التداول اللساني منشورات الاختلاف، دار رمان، الرباط، ط1، 1432ن 2011 ص 18.

3- grice, p51, 71.-3

لقد أثار كرايس جملة من التساؤلات لفهم نظرية الاستلزام الحواري إلى أن وجد حلا لهذه التساؤلات التي من جملتها: كيف يكون ممكنا أن يسمع المخاطب شيئا ويفهم شيئا آخر؟ وكيف يقول المتكلم شيئا ويعني شيئا آخر إلى أن تفتن إلى حل مناسب في أسماه:

مبدأ التعاون¹ ← cooperative principale flouting of maxims هذا الأخير الذي طوره كرايس ورأى أنه الوسيلة الوحيدة لإنجاح التواصل، "و ذلك بالتعاون بين المتخاطبين لانجاح هذه التبادلات وتحقيق الأغراض التي راموها من خلال هذا الاندفاع"²، هذا المبدأ حواري عام يشتمل على أربعة مبادئ maxims فرعية³، مبدأ الكم quantity، مبدأ الكيف quality مبدأ المناسبة relevance، مبدأ الطريقة manner، فاتفق هذه المبادئ وتأزرها يؤدي إلى إنتاج حوار تواصلية مثير.

والذي نسعى للبحث عنه في مبحثنا هذا هو الاستلزام الحواري، كيف ينشأ؟ وكيف يتم ضبط و معرفة المعنى الذي تخرج إليه جملة محددة؟ إن خرق قاعدة أو مبدأ من مبادئ التعاون هو الذي يؤدي إلى تحقيق الاستلزام الحواري، وذلك كخروج جملة ما من معنى الأمر إلى معنى الالتماس كقولنا مثلا: "ناولني الكتاب من فضلك"، فقد تحقق معنى الالتماس بفضل القرينة من فضلك، فالإخلال إذن بمبدأ من مبادئ التعاون يؤدي إلى الاستلزام الحواري.

وسنحاول إحصاء بعض الحوارات اشتملت على هذه النظرية وكيفية خروج بعضها إلى معاني أخرى وذلك وفق ما يقتضيه السياق والمقام وهذا ما يدخل في الإخلال بقاعدة الورد و الملائمة⁴، وذلك أن يناسب المقام المقال كأن تتلفظ مثلا بعبارات الحزن في الأفراح والعكس صحيح، وحتى على ذلك كل العبارات التي يجب أن يناسب مقالها مقامها كما لا ننسى التعابير المجازية والاستعارية التي تلعب دورا كبيرا في نظرية الاستلزام الحواري إذ تقدم الأقوال المجازية و الاستعارية والتهكم والسخرية شواهد على الاستلزمات الحوارية التي تحصل تبعا للإخلال بقاعدة من قواعد حوارية⁵، ويكون ذلك بآلية التعمية، أي قصد المرسل

1-محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 33-34.

2- وحرور أحمد، التداولية الاهتمامات والمفاهيم والأهداف، 1، 2009، Net 1rer aqim. <http://www.arlaam>

3-محمود أحمد نحلة، مصدر سابق، ص 34-35.

4- العياشي أدراوي، مصدر سابق، ص 115.

5- حسان الباهي، المفارقات وأسى الحوار، مجلة التواصل اللساني، 1994، ص 55-64.

إلى تعمية المعنى الصريح على من يفقه اللغة وهذا ما يدخل في المجاز إذ "تنتج الآلية - المجاز - في عملية ذات مرحلتين:

تفكيك وإعادة، وهي الآلية التي تخدم قصد المرسل عند التعمية على من يفقه اللغة في مواضعها الأصل، بقصد حصر الدلالة في أفق ضيق في الوقت نفسه، لئلا يفقها غير المرسل إليه المقصود بالخطاب وتسمى هذه الآلية بآلية التشفير"¹، فهذه العملية تكون بين المرسل والمرسل إليه أثناء التواصل بينهما فيكون الانتقال من المعنى الطبيعي إلى المعنى غير الطبيعي، أو تحليل الخطاب أكثر من معنى وهنا يدخل القصد والسياق في عملية التأويل وهذا ما صنفه جرايس² إلى المعنى الطبيعي والمعنى غير الطبيعي إجمالاً فالعناية بالقصد هو جلب نظرية جرايس³، وذلك عندما افترض مبدأ عاقل يؤسس لتفاعل الطرفين (المتكلم، المخاطب) ويكون هذا التفاعل ناجحاً وفقاً لمبدأ التعاون وإليك الحوار الآتي⁴، الذي دار بين باباناغ وعرفية من مسرحية ألف مرحى لمتسولة والذي نرى فيه خرقاً لإحدى مبادئ التعاون باباناغ الخلد لا يبق "يتأوه أكثر فأكثر" "أوه...أوه.

عرفية: وماذا يفعل إذن؟

باباناغ: لست أدري

عرفية: ماذا؟ لا تدري... وتتكلم وتقول أي شيء إنك تتعبنى كثيراً "تشير بدورها إلى الجمهور: هناك أشخاص يجلدون أذانكم، سيكرونكم بالخطب، لكن ماذا ينتج عنها، نفس النعمة... النعمة الوحيدة المعروفة لا بد من التضحيات... على الشعب أن يضحى... يمكننا أن نرد عليهم ولم لا، حبذا لو يرينا أحدكم كيف نضحى؟ لا تريدون تعليقا كيف يمكننا أن نقول لهم.... إن نموذجيتكم ضرورية للشعب فما يتساقط من موائدكم يمكننا أن نتغذى به كلنا إذ لا تريدون أن تبدؤوا"، فهذا الخطاب فيه إخلال بقاعدة الجهة أو الخلفية فعرفية، لم تكن واضحة في خطابها، فكان الخطاب غامضاً، إذ لم تصرح بكل ما أرادت

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، مصدر سابق، ص 184، 185.

2-paulgrice: xtudies in the way of words, harvard. Universitspress, 1989, p 213-214.

3- عبد الهادي بن ظافر الشهري، مصدر سابق، ص 197.

4- محمد ديب، ألف مرحى لمتسولة، الترنيمة الثاني، ص 27-28.

قوله، فكلامها جاء ملتبسا، فالإخلال بقاعدة الجهة أو الخلفية "تنصب بالأساس على التزام الموضح في الكلام وتجنب الغوص والالتباس القصدي الذي يحصل عادة عندما تجتمل العبارة معنيين أو أكثر"¹، فالخطاب هنا يبدوا أنه موجه للجهة المعنية لحل مشاكل الشعب، أو الطبقة المتسلطة، وكما نجد الإخلال بقاعدة الورود والملائمة في الخطاب أو الحوار الآتي²، باباناغ: "اسكتي... اسكتي... أيتها التعيسة.

عرفية: "تبعده": الشعب تضحك آه الشعب إنه لا يصلح إلا للموت في الجبال ... وشد الحزام ... إنما للتعيم بالحياة فإنه لا يصلح.

باباناغ: صارخا: "قد يصلهم كلامك ... وعندما يقبضون عليك، أنت غاوية شغب لا شك في ذلك"

عرفية: "الحياة لا تكون... ببساطة لا تتخدعوا بما يقال، الحياة لا توجد إلا هناك حيث الإنسان إنسان وليس حيوانا للذبح، ليس حيوانا للذبح".

عرفية: "أبعد يدك ... ماذا حدث حتى تدفعني؟"

باباناغ: "انتظري .. انتظري... والآن الآن وقد أصبحنا بعيدين عن هؤلاء البلهاء... قولي على مسامعي الخطاب الذي تريدني"، فعرفية قد ارتكبت زلة لسان في شتمها للهجة أو السلطة المعنية، وقد رأى باباناغ عدم ملائمة مقالها للمقام الذي هي فيه، لذلك طلب منها السكوت والإفصاح عما تريد قوله حالة الابتعاد على المكان الذي توجد فيه السلطة المقصودة أداة المقصود شتمهم فقد يقتضي الجواب أيضا إشارة انتباه (أ) مثلا إلى وجود أحد أقارب فلانة بالقرب منها"³، فجواب باباناغ هو إثارة لانتباه (أ) وهي عرفية المتكلمة على وجود أحد الأشخاص والبلهاء) على حد تعبير عرفية بالقرب منهما.

ومن الخطابات المشتملة على خرق قاعدة الكيف نجد الحوار الآتي⁴:

1- العياشي أدراوي، مصدر سابق، ص 115.

2- محمد ديب، ألف مرعى لمتسولة، الترنيمة الثانية، ص 28.

3- العياشي أدراوي، مصدر سابق، ص 115.

4- محمد ديب، الف مرعى لمتسولة، الترنيمة الخامسة، ص 70.

وسيم: "معدرة... اسمح لي، كيف نفسر إذن أيها المحترم وجودك في الشارع في منتصف الليل، وأنت تصرخ ... أمسكوا السارق.

وسيم: "...والخطأ كيف أعلنه، لقد وصلت عندما انتهى كل شيء، شرود مني، مزحة الشيطان ... عندما هممت بالدخول أغلقت الخدم الباب..." ففي الخطاب فرق لقاعدة الكيف، وهي "طأن لا تقل ما تقل ما تعتمد أنه كاذب ... فلا شك أن كذب هذا القول ظاهر لأي مستمع على اعتبار أن صرح به الشخص لا يطابق ما يفكر فيه وبذلك يكون التهمك بالشخص المتحدث عنه فالقضية المقصودة هنا في هذا البيان نقيض ما صرح به المتكلم"¹، فالمتكلم (وسيم) صرح بشيء كاذب لم يقصده المستمع أو المتلقي (الشريك): فلا يغلق الباب في وجه مستشار محترم حتى ولو وصل متأخرا.

ومن مجالات الاستلزام الحواري أيضا خروج بعض الأغراض أو الأساليب إلى معاني أخرى كخروج الاستفهام مثلا إلى أغراض غير الاستفهام الحقيقي كالسخرية أو الالتماس أو ...
ومنه نجد الخطاب الآتي²

عرفية: "ماذا؟ ما به الجبل؟"

عرفية: "ماذا هل سكنك الخوف؟"، ففي الجملة الأخيرة استفهام من حيث الصيغة العرفية وأداة الاستفهام ولكنه يحمل معنى الاستهزاء والسخرية "فادا قلت لمن يؤذي الأب (أتفعل هذا؟) امتنع توجه الاستفهام إلى فعل الأذى لعلمك بحالة، وتوجه إلى ما لا تعلم، مما يلابسه من مثل: أتستحسن؟ وولدا الإنكار والزجر"³، فينتقل بذلك المعنى الأصلي (الاستفهام) إلى معان فرعية كالاستهزاء السخرية، و... ومن النماذج التي خرج فيها الاستفهام إلى التحقير نجد⁴:

1- العياشي أدراوي، مصدر سابق، ص 114-115.

2- محمد ديب، ألف مرجى لمتسولة ، ص 49.

3- إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية ، العدد 14-15، 2001.

4- انتحار كاتب، المشهد السادس، ص 134.

سائل: "يا المؤمنين غيثو الأعمى المسكين..."

عبد الرحمن: قلنا لك الله ينوب...

بوحدة أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء...

عبد الرحمن: "ينادي زوليخة..."، ففي الجملة الأخيرة (زوليخة...) طرف لقاعدة الورود في الملاءمة.

أما النماذج المشتمة على الإخلال بقاعدة الكم فوجد¹:

الشيخ إبراهيم: "خطيك... ابرنشيليازيقو برك..." الشيخ إبراهيم يكنس... و يبعد الزبل عن دكانه، الشيخ المحفوظ ينظر إلى خوخة النافذة بتعجب"

الشيخ المحفوظ: "ما شاء الله .. ما شاء الله ينادي: إبراهيم الشيخ إبراهيم اريح اريح.

الشيخ إبراهيم: انعم خير إن شاء الله يا سي المحفوظ"

الشيخ المحفوظ وهو ينظر إلى النافذة لكن الشيخ إبراهيم ينظر إلى الأرض: أنا مدرتش الخير ليك... درته لعدوة وإذا اليوم ألقيتي عدوة نلقاك..."

الشيخ إبراهيم: "انعم راني هنا"، ففي كلام الشيخ إبراهيم المحفوظ تلميح إذ أنه لم يقدم المعلومات اللازمة للشيخ إبراهيم أو القصد تقديم يد المساعدة له، فالشيخ المحفوظ يلمح له على ابنته خوخة لأنه يريد لها زوجة ولكنه وخوفا من الإحراج لم يصرح بذلك، فاستعمل طريقة التلميح وذلك لإظهار حسن نيته ويتجلى لنا ذلك في (ما شاء الله .. ما شاء الله)، ينظر إلى النافذة... أنا ما درتش الخير ليك... اليوم ألقيتي عدوة نلقاك).

كانت هذه إذن بعض النماذج المشتمة على الاستلزام الحوارية، هذا الأخير القائم على مبدأ التعاون الذي مفاده التعاون بين أطراف الحوار لتحصل الفائدة المطلوبة إذ "أنه يوجب أن يتعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف من الحوار الذي دخلا فيه، وقد يكون هذا

1-ناس الحومة الفصل الثاني، اللوحة الأولى، ص 119.

الهدف محددًا من قبل دخولهما في الكلام، أو يحصل تحديده أثناء هذا الكلام¹، وخروج الكلام من القوة الإنجازية الحرفية إلى القوة المستلزمة يستدعي الحفاظ على مبدأ التعاون، ومع خرق قاعدة من قواعده يتحقق الاستلزام الحوارى، إذ نجد التعاون متحقق بين المتكلم والمستمع ولكن قد يحدث خرقًا لإحدى قواعده فيخرج الكلام من المعنى الحرفى إلى المعنى المستلزم.

1- طه عبد الرحمن، مفهوم التخاطب بين مقتضى التبليغ ومقتضى التهذيب، مجلة كلية الآداب، بني هلال، ع1، 1994، ص 43-44-45.

➔ البابالثاني:الفصل الأول - جوانب البحث التداولي-

1- الإشارة

1-1- الإشارات الشخصية

1-2- الإشارات الزمانية

1-3- الإشارات المكانية

2-الإشارات وأبعادها الاجتماعية

تمهيد أ – الإشارة:

يتجسد الخطاب باللغة في مستوياتها كافة، والكلمات جزء من نظام اللغة فتحيل كل كلمة على مدلول معين، وأن ميدان استعمال اللغة هو الخطاب الذي يتبلور من خلال عملية قولية تسمى عملية التلّفظ بالخطاب الذي يعني (الفعل الذاتي في استعمال اللغة: إنه حيوي في إنتاج نص ما كمقابل للمفوض باعتباره الموضوع اللغوي المنجز والمنغلق والمستقل عن الذات التي أنجزته وهكذا يتيح التلّفظ دراسة الكلام ضمن نظرية التواصل ووظائف اللغة، يرى Benvenest أنّ التلّفظ هو موضوع الدراسة وليس المفوض)¹؛ إلا أنّ بعضاً من هذه الكلمات المتلّفظة بها يوجد في المعجم الذهني دون ارتباطه بمدلول ثابت، فلا يتضح مدلوله إلا من خلال التلّفظ بالخطاب في سياق معين وذلك مثل الحوار التالي:

الولد: ما هذا يا أمي؟

الأم: أي شيء تقصد يا بني؟

الولد: هذا، هذا، مشيراً بيده إلى الأمام، ألا تفهمي؟

الأم: ما هو هذا؟ الذي لونه أبيض؟... الخ، اذهب ومدّ يدك إليه.

فيتوجه الولد إلى الأمام مشيراً بيده، هذا، هذا أرأيت الآن؟

الأم: بلى، رأيت إنّها لوحة.

فنجد في هذا الخطاب أكثر من أداة لغوية حاول الطفل أن يحدّد بها الأشياء، وهذه الأدوات هي: (هذا هناك،) ولتحديد مدلولها- بعد أن كانت غامضة - استعان الولد بأدوات غيرها مثل الإشارة باليد؛ هذه الإشارات مثل أسماء الإشارة والضمائر من العلامات اللغوية التي لا يتحدّد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي؛ لأنها خالية من أي معنى في

1 - سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي ، الدار البيضاء ط1997، 3، ص19 ، ضمن عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص28.

ذاتها... لذلك "يتفق النحاة جميعا على أنّ الأسماء المبهمة يعني بها أسماء الإشارة، وقد خصّ بعضهم المبهمات بأسماء الإشارة وحدها"¹، وتنقسم هذه الإشارات إلى أقسام:

الإشارات الزمانية، الإشارات المكانية، والإشارات الشخصية، وإشارات الخطاب، وقد وردت بعض الإشارات الجسمية في القرآن الكريم وفي مواضع كثيرة منها قوله تعالى: "وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ"² وفي قوله تعالى: "صُمُّ بُكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ"³، وفي قوله تعالى: "إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ"⁴، وفي قوله تعالى: "قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ"⁵

أما عن وجود الإشارة عند العرب ، فقد كان الجاحظ أول من تحدث عن هذه الإشارات قائلا: "...فأما الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين ، والحاجب و المنكب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب والسيف ،وقد يتهدّد رافع السيف والسوط ،فيكون ذلك زاجرا، ومانعا رادعا، ويكون وعيدا، وتحذيرا....."⁶

وقد قال الشاعر في دلالات الإشارة:

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ حَيْفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةً مَدْعُورٍ وَلَمْتَتَكَلِّمْ⁷

وقال الآخر:⁸

الْعَيْنُ تُبْدِي الَّذِي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا مِنْ الْمَحَبَّةِ أَوْ بُغْضٍ إِذَا كَانَا
وَالْعَيْنُ تَنْطِقُ وَالْأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ حَتَّى تَرَى مِنْ ضَمِيرِ الْقَلْبِ تَبْيَانَا

1 - إبراهيم إبراهيم بركات: الإبهام والمبهمات في النحو العربي ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر 1408 ، 1987 ، ص93.

2 - سورة المنافقون، الآية 4.

3 - سورة البقرة، الآية 18.

4 - سورة الأنعام الآية 36.

5 - سورة الأنعام الآية 46.

6 - شوقي ضيف: البلاغة، تطوير وتاريخ، دار المعارف، ص57.

7- ديوان قيس بن الملوح، مجنون ليلي، رواية أبو بكر الوبلي، دراسة وتعليق يسرى عبد الغني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999، ص 17.

8 - ابن قتيبة عيون الأخبار، ج 2، ص 182. و انظر الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1، ص70.

ولا يقف دور الإشارات في السياق التداولي عند الإشارات الظاهرة، بل يتجاوز إلى الإشارات ذات الحضور الأقوى، وهي الإشارات المستقرة في بنية الخطاب العميقة، عند التلّفظ يحدث من ذات بسمات معيّنة، وفي مكان وزمان معينين؛ هما مكان التلّفظ ولحظته، إذ تجتمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشارات هي (الأنا، الهنا، الآن)، وعليه تكون "الإشارات هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساسي بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارات البعيدة عنه"¹

وتنقسم هذه الإشارات إلى إشارات الشخصية، الزمانية، المكانية، فلا يمكن ان تتم عملية التلّفظ بالخطاب دون حضور الأدوات الإشارية الثلاثة وهي (الأنا، الهنا، الآن) والتي يمثل كلّ منها نوعا من الإشارات السابقة الذكر، ولأن هذه الإشارات موجودة في كفاءة المرسل اللغوية فإن المرسل لا ينطقها في كلّ حين، ولنرى خطابا مثل: (اغلق النافذة)، فهذا الخطاب يتضمن هذه الإشارات الثلاثة؛ فبنية الخطاب في صورتها العميقة، هي أن أقول لك، هنا، اغلق النافذة الآن. فما الذي يجعلها ذات وظيفة تداولية؟ يمكن القول أنّها "تتنسب الإشارات إلى حقل التداوليات؛ لأنها تهتم مباشرة بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق الذي تستخدم فيه"²

أ - 1 الإشارات الشخصية:

وهي بشكل عام، الإشارات الدالة على المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب. فالذات المتلطفة تدل على المرسل في السياق، فقد تصدر خطابات متعددة عن شخص واحد، فذاته المتلطفة تتغير بتغير السياق الذي تُلّفظ فيه، وهذه الذات هي محور التلّفظ في الخطاب التداولي؛ لأن الأنا، قد تحيل على المتلّفظ الإنسان، أو المعلم، أو الأب،.... الخ.

وممارسة التلّفظ هي التي تدل على المرسل في بنية الخطاب العميقة، مما يجعل حضور الأنا يرد في كلّ خطاب، ولهذا فالمرسل لا يضمنها خطابه شكلا في كلّ لحظة، لأنّه يعوّل على وجودها، بالقوة، في كفاءة المرسل إليه، وهذا ما يساعده على استحضارها

1 - youle.george.pragmatics,oxforduniversitypress,1996p9

2 -stephencherinson:pragmatics,cambridge,university press.1983.p55

لتأويل الخطاب تأويلا مناسباً،"فأعرف المضمرات المتكلم لأنه لا يوهمك غيره ثم المخاطب والمخاطب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة"¹.

إنّ جسم الإنسان يؤدي دوراً هاماً في تحقيق التفاعل الاجتماعي الذي يتمثل في التواصل بين أفراد المجتمع؛ لأن كلّ منا لا يتكلم بلسانه وأعضاء النطق الأخرى فقط، ولكنه يتكلم بأعضاء جسمه أيضاً، فيوميّ برأسه، ويغمز بعينه، ويضم بشفتيه، ويهزّ منكبيه، ويشير بيديه وأصابعه، بل إنّنا نجد الإشارة قد تتوب أيضاً عن الكلام في بعض المواقف.

إنّ ظاهرة الإشارات الجسمية gestures وبيان دورها في التواصل لا تزال مهمة للأسف الشديد من قبل الدارسين العرب المتخصصين في الدراسات الإنسانية مثل علوم اللسان، والنفس والاجتماع والأنثروبولوجيا، وفي مجال الدراسات التي تهتم بفنون القول مثل الشعر والرواية والمسرح.

وإذا كانت اللغة كما يقول سوسير: "نظاماً من العلامات system of signs أو ضرباً من السلوك كما يقول بعض اللغويين مثل بلوم فيلد فإنها ليست النظام والسلوك الوحيد الذي يستعمله الإنسان للتواصل مع غيره، فهناك أنظمة أو أنماط سلوكية غير لغوية non verbal behavior تصاحبها وتدعمها مثل التعبير الجسمي body expression والتعبير الصوتي voice expression الذي يتمثل في نغمات الصوت التي تساهم في

تحديد دلالة الكلمات، وإيقاع النطق وسرعته، ودرجة الصوت في ارتفاعه وانخفاضه والهيئة posture التي يكون عليها المتخاطبون، والتجار أو التقارب proscimity أي المسافة المتعارف عليها وتكون بين المتكلم والمستمع، والتلامس touching الذي قد يحدث بين المتخاطبين ودوره في تعزيز عملية التواصل"²

إنّ عملية التواصل تعتمد على أربعة عناصر رئيسية: المتكلم أو المرسل المستمع أو المستقبل، الرسالة أو المضمون الذي يرسله المتكلم ويستقبله المستمع، القناة أو الوسيلة التي

1 - ابن يعيش ، شرح المفصل، ج3، ص84.

2 - الكيفيات أو المحددات الصوتية مثل التنغيم والنبر وارتفاع الصوت وانخفاض الصوت في مقابل مصطلح parakinesics الذي يعني المظاهر الأخرى المصاحبة مثل الإشارات الجسمية وهيئة الجسم في الوقوف والقعود والمشى..... الخ

تحمل الرسالة ، كما تعتمد على الجانبين السلوكيين اللفظي وغير اللفظي ،يتمثل الأول في الكلمات المسموعة وما يصاحبها من التعبير الصوتي، ويتمثل الثاني في الإشارات المرئية وما يصاحبها من هيئة الجسم؛فالجسم الإنساني يلعب دورا هاما في تحقيق التفاعل الاجتماعي الذي يتمثل في التواصل بين أفراد المجتمع .

إنّ اللغة تتركز في جسم الإنسان الذي يفعل كله بما يعبر عنه، فكلّ منا لا يتكلم بلسانه وأعضاء النطق الأخرى، ولكنه يتكلم بأعضاء جسمه أيضا...فتتحرك أسارير وجهه وعضلاته للتعبير عن الحب والبغض، والإعجاب والاحتقار والرضى والغضب،ولهذا قيل:"ربّ إشارة أبلغ من عبارة".

لقد فطن اللغويون إلى أن عملية التواصل لا تعتمد فقط على اللغة بصفاتها الأداة الرئيسية لهذا التواصل،بل تعتمد أيضا على ما يصاحبها من نغمات صوت المتكلم voicetones وحركاته الجسمية body motion فاهتموا بدراسة هذه المصاحبات اللغوية para. Linguistics

- إن الإنسان يمتلك رسائل أخرى غير لغوية أو لفظية تقوم بوظيفة التواصل مثل اللغة التي تعتبر نظاما من العلامات غير اللفظية تخضع لاتفاق وتواضع الجماعة conventionality وتعمل متضافرة تارة ومستقلة تارة أخرى من خلال السياق الثقافي cultural contesct لكل مجتمع، كما تعمل هذه الأنظمة من خلال الحواس الخمس- السمع والبصر واللمس والشمّ والذوق - التي تحدّد بدورها نظام العلامات و وظيفته.

إنّ الإنسان يتكلم بجسمه ما يتكلم بلسانه، وتحمل حركاته وإشاراته دلالات مفهومة مثل كلمات اللغة تماما، وأنظمة أدائية تتمثل فيما يستخدمه الإنسان من وسائط أو أشياء توجد في البيئة ويستعملها الإنسان بوصفها علامات محملة بدلالات مختلفة إلى جانب استخدامها في أغراض أخرى، مثل الملابس المصنوعة من الإمكانيات المتاحة في البيئة مثل القطن والصوف والحريير والكتّان والتي يرتديها الإنسان بغرض تغطية جسمه وحمايته من الحر

والبرد، وتمثل في الوقت نفسه نظاما من العلامات تخضع لاتفاق المجتمع من ناحية وتقوم بوظيفة التواصل بين أفراد المجتمع من ناحية أخرى¹.

لقد حدّد السيمولوجي الإيطالي روس لاند الانظمة الدلالية غير اللفظية التي يتوسل بها الإنسان للتواصل في قسمين:

1 - قسم يشمل الأنظمة الدلالية العضوية *organic semantic systems* التي تعتمد على جسم الإنسان وتتمثل في:

. الإشارات الجسمية *gestures* والحركات *motions* والأوضاع الجسمية *postures* والتجاور *proscimty* أي استعمال المتخاطبين للمسافة التي يسمح العرف بها لتجاور جسميهما.

. التواصل اللمسي *tactile* والشمّي *olfactory* و الذوقي *gustative*.

. التواصل البصري *visual* و يتمثل في الفنون البصرية مثل نظام الخط والكتابة والرسم والنحت ، والتواصل السمعي *auditory* ، ويتمثل في جانب الكلام في الموسيقى والغناء.

2 - قسم يشمل الأنظمة الدلالية الأداةية *instrumental semantic*

التي تعتمد على أشياء خارجة من جسم الإنسان وتتمثل في:

. الأشياء *objectes* التي يستعملها الإنسان مثل الملابس والحلي وبعض الأدوات التي تستعملها المجتمعات في أغراض مختلفة تحمل دلالات متباينة مثل: المنديل والمسبحة والمروحة.... الخ

. لقد ساهم علم العلامات *sémiologie* في تطوير نظرية التواصل *communication théorie* التي تتمثل في عملية النقل والتبادل لأنظمة العلامات

1 - رولان بارت عن دور نظام الملابس في التواصل elements of semiology p25-27
- الجاحظ البيان و التبيين ، ج3، ص114.

المتفق عليها من خلال سياق ثقافي معيّن . إنّ عملية التواصل بهذا المفهوم تمثل أهم الظواهر الاجتماعية في حياة الإنسان، إنّها تستغرق 70 % من وقته الذي يقضيه متكلمًا أو مستمعًا ، وقد يندهش المرء إذا عرف أنّ التواصل اللغوي verbal communication يمثل 40 % من حجم عملية التواصل بينما يمثل التواصل غير اللغوي 60 % من حجمها وهذا ما يؤكد لنا:

. أهمية ظاهرة التواصل في حياة الإنسان.

. الدور الهام للتواصل غير اللغوي في حياة الإنسان.

الارتباط الوثيق بين التواصل اللغوي وغير اللغوي الذي يظهر في مصاحبة الإشارات الجسمية body signs ونغمات الصوت voicetones للألفاظ المنطوقة .

. يتميّز نظام التواصل بتعدّد قنوات الإتصال multi channel . التي تعتمد على تعدّد الحواس multisensry .

اللغة إلى التواضع الاجتماعي ولهذا فهي تختلف من مجتمع لآخر، كما أنّها

. أي الإشارات . تستعمل في بعض المناسبات بدلا من الكلام لدى بعض قبائل الهنود الحمر في شمال أمريكا التي تختلف لغاتها، ولدى بعض جماعات الرهبان الذين يصومون أحيانا عن الكلام ، كما تعتبر وسيلة التخاطب الأساسية للصمّ والبكم.....¹ كما يتحدث اللغوي الإيطالي ماريوباي في كتابه "قصة اللغة" عن اللغة الإشارية

المرتبطة بالكلام الشفهي وأهميتها وأسبقيتها على الكلام قائلًا: "... إنّ لغة الإشارة هي أصل اللغة المنطوقة وسابقة عليها، وإنّها تشتمل على ما يقرب من 7000 إشارة مميّزة تؤديها تعبيرات الوجه ، وأوضاع الجسم وإشارات وحركات الرأس واليدين والأصابع، وهذا يكفي لكي يكون نظاما من الرموز الإشارية مساويا لنظام اللغة"²

1-blomfield -leonardlanguage .p39.40 ,macdonald ,critchley, silendlanguage p 52.86

2- معجم الإشارات الجسمية المترجم عن الألمانية

كما تناول اللغوي الفرنسي فنديرس الإشارات الجسمية les gestes corporel في
مقام بعنوان¹ اللغة الشفهية ولغة الإشارات le langage orale et le langage
par gestes

يبدأ فنديرس مقاله بقوله : " توجد أنواع متعددة للغات تنقسم إلى قسمين أساسيين : اللغة
الشفهية أو المنطوقة articule ولغة الإشارة أو لغة الإيماء language mimique ،
تستعمل الأولى حاسة السمع وتستعمل الثانية حاسة البصر ، كما ينصّ على أنّ الإشارة le
geste تصاحب الكلام laparole في استعمال اللغة ولا يوجد شخص يتكلم دون التوسل
بالإشارة التي يتوقف استعمالها على مزاج الشخص وثقافته وتقاليد الاجتماعيه² "

ويقول في موضع آخر : " إنّه لا يكفي أن نقول إنّ الإشارة لا تفارق الكلام لأنّ الكلام
نفسه يعتبر جزءا من الإشارة ليس فقط في الأداء الشفهي ، ولكنه أيضا يمكن أن يصاحب
قراءة كل نص مكتوب ، إنّ الخطباء والشعراء يجب عليهم الحضور بكل إمكاناتهم الأدائية
عند إلقاءهم لكلماتهم وقصائدهم³ "

كما يتحدث فنديرس عن وظيفة الإشارة في الكلام فيقول: " إنّها ترسم لنا حدود الجمل
التي ينطق بها المتكلم بدايتها ونهايتها ، كما تساعد أفكارنا على الانطلاق فاليد تمتد
وتتكمش كما لو كانت تغوص في أعماق الضمير لتجلب الفكرة الوليدة ، تعجنها وتصلقها
بإعطائها الشكل المناسب⁴ " ويقول في موضع آخر : " إنّ الإشارة تخدم اللغة ، إنّها تساعدنا
على إبداء رغباتنا وحاجاتنا للآخرين ، فمن السهل على أي فرد إذا ذهب إلى بلد لا يعرف
لغته أن يطلب ما يريد من الطعام والشراب ومكانا للنوم معتمدا على الإشارات.....إنّنا
نلجأ إلى الإشارات عندما نعجز عن الإفصاح عمّا نريد ، كما نلجأ إليها أيضا عندما نريد
إخفاء ما نريد ، ويمكن أن نتعرف من خلال الإشارات الجسمية الإرادية واللاإرادية على

Betty end franzhauml:adictionary of gestures ,n,j,u,s,a,1975 saitz,rabert end

edwardcenvenska:hand book of gestures,colombia,u,s,a1972

1-journal de psychologie normale et pathologie p7,33,tome,xliii armée 1950

2-ibid , p ,6,7,8.

3-ibid ,p 11 ;12.

4-ibid ,p 14 ;15.

مشاعر وأفكار الفرد ويمكن أن نفهم من خلال الإشارات أيضا موضوع الحديث الذي يدور بين شخصين يتكلمان على بعد متنا إذا تتبعنا إشارات وحركات كل منهما¹

وكما فطن هؤلاء الأوروبيون المحدثون الذين اشتغلوا بالدرس اللغوي إلى ظاهرة الإشارات الجسمية ودورها في الكلام ، فطن أيضا العرب القدماء من اللغويين والبلاغيين مثل ابن جنّي وابن رشيق وغيرهما إلى تلك الظاهرة ، وقد كان الجاحظ أول ت (225هـ) الذي سبق هؤلاء وأولئك ، أول من لفت الأنظار إليها من خلال تصويره وإدراكه العميق لوظيفة اللغة ومفهومها كوسيلة أو نظام من أنظمة التواصل، وذلك من خلال حديثه عن فنون القول مثل الخطابة والقصص والوعظ وما تتطلبها من مكملات كلامية مثل الإشارات الجسمية والنغمات الصوتية التي تقوم بدور مهم في الأداء الكلامي .

عرض الجاحظ في كتابه (الحيوان) و(البيان) بوسائل البيان أو التواصل وحددها في

خمس وسائل قائلا: " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد² ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نسبة بكسر النون"³... وقد فسر النسبة في البيان بقوله : " إنها الحال الناطقة بغير لفظ والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر في كل صامت وناطق"⁴ ، ويفسر في الحيوان بقوله : " فالأجسام الخرس الصامته ناطقة من جهة الدلالة ، ومعربة من جهة الشهادة على أنّ الذي فيها من التدبير والحكمة مخبر لمن استخبره ، وناطق لمن استنطقه ، كما يخبر الهزال وكسوف اللون عن سوء الحال وكما ينطق السمن وحسن النظرة عن حسن الحال....فموضوع الجسم ونصبته دليل على ما فيه وداعية إليه ومهيمنة عليه"⁵ ، فالجاحظ لم يعرف لنا ظاهرة الإشارات الجسمية ولكننا نشعر من خلال حديثه عنها أنّه تصورهما وسيلة هامة من وسائل البيان أو التواصل قائلا: " فهل تعود الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة ، وحليّة موصوفة ، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها ويقوا في موضوع آخر : " فأما الإشارة

1 -journal de psychologie normale et pathologie p.15

2- الجاحظ؛ الحيوان:ج1،ص40 .

3- الجاحظ؛البيان والتبيين،ج1،ص76 .

4- المرجع نفسه، ج 1 ،ص81 .

5 الجاحظ؛ الحيوان، ج 1،ص31،30،و221،104 من الدراسة .

فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب¹ ، ويقول في الحيوان فأما الإشارة فأقرب المفهوم منها رفع الحواجب ، وكسر الأجنان ، ولي الشفاة ، وتحريك الأعناق ، وقبض جلدة الوجه ، وأبعدها أن تلوي بثوب على مقطع جبل اتجاه عين الناظر² ، فمفهوم الإشارة عند الجاحظ لا يقتصر على حركة أعضاء الجسم بل يمتد إلى استعمال بعض الأدوات التي يستعملها المتكلم فيقول : " ومن شأن المتكلمين أن يشيروا بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم فإذا أشاروا بالعصي فكأنهم قد وصلوا بأيديهم أيديا آخر... كما يذكر أن حمل العصا والمخصرة دليل على التأهب والتهيؤ للإطناب والإطالة"³

نرى أن الجاحظ يجعل الإشارة قسيمة للفظ بل إنها قد تتقدم اللفظ ، أو تتوب عبه فنجد يقول : " والإشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هي له ، ونعم الترجمان هي عنه ، وما أكثر ان تتوب عن اللفظ.... كما يقول : مبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت فهذا أيضا باب تتقدم فيه و يشير إلى الدور والوظيفة المتميزة للإشارة في بعض المواقف في عملية التواصل قائلًا : وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة في أمور يسترها بعض الناس من بعض ، ويخفونها من الجليس وغير الجليس ، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص"⁴

وَأَلْعَيْنُ تَنْطِقُ وَالْأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ حَتَّى تَرَى مِنْ ضَمِيرِ الْقَلْبِ تَبْيَانًا

ويقول في الحيوان : " ولا بدّ لبيان اللسان من أمور منها : إشارة اليد ، ولولا الإشارة لما فهموا من خاص الخاص ، إذا كان أخص الخاص قد يدخل في باب العام ، إلاّ أنّه أدنى طبقاته ، وليس يكتفي خاص باللفظ عمّا أداه كما اكتفى عام العام"⁵

نجد الجاحظ أيضا يشير إلى افتقار اللغة وحاجتها للإشارة كوسيلة مساعدة أو مكملّة للبيان أو التواصل كما رأينا ، وتشمل الإشارة هنا الاستعانة بحركات الأعضاء أو الأدوات التي يحملها المتكلم ، ويذكر ذلك قائلًا : "والمغني قد يوقع بالقضيب على أوزان الأغاني ،

1 - الجاحظ ؛ البيان والتبيين، ج1، ص 77 / 78.

2- الجاحظ ؛ الحيوان ج 1 ، ص 39.

3- الجاحظ ؛ البيان والتبيين ، ج 3، ص 116-117.

4 - المرجع نفسه، ج 1، ص 78، 79.

5 - الجاحظ ؛ الحيوان ، ج 1، ص 41 .

والمتكلم قد يشير برأسه ويده على أقسام كلامه وتقطيعه ، ففرقوا ضروب الحركات على ضروب الألفاظ وضروب المعاني ولو قبض يده ومنع حركة رأسه لذهب ثلث كلامه ، وقال عبد الملك بن مروان : لو ألقيت الخيزران من يدي لذهب شطر كلامي، وأراد معاوية سبحانه بن وائل على الكلام فلم ينطق حتى أتوه بمخصرة¹ ، ولم يكتفي الجاحظ ببيان دور الإشارة ووظيفتها في الكلام ، بل يجعلها من علامات البلاغة قائلا: " قيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال: وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة. ويقول في موضع آخر : وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من الدال والشكل التقتلوالثني واستدعاء الشهوة"² ، لقد كان الجاحظ رائدا في اهتمامه بظاهرة الإشارات الجسمية وأول من تنبه لها من القدماء ، وفطن إليها قبل المحدثين الذين اهتموا بها اهتماما كبيرا، وإذا كان القدماء قد انتبهوا لهذه الظاهرة ، إلا أنهم لم يتوقفوا عندها طويلا كما فعل الجاحظ ، وإنما عرضوا لها لبيان دورها المهم في عملية التواصل بشكل مختصر، ومن هؤلاء ابن جنّي اللغوي ت(392هـ) الذي استعمل مصطلح حكاية الحال للتعبير عن الإشارة الجسمية قائلا: ".... أولا تعلم أنّ الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب صاحبه وينعم تصويره في نفسه استعطف ليقبل عليه فيقول له: يا فلان أين أنت؟ أرني وجهك؟ أقبل عليّ أحدثك ، فلو كان استعمال الأذن مغنيا عن مقابلة العين مجزئا عنه لما تكلف القائل عنه ولا تكلف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه وعلى ذلك

قائلا :

الْعَيْنُ تُبْدِي الَّذِي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا مِنْ الْمَحَبَّةِ أَوْ بُغْضٍ إِذَا كَانَا

أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه وجعلها دليلا على ما في النفوس ، وعلى ذلك قالوا: رُبَّ إشارة أبلغ من عبارة³

1- الجاحظ البيان والتبيين، ج1، ص 119.

2- المرجع نفسه ، ج1، ص89، 88.

3- ابن جنّي ، الخصائص، تح محمد علي النجار، ط2 ، بيروت، ج1 ص246-247 وأيضاً ج2، ص371.

ويستشهد ابن جنّي على أهمية الإشارة في بيان حال المتكلم في موضع آخر بحركة جسمية يعبر بها المتكلم أو بالأحرى المرأة عن الإنكار¹ أو التعجب ، ومن ذلك ما جاء من قول إحداهن على لسان زوجها:

تَقُولُوصَكَّتْ وَجْهَهَا بِيَمِينِهَاأَبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعِسِ

ونجد ابن رشيق ت(456)يخصّص بابا في كتابه العمدة يحمل عنوان الإشارة ، وينقل عن الجاحظ قوله: ومبلغ الإشارة أبلغ من مبلغ الصوت، وهذا باب تقدم فيه الإشارة الصوت، كما ينقل قوله: إنّ حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان، ويذكر أنّ الرمانى ت(386) قد جاء بذلك أيضا، وقاله الجاحظ الذي ذكر قوله بعض الشعراء²

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خِيْفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةً مَدْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ
فَأَيَّقَنْتَ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ الْمُتَمِّمِ

ويقول في موضع آخر : "ومن الإشارات المصحوبة بيانا وتثقيفا قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن عمرو بن العاص: وكف بك إذا بقيت في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابع يديه"³

كما نجد بعض الأصوليين يلفت النظر إلى وظيفة الإشارة في التواصل ، يقول الفخر الرازي ت(604): "السبب في وضع الألفاظ أنّ الإنسان وحده لا يستقل بجميع حاجاته بل لا بدّ التعاون ولا تعاون إلاّ بالتعارف ولاتعارف إلاّ بالأسباب كحركات أو إشارات أو ألفاظ توضع بإزاء المقاصد"⁴ ، كما نجد أيضا أنّ أبا إسحاق الشيرازي ت(476) يجعل الإشارة من وسائل البيان السبع قائلا: "ويقع البيان بالقول ، ومفهوم القول ، والفعل، والإقرار ، والإشارة ، والكتابة ، والقياس" ، ويتناول الشيرازي هذه الوسائل بالتوضيح، ويهمننا هنا إثبات ما ذكره بصدد البيان بالإشارة قائلا: "وذلك كبيانه صلى الله عليه وسلم لعدد أيام

1- الميرد، الكامل في اللغة والأدب، المكتبة التجارية1962، ج1، ص 35.
2- ابن رشيق: العمدة، تح محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ط3،1963، ج3، ص309.
3- ابن رشيق، العمدة ، ج1 ، ص309.
4- السيوطي: المزه ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين ط1 ، عيسى الحلبي، ج1، ص309.

الشهر بإشارته بأصابعه العشر ثلاث مرّات في قوله: الشهر هكذا وهكذا وهكذا . يعني ثلاثين يوماً . ثم أعاد الإشارة بأصابعه ثلاث مرّات ، وحبس إبهامه في الثالثة

إشارة إلى أنّ قد يكون تسعة وعشرين يوماً"¹

يهتم طاش كبرى زاده ت(968) بالإشارة إلى ظاهرة الإشارات الجسمية في موسوعته التي صنّف فيها العلوم فيقول: " ذكر السلف أقسام الدلالات من أنّها طبيعية أو وضعية وكل منهما إما لفظية أو غير لفظية ، ومثلوا للطبيعة اللفظية بكلمة أح بضم الهمزة وسكون المهملة الدالة على السعال وهو وجع الصدر ومثلوا للطبيعية غير اللفظية بحركة النبض .

ومثلوا للوضعية اللفظية بالألفاظ المستعملة ومثلوا للوضعية غير اللفظية بالخطوط والعقود والإشارات، وأرادوا بالخطوط نقوش الكتابة فأنها ليست بلفظ ، وموضوع بإزاء الألفاظ، وأرادوا بالإشارات الإشارة باليد والشفة والحاجبين وأمثالها.

ويذكر في موضع آخر مصنفها هذه الظاهرة تحت عنوان (علم رموز أقوال النبي وإشاراته) فيقول وهذا علم ظاهر الموضوع، وباهر النفع ولا يخفي غايته وغرضه، وفي هذا العلم تصنيف لطيف ولكن لا أتذكر اسمه الآن"²

الإشارة: يعتبر لفظ أو مصطلح الإشارة من أكثر الألفاظ استعمالاً للتعبير عن التواصل الجسدي ، ينص المعجم على أن الإشارة هي الايماء، ويكون ذلك بالكف والعين والحاجب، تقول: أشار الرجل يشير إشارة إذا أومأ بيده أو عينه أو حاجبه، كما تقول شور إليه تشويراً أي أومأ إليه.

جاء اللفظ أي -إشارة- في القرآن الكريم في قوله تعالى : " فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا"³، ويقول أبو حيان في تفسير الآية : ".....الإشارة معروفة تكون

1- الشيرازي : الممع في أصول الفقه ، دار الكتب العلمية،بيروت ،1985،ص 53 / 54.

2 - أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1985؛ ج1 ، ص373 / ج2 ص343 راجع البخاري الشعب باب الإشارة في الطلاق و الأمور ،ج7 ،ص65 .

3- سورة مريم، الآية 29.

باليدين والعين والثوب والرأس والقدم، وأشار: ألفه منقلبة عن ياء، يقال تشايرنا الهلال للمفاعلة، وتشايرنا تبادلنا الإشارة

وجاء في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا تحدث اتصل بها ، أي وصل حديثه بإشارة تؤكده، فقد كان يشير في الصلاة أي يومئ باليد والرأس ويأمر وينهى بالإشارة، كما جاء في الحديث أيضا أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أشار بكفه أشار بها كلها، أي أن إشاراته كلها مختلفة فما كان منها في ذكر غير ذلك كان يشير بكفه كلها ليكون بين الإشارتين فرق¹، كما نجد أن هذا اللفظ يتردد كثيرا في الشعر مرتبًا بدلالة التعبير بأعضاء الجسم مثل الكف والحاجب، قال الفرزدق:

إِذَا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ شَرُّ قَبِيلَةٍ أَشَارَتْ كُؤَيْبُ بِالْأَكْفِ وَالْأَصَابِعِ²

وقال الآخر :

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خَيْفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةَ مَحْزُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ³

أما عن لفظ كل من الرمز والإيماء ، فكلاهما يعني الإشارة ، فينص الصحاح على أن اللفظ يعني تحريك الشفتين بالكلام دون الجهر بالصوت وينص تاج العروس على أن الرمز هو الصوت الخفي و الإشارة بالشفة ، والغمز بالحاجب تقول رمز إليه كلمة رمزا أي بشفتيه وحاجبيه، كما يشير لسان العرب إلى أن الرمز يعني أيضا الإشارة إنكل بيان باللفظ بالشفة والعين والحاجب واليد⁴

ومن ذلك قول الشاعر⁵

رَمَزْتَالِي مَخَافَةً مِنْ بَعْلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُبْدِي هُنَاكَ كَلَامَهَا

1- البحر المحيط، ج 6، ص170، اللسان شور

2 - ديوان الفرزدق، ج2، ص520.

3 - شعر يزيد بن معاوية وأنظر، الجاحظ البيان والتبيين، ج1، ص78.

4- الصحاح ، اللسان التاج ، - رمز -

5- السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص173.

فالرمز أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية

وجاء اللفظ في القرآن الكريم على لسان زكرياء في قوله تعالى: " قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ أَيْنَكَ إِلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ¹ يقول ابن حيّان في تفسير الآية "من أطلق الكلام في اللغة على الإشارة الدالة على نفس المشير فلا يبعد أن يكون هذا استثناء متصلًا، ولذلك أنشد النحويون: ²

أَرَادَتْ كَلَامًا فَاتَّقَتْ مِنْ رَقِيبِهَا فَلَمَّيْكَ إِلَّا مَوْؤَهَا بِالْحَوَاجِبِ

وقال آخر:

كَلَمْتُهُ بِجُفُونٍ غَيْرِ نَاطِقَةٍ فَكَانَ مُرْدِهِ مَا قَالَ حَاجِبُهُ

والرمز هنا تحريك الشفتين قاله مجاهد، أو إشارة باليد والرأس قاله الضحاك والسدى وابن كثير، أو إشارة باليد قاله الحسن، أو إحياء قاله قتاده.... وفي قوله تعالى "إلا رمزا" دلالة على أنّ الإشارة تنزل منزلة الكلام وذلك موجود في كثير من السنة، وفي الحديث: "أين الله، فأشارت برأسها إلى السماء فقال: أعتقها فإنّها مؤمنة، فأجاز الإسلام الإشارة، وقد ذهب الفقهاء إلى أنها في حكم الكلام في الإيمان ونحوه، والإشارة عامة في جميع الديانات، وهو قول عامة الفقهاء" ³.

ونجد لفظا آخر يشترج بالرمز وهو الترميز بمعنى الحركة نقول ترمز الرجل وارتمز إذا تحرك من مجلسه أو قام للمشاحنة، والرميز الرجل كثير الحركة، وقالوا للمرأة الفاجرة التي لا ترد يد لامس رمّازة لأنّها ترمز بعينها ، أو أنّها كثيرة الحركة بجسمها ⁴

الإيماء: ينص المعجم على أن الإيماء يعني الإشارة بأعضاء الجسم مثل الرأس والكف والعين والحاجب ، نقول: أوماً إليه يومئ إيماء، ووماً يماً و مئاً أي أشار قال هاني الموسوس ¹

1- سورة آل عمران ، آية 41.

2- السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 174.

3- البحر المحيط ، ج 2 ، ص 452 - 453.

4- ابن مظور - لسان العرب - رمز

بَنَانٌ يَدٌ تُشِيرُ إِلَى بَنَانٍ تَجَاوَبَتَا وَمَا يَتَكَلَّمَانِ
جَرَى الْإِيمَاءُ بَيْنَهُمَا رَسُولًا فَأَخَّكَمَ وَخِيَهَا الْمُتَنَاجِيَانِ

ومن ذلك قال العربي

أَوْمَتْ بِكَفَيْهَا مِنَ الْهُودِ جِلْوَلَاكَ هَذَا الْعَامُ لَمْ أَحْجُجْ²

جاء في الحديث عندما مرض الرسول صلى الله عليه وسلم: عندما أقيمت الصلاة أومأ بيده إلى أبي بكر أن يتقدم للصلاة³ أي أشار.

يقول ابن الأثير: الإيماء الإشارة بالأعضاء، وإنما يريد هنا الرأس، ومن ذلك ما ينقله لنا أبو حيان التوحيدي في البصائر، عندما دخل العلماء فأومأ إلى موضع يجلس فيه فعدل عنه إلى جهة أخرى، فقال له: اجلس حيث أجلستك فإني أعلم بجوار منزلي⁴.

كما نجد المعجم يفرق بين الإيماء والإيباء فيعني الأول الإشارة لمن أمامك بأصبعك تأمره بالإقبال، ويعني اللفظ الثاني الإشارة لمن خلفك بأصابعك مفتوحة خلف ظهرك تأمره بالتأخر عنك، قال الفرزدق:

تَرَى النَّاسَ مَا سَرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُّوا⁵

اللمع: يعني اللفظ الإشارة الخفيفة أو السريعة، وهو مأخوذ من قولهم "لمع الشيء لمعانا برق وأضاء، ولمع الطائر بجناحيه يلمع وألمع بهما حركهما في طيرانه، وخفق بهما، ومن ذلك قولهم: "أسرع من لمع الأصم لأن الأصم يكتفي من الإشارة بلمعة خفيفة حتى يفهم عنه، قال بشر بن حازم:

أَشَارَ بِهِمْ لَمْعًا لِأَصَمٍ فَأَقْبَلُوا عَرَانِينَ لَا يَأْتِيهِ لِلنَّصْرِ مَطَبٌ¹

1- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، تح إبراهيم الإيباري، دار الشعب، 1982، ج23، ص180.
2- التبريزي: شرح ديوان أبي تمام؛ ج1، ص300.
3- البخاري: صحيح البخاري، دار الشعب 1968.
4- التوحيدي: البصائر والنخائر، تح أحمد أمين لجنة التأليف والترجمة 1924 ج3، ص574.
5- ابن منظور: لسان العرب أوامان. مصور عن طبعة بولاق ج130، دار المعارف القاهرة، 1980

قالاين الأعرابي:معنى قولهم لمع الأصم: أي كما يلمع الأصم بإصبعه إذا أشار بها لأنه يتوهم غيره أيضا أنه لا يسمع، جاء في حديث زينب: رآها تلمع من وراء الحجاب أي تشير بيدها.²

وعن عبد المطلب ابن ربيعة ابن الحارث "لما صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سبقناه(أي عبد المطلب والفضل ابن العباس) إلى الحجرة فقمنا عندها حتى جاء فأخذ بآذاننا...فسكت طويلا حتى أردنا أن نكلمه وجعل زينب تلمع إلينا من وراء الحجاب أن لا تكلماه".³

اللمع أيضا الإشارة بالشيء تقول لَمَع، الرجل بثوبه وسيفه أي أشار بهما ، قال الأعشى:⁴

حَتَّى إِذَا لَمَعَ الدَّلِيلُ بِثَوْبِهِ سَقَيْتُ وَصَبَّرَوَاتَهَا أَوْشَالَهَا

الإشارات الجسمية في المصادر الأوروبية:

يعود الاهتمام بظاهرة الإشارات الجسمية ودورها في التواصل في المصادر الأوروبية إلى مرحلة مبكرة لدى اليونان والرومان من ناحية، كما سنجد هذا الاهتمام يشتجر بعلوم وفنون مثل الفراسة، وعلم وظيفة الأعضاء، وعلم النفس ، وفنون الرقص، والتمثيل الصامت والخطابة والرسم.⁵

لقد عرف اليونانيون القدماء أن جسم الإنسان طريق إلى معرفة نمط شخصية الفرد، وأن هذا الجسم يخبرنا بواسطة شكله أو هيئته التي تتمثل في أعضائه المختلفة عن جنسه

1- ابن منظور : لسان العرب لمع

2- ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ، تح محمد الطناحي ، دار إحياء التراث ،بيروت ، 1965، ج 4 ، ص271.

3- مسلم ، صحيح مسلم ، شرح النوري ، دار الشعب، 1965 ، ج 3 ، ص 118 كتاب الزكاة

4- ابن منظور :لسان العرب ، لمع الدرّة الفاخرة ، ج 1 ، ص 223.

5- david,from , gesture ,race end culture, n 4 ,1972 ;p 47 montioncharlesdarvin , the exepression of the emotions ,chicagos p 16, 1965

وعمره، بل وحالته الصحية والنفسية ومن هنا كان اهتمامهم بعلم قراءة أو تأويل ملامح الجسم الذي يعرف باسم¹ physiognomy

لقد أثبتت الدراسات النفسية الحديثة ارتباط التعبيرات الجسمية بعواطف الإنسان ومشاعره وانفعالاته ، وأنّ هذه التعبيرات التي تعدّ لغة هامة بين البشر على اختلافهم وتباينهم تساهم في تحديد أجناسهم وهويتهم ومكانتهم الاجتماعية ، كما أثبتت أن معرفة أخلاق الناس

وسلوك من يلازمونها ويعيشون معنا ، أو الذين نلتقي بهم بسبب أو لآخر من الأمور التي كان من الطبيعي أن يهتم بها الإنسان منذ القدم في اهتمام اليونانيين القدماء، الذي كان علم الفراسة لديهم وليد هذا الاهتمام لدراسة أعضاء الجسم وملامحه ودلالاتها للتعرف على شخصية الأفراد.

يعتبر علم الفراسة من أهم المعارف التي عرفها الإنسان وارتبطت بمعلوماته عن تشريح الجسم ووظائف أعضائه ، تذكر المصادر أن أول كتاب وصل إلينا في علم الفراسة الكتاب المنسوب لأرسطو بعنوان "السياسة في تدبير الرياسة" والمعروف "بسر الأسرار"، وقد ألفه أرسطو لتلميذه الإسكندر لتعليمه فن معرفة الآخرين والتعامل معهم من خلال الفراسة التي يجب أن يتّخذها عوناً له، عند اختياره لقواده ومعاونيه. ويقول أرسطو في مقدمة كتابه: إن هذا العلم نافع للغاية بالنسبة للملوك الذين يختارون وزراءهم ومحبيهم"²، وقد تُرجم الكتاب من اليونانية إلى اللاتينية، ويعتبر روجر بيكون 1294 من أوائل الذين ترجموا الكتاب مع مقدمة طويلة يقول فيها: "...إنّ علم الفراسة يبيّن القوانين الطبيعية التي تخضع لها هيئة البدن الإنساني وتركيبه، ثم هو علم يفيدنا في التمييز بين الطيبين والأشرار فنقبل على الأولين ونتجنب الآخرين، وهذا العلم قلمًا يخدعنا لأن معظم البشر يستسلمون بإرادتهم لأخلاقهم ولهيتهم وتركيب أبدانهم دون أن يرغبوا في تغييرها"³.

1- يوسف مراد ، الفراسة عند العرب ، ترجمة د.مرادوهبة ، الهيئة المصرية ، 1982 ، ص26.

2- المرجع نفسه، 1982 ، ص 17.

3- يوسف مراد ، المرجع السابق ، ص 66.

كما تذكر المصادر كتابا آخر في الفراسة للسفسطائي اليوناني بوليمونالطرسوسي الذي عاش في ق 2 بعد الميلاد وقد نشر نيقولا بيتروكورسيرو عام 1534 ترجمة لاتينية للكتاب ، كما نشر فورسترالترجمة اللاتينية مرفقة بترجمة عربية أخرى مما يؤكد أن الكتاب كان معروفا في العربية منذ القرن العاشر ويدل على ذلك إشارة صاحب الفهرس ضمن كتب الفراسة¹

لقد أدى الاهتمام بعلم الفراسة الذي اهتمبتأويل ملامح الجسم ودلالاتها النفسية إلى نشأة الدراسات النفسية التي ترتبط بين الجسم والنفس وتدرس العلاقة بين السلوك الإشاري *gesturalbehavior* والمزاج النفسي والبنية الجسمية لدى الشعوب.

وقد نسبت هذه الدراسات هذين العاملين إلى الأصل العرقي *racial origine*، فكل جسمه جسم وروح متميزان يمتلكان بدورهما نمطا تقليديا للحركات والإشارات الجسمية، فالروح الشرقية لا يمكن أن تعبر عن نفسها من خلال جسم غربي، والروح الغربية لا يمكن أن تعبر عن نفسها من خلال جسم شرقي².

ونذكر من الدراسات المتعددة في هذا المجال دراسة الألماني هن 1867 الذي درس الاختلاف في أنماط السلوك الإشاري لدى الإيطاليين الذين يتميزون بالمزاج الحار أو الجيَّاش الذي ينعكس على إشاراتهم القليلة البطيئة³

1 - المرجع نفسه ، ص 59.

2 - davidfrom , gesture ,race , & culture , n 4 ,1972 p 47 montion

3 - david , from , p27

كما نجد الطبيب وعالم النفس الألماني فلهام فوننت 1900 الذي اهتم بعلم نفس الشعوب إذ يخصّص الفصل الثاني في المجلد الأول من موسوعته الضخمة عن علم النفس (للغة الإشارات) ويقدم تصورا نفسيا للإشارات الجسمية واختلافها بين الشعوب¹

كما اهتم الفرنسي ألفريد فوييه 1903 ببيان دور المزاج الخاص بشخصيته ، الشعب الذي يعود إلى عوامل الجنس والبيئة وبنية الجسم في تحديد النمط الإشاري وقد قام بدراسة للإشارات الجسمية لدى بعض الشعوب الأوروبية في دراسة بعنوان : *esquisse psychologique des peuples européens paris.1903*

ومن هذه الدراسات التي اهتمت أيضا بدراسة الإشارات الجسمية دراسة الألماني كارل سكروب الذي حدّد خمسة عوامل تميّز النمو الإشاري للأفراد وتشمل الجنس race، والثقافة culture ، والمزاج tempérament، والمهنة occupation، والذكاء intellect في دراسة بعنوان : *mimi kiand Leipzig 1908*

وتشير كثير من المصادر إلى أن الاهتمام بالتعبير الجسمي Bodily expression قد بدأ لدى اليونان والرومان بظهور فن التمثيل الصامت pantomime، فقد كانت المسرحيات الصامتة mimes تتمتع بشعبية كبيرة وتلاقي تشجيعا لدى جمهور المتفرجين إلى جانب المسرحيات الناطقة spokendrama وتعرض على خشبات المسرح ومنابر الخطابة حيث يجتمع المشاهدون كعادتهم في الهواء الطلق، ويقوم الممثلون الصامتون pantomimes في هذه المسرحيات باستخدام ملامح وجوههم وأيديهم

وأصابعهم للتعبير عن معان مفهومة ومألوفة بواسطة إشارات أو علامات عرفية conventionnel signs، وقد أصبح هذا اللون من التمثيل في ق16 لونا من الكوميديا المرتجلة extemporized comedy

وقد ارتبط هذا الفن الإيمائي الذي يعتمد على المواقف والأحداث المألوفة في حياتنا اليومية بدراسة السلوك الإنساني في أوروبا في القرنين 18 و19

1 -vendryes , language oral et language par. Gestes , journal de psychologie normal et pathologique .tome xliii armée 1950 , p 101

ويمكن أن نرى مجالا آخر ساهم بدور فعال في دراسة الإشارات الجسمية وبيان دورها في الكلام ونعني بهذا المجال فن الخطابة . بعد تعرفنا على علم الفراسة وفن الرقص الصامت . إذ تشير المصادر التي اهتمت بدراسة الإشارات الجسمية إلى كتاب "قواعد الخطابة" institulo oratorio الذي ألفه الخطيب الروماني كنتيليان quintilianus ت4099 ق.م لتقديم بعض النصائح للخطيب، ويخصّص الجزء 12 من كتابه لبيان أهمية الإشارات الجسمية التي يجب أن يكون عليها الخطيب ، يقول كنتيليان إن حركة أجزاء الجسم تساعد المتكلم وتعتبر اليدين أهم هذه الأجزاء لأن بهما نطلب وننادي ، ونأمر وننهي، ونسأل ونجيب ، ونعبر بهما عن الحزن والفرح ، والشك واليقين،.....كما نجده ينصح الخطيب، بعدم الإسراف في هذه الحركات والإشارات قائلا: " أما إذا صرختو ثرت ورفعت يدك مرارا ولهتت وهزرت رأسك دائما وصفقت بيدك وضربت فخذك وصدرك وجبهتك فإنك ستهوى من فورك في نظرأحط من يستمع إليك"¹

ونجد كذلك اهتمام بعض الخطباء في القرنين 17 و18، بالتأليف في فن الخطابة ودور الإشارات الجسمية في الأداء الخطابي، مثل بولور الذي ركز على الدور الهام لليد في الكلام والمواءمة بين حركاتها والكلمات التي ينطقها المتكلم، ومثل فوشر الذي تأثر بما ذهب إليه كنتيليانوشيشرو في مجال الإشارات الجسمية وأهميتها في الأداء الخطابي²

رأينا الاهتمام المبكر بظاهرة الإشارات الجسمية gesture لدى الأوروبيين قد ارتبط بعلم مثل علم الفراسة وعلم النفس والأنثروبولوجيا كما ارتبط أيضا بفنون من فن الرقص والتمثيل الصامت والخطابة، ويمكن أن نعرض لهذا الاهتمام من خلال ثلاث دراسات تطبيقية رائدة ومتميزة في مجال الإشارات الجسمية، الأولى كتبها تشارلز دارون 1872

الذي يعتبر الرائد الأول الذي لفت النظر في نهاية القرن الماضي إلى أهمية الحركات الجسمية body motion أو لغة الإشارات gesturelanguage في التعبير عن العواطف والانفعالات والثانية كتبها الانثروبولوجي الأرجنتيني دافيد أفرون 1941 وتعتبر دراسته أول دراسة علمية لبيان دور الثقافة culture في تحديد أنماط الإشارات الجسمية،

1-verdryes , language par gestes , journal de psychologie normale , p 20

2-efran , gesture .& race p 45, 46

أما الدراسة الثالثة، فقد كتبها الأنثروبولوجي الأمريكي راي بيردوسل 1952 التي تعتبر نقطة تحول في مجال الإشارات ونشأة علم الكينات أو الحركات الجسمية kinesics

علم الحركات الجسمية:

تعتبر الدراسة خلاصة للأبحاث التي قام بها الأنثروبولوجي الأمريكي بيردوسل في أوائل الخمسينيات خلال حلقة دراسية استمرت ستة أشهر مع باحثين آخرين من المشتغلين بالدراسات الأنثروغوية وهما جورج كريج وهنري سميث

اهتم بيردوسل في دراسته التي نشرها بعنوان introduction to kinesics بدراسة العلاقة بين الكلام speech والحركة motion ودورها في التواصل وذلك من خلال اللغة الإنجليزية التي يتكلمها ، ودراسة الحركات الجسمية من جوانبها العضوية والنفسية والاجتماعية، وقد أطلق على دراسة هذه الظاهرة هذا المصطلح الجديد kinesics وهو مشتق من اللفظ اليوناني kinesics بمعنى الحركة، " ويعني المصطلح دراسة الحركات والإشارات الجسمية وتعبيرات الوجه بصفتها أداة للتواصل مصاحبة للكلام"¹، ويعود اهتمام بيردوسل بدراسة العلاقة بين الحركات الجسمية والتواصل عندما كان يقوم في آخر الأربعينات بدراسة أنثروبولوجية بين الهنود الذين كانوا يعيشون في شمال أمريكا، وقد لاحظ خلال معاشتهم أنهم كانوا يستعملون حركات وإشارات جسمية أثناء كلامهم بالإنجليزية تختلف عن الحركات والإشارات الجسمية أثناء حديثهم بلغتهم فيما بينهم.

قدّم لنا بيردوسل وصفا كاملا لأعضاء الجسم التي تشترك في أداء الإشارات والحركات الجسمية وكيفية أدائها المعاني والدلالات التي تؤديها وقد قسم هذه الأعضاء إلى ثمانية أجزاء أساسية هي:

الرأس، الرقبة، الوجه، الذراع، اليد، الجذع، الساق، القدم²

1 -wenster's new world dictionary

2 -birdwhistee: introduction to kinesicswashington d.c 1952 ,p 17

كما قدم لنا أيضا أبجدية مدونة تمثل الحركات والإشارات الجسمية مثل الأبجدية الصوتية المستعملة في تمثيل أو تصوير أصوات اللغة وتمثل هذه الأبجدية كل الحركات والإشارات التي تصدر عن أعضاء الجسم الثمانية التي حددها.

كما استفاد بعض الأنثروبولوجيين مثل ليفي شراوس من منهج التحليل الصوتي في دراسة نظام القرابة¹، استفاد أيضا من بيردسول من نفس المنهج في تحليل ودراسة نظام الحركات الجسمية ويظهر ذلك من خلا استعماله لمصطلحات علم اللغة كما يلي:

Linguistiques	→	kinesics
Paralinguistiques	→	para kinesics
Utteranéeincontesct	→	action incontesct
Phone	→	kine
Phoneme	→	kimene
Allophone	→	allokine
Morpheme	→	kinemorpheme
Dhahictdiakinesics	→	

يعني المصطلح kine مثل مصطلح phone أقل حركة جزئية ضمن مجموعة أخرى من الحركات لجماعة معينة كما تكون الأصوات النظام الصوتي للغة، ويعني مصطلح Kaneme، أسرة أو مجموعة من الحركات التي يمكن تحل واحدة محلّ الأخرى دون أن يتغير المعنى ويمائل هذا المصطلح مصطلح phonème الذي يعني عند بعض اللغويين مجموعة من الصور الصوتية لصوت واحد، كما يعني مصطلح allophone صورة حركية أخرى لحركة ما "فحركة الإيماء بالرأس مثلا تعتبر صورة لحركة أخرى وهي الإشارة بالأصبع بدلالة النفي"².

1- كريم حسام الدين ، اللغة والثقافة ، دراسة أنثرو لغوية ، دار غريب ، القاهرة ، 2001 ، 41

2-birdwhisteeel , introduction to kinesics p 76 ,77

الإشارات الجسمية في المصادر العربية:

إذا ما تتبعنا هذه الظاهرة في المصادر العربية سنجد اهتمام العرب القدماء أيضا بعلم الفراسة الذي يدرس الصلة بين السمات النفسية والأخلاقية وأعضاء الجسم وحركاتها الإرادية واللاإرادية والاختلاجات التي تحدث لها ، والفراسة كما تحدّد مفهومها بعض المصادر العربية: "علم يحكم به بمقتضى الأحوال الظاهرة المحسوسة للجسم على الأحوال الباطنية للإنسان"¹

ويمكن أن نقف من خلال كتاب الفراسة لفخر الدين الرازي 606 على الدور الذي ساهم به هذا العلم في لفت الأنظار لظاهرة الإشارات الجسمية أو الهيئة التي يكون عليها أعضاء الجسم ووظيفتها الإخبارية الدالة على السمات الأخلاقية والحالات الانفعالية والنفسية للإنسان، يقول الرازي في المقالة الأولى من الكتاب تحت عنوان: (الطرق التي يعرف بها أخلاق الناس) : " اعلم أن الأفعال الإنسانية منها طبيعية صادرة بمقتضى المزاج الخلقي والفطرة الأصلية ، ومنها تقليدية صادرة حسب تأدب العقل ورياضة الشرع، أما القسم الثاني فلا يمكن الاستدلال به البتة على أحوال الطبيعة والخلق الباطن، وذلك لأن الموجب له ليس هو الطبيعة الأصلية بل شيء آخر "² ، كما نجد الرازي يقول في المقالة الثالثة من الكتاب والتي تحمل عنوان: (في دلائل الأعضاء) : " اعلم أن دلالة الوجه على الأحوال النفسانية أتمّ من دلالة سائر الأعضاء عليها ويدل عليه وجوه... أن الأحوال الظاهرة في الوجهية الدلالة على الأخلاق الباطنة، فإن للخجالة لونا مخصوصا في الوجه، وللخوف لونا آخر ، وللغضب لونا ثالثا، وللفرح لونا رابعا.... فنثبتت بذلك أن دلالة الأحوال الظاهرة الموجودة في هذا العضو أتمّ من دلالة الأحوال الظاهرة الموجودة في سائر الأعضاء"³

1 - كتاب الفراسة ص 97 ، تح يوسف مراد ، ضمن كتاب الفراسة عند العرب لفخر الدين الرازي ط2 الهيئة المصرية 1982 ، والفراسة بكسر الفاء مأخوذة من قولهم تفرس الشيء أي توسده ونظر إليه متأملا وفاحصا للسان فرس
2 - كتاب الفراسة، ص 105 / 106.
3- المرجع نفسه ، ص 148 / 49.

ونقرأ في كتاب آخر من كتب الفراسة: أنها الاستدلال بالأحوال الظاهرة على اختلاف الأحوال الباطنة، ومن ذلك الرأس وهو صومعة البدن وجامع الحواس الخمس الظاهرة، والسبع صفات الباطنة ومنه تتجلي الآيات، وتتراءى العلامات وتصدق الأمارات، وقيل:

إن احمد الرؤوس تكويننا وأولها على كل محمد هو الرأس المعتدل، ووضعه ومقداره إلى العظم مثله مناسبة للبنية²¹

ونجد في الثقافة العربية ظاهرة جسمية تتصل بموضوعنا ونعني بذلك الاختلاج the twitch بمعنى الحركات التقلصية اللاإرادية لبعض أعضاء الجسم ودلالات هذه الاختلاجات، " فقد كانت الجماعة العربية تعتقد أن المرء إذا خدرت رجله وذكر من يحب أو دعاه ذهب خدرها، وإذا اختلجت عينه توهم أنه يسرى من يحبه، فإن كان غائبا توقع قدومه، وإن كان بعيدا توقع قربه"³

وقد تردّد هذا كثيرا على لسان شعراء الغزل فمن ذلك قول ابن أبي ربيعة⁴

إِذَا خَدَرْتُ رِجْلِي ذَكَرْتُ كَصَادِقًا وَصَرَخْتُ إِذَا أَدْعُوكِ بِاسْمِكَ لَا أَكْنِي

ويقول أيضا:⁵

أَهْيِمُ بِهَا فِي كُلِّ مَمْسٍ وَمَصْبَحٍ وَأَكْثُرُ دَعْوَاهَا إِذَا خَدَرْتُ رِجْلِي

كما يذكر لنا ابن ربيعة اختلاج العين غلى جانب خدر الرجل فيقول⁶

إِذَا خَلَجْتُ عَيْنِي أَقُولُ لَعَلَّهَا لِرُؤُوتِهَا تَهْتَاجُ عَيْنِي وَتَضْرِبُ

ويقول على لسان صاحبتة:⁷

1- شمس الدّين الأنصاري الدمشقي : السياسة في علم الرياسة ، القاهرة ، 1914 ، ص 39.
2- ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ص 279 ، ابن شهيد - التوابع والزرايع ص 78 ، القلقشندي ، صبح الأعشى ج 1 ، ص 67

3- ابن منظور ، اللسان ، خدر

4- ديوان عمر ابن أبي ربيعة ، تح محي الدّين عبد الحميد ، ص 295.

5- المرجع نفسه ، ص 360.

6- المرجع نفسه ، ص 377.

7- المرجع نفسه ، ص 106.

فَقَالَتْ لِأَتْرَابٍ لَهَا أَبْرُزْنَ إِنِّي لِيَذْهَبُ عَنْ رِجْلِي الْخِذْرُ فَيَذْهَبِ

لَهُ إِخْتَلَجَتْ عَيْنِي أَظُنُّ عَشِيَّةً وَأَقْبَلَ ظَنِّي سَانِحًا لِمُبَشِّرِ

عقد الأصابع: تعتبر اليد من أهم الأعضاء الجسمية التي تمارس دورا أساسيا في اللغة الإشارية ، ويشبه دورها في ذلك دور اللسان في اللغة المنطوقة، يقول الجاحظ: "فاللسان الآن إنما هو في منافع اليد والمرافق التي فيها والحاجات التي تبلغها، فمن ذلك حفظها وقسطها من منافع الإشارة ، ثم نصيبها في تقويم القلم، ثم حفظها في التصوير، ثم حفظها في إيصال الطعام والشراب إلى الفم، وفي أصناف الدفع عن النفس، والنقر بالعود، وتحريك الوتر، ثم حفظها في العقد و يستطرد الجاحظ قائلا: " وقد اضطر بوافي الحكم بين العقد والإشارة".¹

إنّ حركة اليد وهيئتها تملك نظاما دلاليا يتواصل به الناس ، وانظر لقوله تعالى: " لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يديّ إليك لأقتلك"²، وقوله تعالى: " وأحيط بثمره فأصبح يقلّب كفيّه على ما أنفق فيها"³ ، وقوله تعالى : " ويوم يعضّ الظالم على يديه"⁴.

أن اليد تستطيع أن تنطق بعشرات المعاني مثل النداء ، والطلب،الفراق ، وتؤدي أصابع اليد منفردة ومجمعة دورا مهما في تحديد هذه المعاني، ومن ذلك قول الشاعر:⁵

أَدَلَّتْ بِأَصْبَعِهَا وَقَالَتْ إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِمَّا لَا تَرَى مَا قَدْ تَرَى

ونجد بعض المصادر اللغوية تحدثنا عمّا تسميه بكلام الأصابع talkfingers أو هجاء الأصابع fingerspelling أي التعبير بدلالات الكلمات بحركات أصابع اليد كما نرى في لغة الصم والبكم deaf .mute language.⁶

1- الجاحظ ؛ الحيوان ، ج 1 ، ص 40.

2- سورة المائدة، الآية 38.

3- سورة الكهف الآية42.

4- سورة الفرقان الآية 37.

5 - الطرانف الأدبية ، تح عبد العزيز الميمني ، ص6.

6 -robert rodman , an introduction to language , newyork 1983 , p338 / 339

لقد عرفت الجماعة العربية الأولى العقد، أي الحساب بأصابع اليد في المعاملات التجارية، وقد جاء في بعض الأحاديث النبوية ما يؤكد ذلك فيما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه استيقظ من النوم محمرا وجهه وهو يقول: " لا اله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ،وعقد سفيان تسعين أو مائة.. وفي رواية أخرى وحلق بإصبعه: الإبهام والتي تليها"¹.

الإشارة أو الحركة الجسمية قد تكون علامة sign أ سمة trait تصور حالة معينة يكون عليها المتكلم، وبناء على هذا التصور لظاهرة الإشارة الجسمية يمكن تعريفها بأنها: "تعبير أو فعل أو وضع جسمي اصطاحت عليه الجماعة اللغوية ، يصاحب الكلام أولا يصاحبه ويبدل على معنى يقصده المتكلم ويدركه المستمع"²؛ فالإشارات الجسمية تصدر عن عضو واحد منفرد، أو عضوين من أعضاء الجسم كما نرى في حالات العض بالأسنان على الأصابع إشارة الندم أو ضرب كف بأخرى إشارة التعجب، أو استنكار للرجل، أو ضرب الصدر أو الخد بالكف إشارة التعجب أو الاستنكار للمرأة.

قد تكون الإشارة بعضو جسمي بالتعاون مع شيء آخر مثل الإمساك بالعصا أو العلم أو أي شيء آخر يحمل دلالة اصطلاحية؛ كما قد تكون الإشارة فعلا دلاليا semantic يعبر به المتكلم عما يريد مثل الدق على المنضدة التي يجلس أمامها المتحدث أو إلقاء أو تمزيق أو كسر ما يمسك به من أشياء تعبيراً عن الغضب أو الرفض أو الاستنكار.

قد تكون الإشارة وضعا جسميا posture يشير إلى دلالة اصطلاحية مثل الجلوس مع اعتماد الخد أو الجبهة على راحة اليد إشارة للاستغراق في التفكير أو حالة الحزن، أو الجلوس كذلك مع تنكيس الرأس إلى أسفل أو المشي بخطى بطيئة متناقلة مع ارتخاء الذراعين إشارة للحزن أو الإحباط أو المشي بخطى سريعة مع هز المنكبين والذراعين إشارة للفرح والكبر.

1- صحيح البخاري ط الشعب ، ج7 ص 66/ اللسان: ردم النهاية في غريب الحديث 2/ 216

2- francis .hayes ,gestures a workingbibliography folklore equanterly n 21 , 1957, p 220 / manopei:glossary of linguisticstermimology

مصاحبة الإشارة للكلام لتوضيحه أو تأكيده أو إكماله كما أنها يمكن أن تكون بديلا عن الكلام في حالات معينة يتحرج فيها الإنسان من الكلام أو قد لا يقدر عليه سبب أو لآخر.

تعرف الإشارات الجسمية مثل اللغة ظواهر لغوية مثل المحذور من إشارات gesturestobo التي تعتبر من قبيل المستهجن والقبيح من الإشارات مثل الكلمات والتعبيرات المنافية للأدب، كما تعرف الإشارات السرية الخاصة بجماعات اللصوص والأشقياء.

تختلف الإشارات والحركات الجسمية باختلاف السياق أو الموقف الكلامي الذي يتمثل فيالجنس المتكلم وحالته النفسية ووضعه الاجتماعي ، فنجد الإشارة أو الحركة تتسم بالسرعة والعنف في حالات الغضب والاستتكار ، كما تختلف إشارات وحركات المرأة عن إشارات وحركات الرجل؛ فإذا عبر الرجل عن التعجب ضرب كفا بأخرى ، أما المرأة فتعبر عن ذلك بضرب صدرها أو وجهها بكفها ، كما يتدخل الوضع الاجتماعي في اختيار شكل الإشارة أو الحركة مثل استعمال حركات النفي بهز الرأس أو تحريك السبابة يمينا ويسارا، أو بإحداث طقطقة باللسان clicking the touning أو اختيار شكل المصافحة والتحية باليد فقط أو بالمعانقة أو بالقبلة وموضعها على الخد أو اليد أو الرأس. ويعتبر اللغوي الفرنسي(فندريس) الإشارة قسيمة للكلام فيقول: "...إنها تساعد الفكر على الانطلاق ، فاليد تمتد وتنكمش كما لو كانت تغوص في أعماق الضمير لتجلب الفكرة الوحيدة ، تعجنها وتصلقها بإعطائها الشكل المناسب، بل إننا نجد الجسم كاملا يشترك في هذا العمل ويظهر في هيئات مختلفة...."¹.

كما يذكر الاجتماعي الفرنسي (جي روشيه) : " أن استعمال الإشارات يصاحب اللغة المحكية عموما أو يحل محلها عند الضرورة أو يتممها فيأغلب الأحيان، وقد تعطي هذه الإشارات جملة معينة ومعنى مختلفاأشد الاختلاف عن معناها دون هذه الإشارات"²،

1 -vendryes ; language oral et language par gests, journal de psychologie normal et pathologique tome .xliii armée 1950, p13

2- جي روشيه : مدخل إلى علم الاجتماع ، ترجمة د. مصطفى دنشلي ، ط 1، بيروت ، ص183.

فالإشارات الجسمية تكمل النقص أو القصور اللذين يشعر بهما المتكلم تجاه اللغة واتجاه ذاته المتكلمة عندما تخذله الكلمات وتخونه الأفكار فيلجأ إلى استغلال أعضاء جسمه الإشارية مثل اليد والأصابع والرأس والحاجبين والفم والكتفين؛ فتتوب الإشارات الجسمية عن الكلمات في بعض المواقف التي يلجأ فيها المتكلم لاستبدال الإشارات بالكلام.

كما تقوم الإشارات بالتعبير عن ظلال المعاني shades of meanings أو ما سبق أن سماه الجاحظ معنى الخاص في قوله: " ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص".¹

الإشارات الجسمية بين الفرد والمجتمع:

إن المجتمعات الإنسانية تشترك جميعها في استعمال إشارات جسمية واحدة مثل هز الرأس ، والغمز بالعينين ، ورفع الحاجبين وتحريك الشفتين والتعبير باليد والأصابع، إلا أنها تختلف في فهم دلالات ومعاني هذه الإشارات الجسمية .

كما نجد اختلاف المجتمعات الإنسانية في استخدام أعضاء الجسم للتعبير عن بعض المعاني والدلالات مثل الإشارات الدالة على الإعجاب أو الدهشة ،نجدها تختلف من مجتمع لآخر.

إن استخدام الإشارات الجسمية مثل استعمال كلمات اللغة شيء مكتسب يخضع لثقافة المجتمع الذي نشأ به الفرد ، بل إن أهمية الجسم وحركاته ومشيته ترتبط بالبيئة التي نما فيها الإنسان في سنوات تكوينه الأولى.

إننا نلاحظ اختلاف أنماط سلوك التواصل communicative behavior بين المجتمعات الإنسانية نتيجة لاختلاف الأعراف والتقاليد الاجتماعية فهناك مثلاً مجتمعات لا يجوز فيها إلقاء التحية على كل من تصادفه في الطريق العام ، وهناك مجتمعات أخرى يجب فيها على الفرد أن يلقي السلام على من يعرف أو من لا يعرف.

1- الجاحظ : البيان والتبيين ، ج 1 ، ص 78.

إن السلوك الإشاري الخاص بالتحية يأخذ أشكالاً مختلفة في المجتمعات الإنسانية... كما أن شكل المصافحة يتباين بين فرد وآخر داخل المجتمع الواحد، فهناك من يضغط على يد مصافحه بشدة، أو يقوم بهزها عدة مرات تعبيراً عن شوقه ومحبهه، وهناك من يصافح الآخر بيده اليمنى و يضع يده اليسرى على ساعده أو كتفه وتتوقف هذه الأشكال على درجة العلاقة بين المتصافحين.

إن هذه إشارات الجسمية المصاحبة للحدث اللغوي، تساهم ودرجة كبره في تأكيد مفهوم اللفظ أو العبارة وإعطائها دلالات مختلفة، فمثلاً عبارة صباح الخير التي يقولها الرئيس لمروؤسه الذي جاء إلى العمل متأخراً وهي مصحوبة بتقطيب الحاجبين وتضييق عينيه كأنه لا يريد أن يرى شيئاً، تعني الغضب أو الاستياء أكثر مما تعني التحية والسلام.

إلى جانب هذه الإشارات والحركات الجسمية الجمعية أي المتفق والمتعارف عليها بين أفراد المجتمع إشارات وحركات جسمية فردية تتميز بالخصوصية والارتباط بين الأفراد،" فكما يمتلك كل شخصاً صوتاً متميزاً وخطاً معيناً ومشية معينة يمتلك أيضاً حركات وإشارات جسمية تكون من قبيل العادة"¹. أو اللوازم التي تعتبر عادة شخصية مميزة لفرد ما تتكرر أثناء كلامه بعضها لوازم لغوية مثل تكرار ألفاظ وعبارات معينة وبعضها لوازم إشارية تتكرر بشكل ملحوظ مثل إحالة الرأس إلى جهة اليسار أو اليمين، أو هز الكتفين، أو مدّ الشفتين، أو رفع الحاجبين وإنزالهما بصورة منتظمة، وقد نجد شكلاً آخر من اللوازم الإشارية مثل اللعب بالشارب أو اللحية أو العبت بشعر الرأس.

وينقل أبو حيان التوحيدي صورة طريفة للإشارات الجسمية المعتادة لابن عباد والتي كانت لوازم إشارية تصاحب كلامه قائلاً: "..... وكان ابن عباد إذا تكلم في مسألة، ثم رأى من خصمه فتورا، نفش لحيته بأصابع يده، وعبث بها، وفتل رأسه، ولوى عنقه، وشمخ أنفه، وعوج شدقه، وقال منشداً²

1-critchly:silentlanguage p 13

2 - أبو حيان التوحيدي : مثالب الوزيرين ، أو أخلاق الوزيرين حقه وعلاق عليه محمد حسن تاويناطنجي، دار صادر، بيروت، 1992، ص 165 .

إِذَا الْمَشْكِلَاتُ تَصَدَّيْنِ لِي كَشَفْتُ حَقَائِقَهَا بِالنَّظْرِ

إن الإشارة إذاً، من أدوات البيان التي يستعين بها المتكلم لزيادة الدلالة على معنى يقصر عنه الكلام، أو تغني هي عنه ، من تمام دلالتها ، أو كما لها في التعبير عما قد يعبر به عنه، مع قصور محقق أو محتمل ،"وما أكثر ما تنوب عن اللفظ ،وما تغني عن الخط....وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح ، مرفق كبير ومعونة حاضرة،في أمور يسترها بعض الناس من بعض، وحسن الإشارة باليد والرأس، من تمام

البيان باللسان"¹

الإشارات وأبعادها الاجتماعية في مسرحية ألف مرحي لمتسولة لمحمد ديب:

لقد اتضح عدم كفاية الدراسة الشكلية للغة سواء من ناحية التراكيب أم من ناحية الدلالة وهذا ما دعا بعض الباحثين إلى تطوير هذه الدراسة اللغوية أثناء التواصل وضمن الإطار الاجتماعي وأثناء السياق الذي يجري فيه التلفظ بالخطاب اللغوي، و تجدر الإشارة إلى أن هذا الاتجاه التواصلية قد تمثل في مناهج كثيرة منها الدراسات التداولية وهي الموضوع الذي سندرس منه عنصراً هاماً ساهم بدوره البارز في تحقيق الإطار التداولي الذي تتبلور وظائف اللغة من خلاله ألا وهو عنصر الإشارات بأنواعها الثلاث: الشخصية والزمانية والمكانية ومدى حضورها القوي في مسرحية ألف مرحي لمتسولة لمحمد ديب وهي النص المسرحي الوحيد لمحمد ديب، حيث هي عبارة عن تحويل مسرحي لروايته (رقصة الملك باريس 1968) ، وقد صدر هذا النص المسرحي في 1980 و مترجم هذا العمل المسرحي هو جرورة علاوة وهبي القاص والمترجم الصحفي الذي يعمل بجريدة النصر الجزائرية .وتتكون هذه المسرحية من 5 ترنيمات أما عن شخصياتها فهم : عرقية سليم باسل ، نميش، باباناغ ، ووسيم.

التلفظ بها وفي سياق معيّن و لكن قد لا تفهم أثناء استعمالها لأنها قد تحتاج إلى أدوات خاصة تعينها في أداء المعنى وتحديدته ومن هذه الأدوات الإشارات بأنواعها الشخصية

1 - الجاحظ البيان والتبيين ، تقديم وتبويب وشرح علي أبو ملحم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط 1988، م1، 1408هـ، ج 1 ص 83 / 84 .

الدالة على المخاطب أو المتكلم أو الغائب والتي تعرف بالضمائر، والإشارات الزمانية وهي التي تحدد لنا مرجع هذه الأدوات زمانيا أي أثناء التلفظ بالكلمات المكانية التي تحدد لنا المكان أثناء التلفظ بالخطاب وسنحاول من خلال هذه الدراسة البسيطة أن نبحث عن هذه الإشارات ومدلولاتها في مسرحية ألف مرعى لمتسولة للأديب والروائي الجزائري محمد ديب.

الإشارات الشخصية:

الإشارات الشخصية هي ما يطلق عليه بالضمائر التي لها الدور البارز في تحقيق الإطار التداولي؛ فالخطاب يرتبط بها ارتباطا مباشرا.

وسنحاول أن ننظر إلى هذه الضمائر أثناء استعمالها ضمن وضعيات خطابية معينة، كما سنتطرق إلى الإطار الاجتماعي للعلاقات بين الأشخاص الذي يلعب دورا هاما في استعمال الضمائر. إذ يعد ابن الحاجب الضمائر نوعا من أنواع المبهمات إذ يقول (المبهم هو الذي ليس له أقطار تحيط به، ولا نهاية تحصره)¹، وتوظيف الضمائر في المسرح يعرفنا بالمتكلم من الناحية التاريخية والاجتماعية والتداولية ف:أنا هو ذات طبيعية إخبارية، وكأن الشخصية باستعمالها لهذا الضمير تتقدم للقارئ أو الجمهور، وتقوم بالتعريف بنفسها أو مرتبتها مثلا يقول سليم: والآن ها أنا تحت أمرك أيها النقيب، أريد أن أوصل المقاومة من أجل المقاومة أريد أن أضع نفسي في خدمة الثورة بندقية بندقية هذا ما يلزمني²، فسليم بهذا القول يفرض نفسه أمام النقيب ويطلب منه مواصلة المقاومة، فالضمير (أنا) هنا هو ذو طبيعة إخبارية تقريرية، فكأن الشخصية هنا باستعمالها لهذا الضمير تقوم بالتعريف بمرتبتها الاجتماعية والتاريخية (مقاوم يطلب مواصلة المقاومة التاريخية)، فالمعلومات التي وصلت للقارئ عن شخصية سليم هي وضعيته الاجتماعية والتاريخية.

ونجد في الترنيمة الثانية³ هذا الحوار الذي دار بين عرفية وباباناغ، والذي يحاول كل واحد منهما أن يفرض نفسه، وأن يبين عمله ومقاومته إذ يقول باباناغ ..أنا كذلك قاومت..

1- ابن الحاجب : الأمالي النحوية ، تحقيق عدنان صالح مصطفى ط1 ، دار الثقافة قطر ، 1986 ، ص72.

2- محمد ديب ألف مرعى لمتسولة ، مصدر سابق ، الترنيمة الأولى ، ص 16 .

3- محمد ديب : ألف مرعى لمتسولة ، الترنيمة الأولى ، ص30 36.

عرفية:بؤس البؤس، أنا التي كنت أقول لرجالي من يمكنه إنقاذ جلدتهم ليبقوا أحياء....
باباناغ : أنا ؟ إني لا أفهم في هذه الأمور .

إن باباناغ يصرّح بمقاومته هو الآخر ، فالضمير هنا أدى وظيفة التصريح بالعمل الذي قام به باباناغ هو المشاركة في المقاومة ، وبالمقابل ترد عليه عرفية غاضبة، لتبين له وللجمهور بأن الفضل يعود إليها في إنقاذ الرجال، فكلاهما استعمل الضمير أنا للتقرير والإخبار(التعريف بعملها وبدورها البارز في المقاومة).

ومن النماذج التي جاء فيها الضمير أنا لتعريف الجمهور بالمرتبة الاجتماعية للمتكلم ما جاء على لسان وسيم قائلاً:¹

وسيم:يسرقونني أنا الكاتب العمومي وأكثر.....، فهو بهذا التصريح يعرّف القارئ بمرتبته الاجتماعية فهو كاتب عمومي ويستحيل على الغير أن يسرقوه : " فالمسرحية بتوظيفها للضمانر تفيدنا في معرفة المرتبة الاجتماعية..."² ، هذا عن ضمير المتكلم (أنا)، أما إذا انتقلنا إلى ضمير المخاطب (أنت) فنقول إنه الضمير الذي خاطبه الضمير أنا؛ فأنا هو الذي يقول (أنا) وأنت هو المخاطب الذي يخاطبه أنا عندما يقول له أنت : "إن فعل القول "أنا" يحدّد مرجعه إذن فلا يمكن معرفة مرجع "أنا" و"أنت" خارج استعمالهما ضمن الفعل الفردي اللغوي "³؛ فكل متكلم يحتاج على مخاطب حتى تتم العملية التواصلية الحوارية.ومما جاء في مسرحيتنا من النماذج التي تبين لنا هذه العملية التواصلية التي يقوم فيها الضمير "أنت" بتلقي رسالات كلامية من "أنا"تجد:⁴

سليم: ".....و أنا لم أع بعد أي شيء مما حدث هذه الليلة ...أنا أريد أن أعيش"

عرفية: ".....أنت كذلك ليس لك أب...".

1 - المرجع نفسه ، الترنيمة الخامسة ، ص 68.

2- انظر أن أندري سفيلد في مقالها 1987. je suis ou la petite musique de l'enonciation. ضمنه : اندري هيليو كتابه :

3-maingueneau:approche de l'enonciation en linguistique francaise , hachette

4- ألف مرعي لمتسولة ، الترنيمة 3 ، ص 53.55.56.58

عرفية: "..... أنتهجين

عرفية: "أرأيت أنت لا تعرف"

عرفية: "أنت لا تعرف ماذا بك"

فالحوار الذي يجري بينهما يبيّن لنا وظيفة كل من أنا وأنت و ممارسة التلفظ هي التي بيّنت لنا بنية الخطاب العميقة ، فحضور الأنا كان قويا وواردا في الخطاب الذي وجّه إلى المرسل إليه الذي يمثل ضمير المتخاطب أنت إذ أن " أعرف المضمرات المتكلم لأنه لا يوهمك غيره ثم المخاطب والمخاطب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة"¹، إذ لا يمكن أن يتلفظ المرسل بضمير المتكلم أنا ابتداء من خطابه، وباجتماعه بالمرسل إليه "ضمير المتكلم وضمير المخاطب تفسرهما المشاهدة"²؛ فالضمير أنت لا يمكنه التلفظ أو الرد من دون أن يكون قد وجّه له خطاب أو تلقّظ من الضمير أنا أو أن تكون له فكرة مسبقة أو افتراض مسبق حتّى يمكنه التحاور والرد على أنا، فقول عرفية مثلا: "أنت كذلك ليس لك أب" هو ردّ عمّا بدر من سليم من كلام وتلفّظ جعلها تخاطبه بهذه الطريقة وتقدم له هذا التصريح المباشر. فعلى الرغم من أن الضمائر (متكلم، مخاطب، غائب) تفتقد في الواقع إلى مرجعية ولكنها تحمل بعدا دلاليا إذ تقول أوركيني "..... ولكننا نعترض على التعبير الأشكال الفارغة التي استخدمها بنفسها لأنها قد تكون أشكال فارغة من ناحية المرجعية ولكنها ليست كذلك من ناحية الدلالية"³، فهذه الضمائر هي أشكال دالة على شخص يتحدث عن نفسه أثناء ممارسته لخطاب معيّن. وتقول في موضع آخر: "..... مثلها مثل الأشكال اللغوية الأخرى، تحيل على مواضع غير لغوية.. وطبيعتها الخاصة لا تحدد إلا وضعا خاصا بالخطاب الذي يحتويها"⁴، إذ أن هذه الضمائر تساعد في تحويل اللغة إلى خطاب معيّن.

يقول منقونو: "عند استعمالنا أنا وأنت عن طريق الاستدراك ، فكل متكلم يرجع نظام اللغة في فائدته ، وهذه النقطة جد مهمة ، ف: "أنا" و "أنت" ليستا علامتين لغويتين لنمط خاص من

1- ابن يعيش (شرح المفصل)، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 84.

2- أبو حيان الأندلسي : ارتشاف الضرب من اللسان ، تحقيق وتعليق د. مصطفى النحاس ، المكتبة الأزهرية للتراث ، 1408 / 1409 ، ج 1 ، ص 481.

3- c . k orecchioni ,enonciation . de la subjectivité dans le langage, armandcolin ,paris . p 44

4- o r ecchiomi p 47

المبهمات، إنها قبل كل شيء عوامل تحويل اللغة إلى الخطاب¹، ونفهم من هذا القول أن الضمير "أنا" في موضع ما قد يتحول أو يأخذ مرتبة أنت في الكلام والعكس، يتحول ضمير الخطاب أنت بعد سماعه أو تلقيه خطاب مامن "أنا" إلى "أنا" أي يأخذ مكانه في الكلام وهذا نموذج واضح من الترنيمة الثانية يبين لنا كيف أن الضمير يأخذ المكان الذي يريد أو يرجع نظام اللغة لفائدته تقول² عرفية: "...أنت يجب أن تتركني أتكلم مع الشعب...." فهي توجه خطابها إلى باباناغ وبعد إجابته لها ب لكن؟ وتقول: "أنا حرة"

يقول باباناغ: "ولكن ماذا أصير أنا ؟

عرفية : "أنت؟

لقد خاطبت باباناغ باستعمال "أنت" ثم بعد إجابته عادت تستعمل الضمير أنا للتكلم عن نفسها "أنا"

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المخاطبة لا تدل عليها ضمائر الخطاب فحسب ،بل قد تدل عليها ضمائر المتكلم أو الغيبة، كما أن المفرد قد يدل على الجمع، ومن بين الضمائر نجد الضمير "هو" الذي استعمل للدلالة على المتكلم.

أما عن استعمال بعض صيغ الاحترام والتي تعد من الصيغ الدخيلة في اللغة العربية فنجد هذا الخطاب أو التلطف الذي جاء على لسان باباناغ³: معذرة يا أستاذ ينحني أمامه طبعاً نعرفك... الجميع يعرفك، اسمح لي أن أقدم لك احتراماتي ينحني أمامه من جديد ، لقد تأخرنا في تقديم الاحترام، لكن ما ذنبنا ، إنه الليل والمكان، وكل ما تبقى .

إن مثل هذه الخطابات أو الأساليب غير أصيلة في اللغة العربية خاصة الانحناء لأي شخص كان ، ومحاولة تبرير موقف نكران هذا الشخص الذي تحدث عنه باباناغ والذي قدّم

1 - d. maingueneau 1981, approche de l'énonciation en linguistique française , hachette , paris ,p 34

2- مسرحية ألف مرحى لمتسولة الترنيمة الثانية ، ص37.

3 - محمد ديب ،المصدر السابق ، الترنيمة الأولى ، ص 69.

له هذه الاعتذارات والتبجيلات المرفوقة بانحناءات متكررة، فباباناغ هنا يخاطب شخص أعلى مرتبة منه ويشعر تجاهه بكل معاني الفخر والتبجيل والعرفان والاحترام.

وسننتقل الآن إلى استعمال ضمير المفرد المخاطب (ك) والذي نجده على لسان كل من باباناغ والشريك¹.

باباناغ: حصل لنا الشرف، نحن الحجاج الفقراء، لأننا التقينا في طريقنا برجل له مكانتك وسمعتك.

الشريك: أتدري أنه عليك باستطلاع المستقبل، قد يمكنك كتابة تائم ضد عين الحسود: فالضمير (ك) المفرد المخاطب هنا يعود على الشخصية العظيمة التي التقى بها باباناغ وبمكانتها وسمعتها الطيبة. إنه الحظ الذي جعل باباناغ ورفاقه يلتقون في طريقهم بهذه الشخصية إنها عندهم أجمل صدفة وأحسن لقاء.

وكان لاستعمال ضمير الجمع المخاطب هو الآخر حضوراً في مسرحيتنا إذ نجد ذلك في الخطاب أو التلفظ الذي جاء على لسان وسيم²: "أيها السادة الكرام، أيها السادة الكرام اسمحوا لي إن وقفت أمامكم حافي القدمين".

الإشارات الجسمية: في مسرحيات: ناس الحومة، انتحار كاتب ، فجر وأقول، زعيط ومعيط ونقاز الحيط، بوحدة.

الشيخ إبراهيم: "هاي سلامات آسيدي، أصبحت تجبد في المصارنانتاع من هنو"³

يرد على خرابطة الذي هدده بترك أمه وإلاّ يجبد مصارنو وهذا تخويف.

الشيخ إبراهيم: "فوق راسي خير ..."⁴

1- محمد ديب ، مصدر سابق، ص 69.

2- المصدر نفسه ، ص 69.

3- ناس الحومة ، مصدر سابق ، اللوحة الأولى ، ص 17 .

4- ناس الحومة ، مصدر سابق ، الفصل الأول ، اللوحة الأولى ، ص 25.

هذا الخطاب موجّه إلى ابنته خوخة التي سألتها عن مكان نشر الفراش ،فمن شدّة قلقه ردّ عليها وبصوت مرتفع مشيرا على رأسه أي أنشروا الفراش فوق راسي. كما يردالسي حمدي الذي سأله عن الدّخان ومكانه قائلاً¹: "يمدّ يده ينتظر في النقود.... لكن حمدي يصافح معه ويخرج " فمصافحة حمدي دليل على امتلاكه للنقود فهو بطريقة غير مباشرة يقول له : مركيه كريدي حتّى يدخل السلاك.

الزميل: " من بعيد نضربه ضحكة أننا يشرك فمو بيده "2، فالزميل بإشارته هذه يبيّن لهم أن الضحكة هي التي ستضمن لهم الركبة أي الضحكة الموجهة سائق الحافلة أو السيارة ، يرمي القبّاعة التي كانت رأسه ويفرج جاريا تتبعه الجماعة وخوخة"ص45، فهذه إشارة إلى وصول الطاكسي التي ستقلهمم ب 100 ألف فرنك للواحدة.

الممرض: "...أدخل نحي قشك...."³ إشارة إلى أن موعد فحصه اقترب فهو يأمره بنزع ملابسه استعدادا للدخول إلى مكتب الطبيب.

الشيخ ابراهيم: آه يا الشيخ المحفوظ كسرتنا أرواسنا"⁴ إشارة جسمية إلى الرأس الذي سينفجر من كثرة الكلام، فكثرة الكلام هي التي تسبب آلام الرأس.

ويقول السي عبد القادر في اللوحة الثالثة: "ما بقاش ، الماشن الكلّ في يدي"⁵ وهذه إشارة إلى كلّ عمال المؤسسة أصبحوا في يديه فقد حاول التهديد بالطرد والتخويف ولكن الجميع غير مبال ويقول الشيخ ابراهيم في موضع آخر ومن اللوحة الرابعة⁶ مشيرا إلى أحد العمال بالذهاب للمشاركة في تنظيف الحي قائلا له: "...يا الله شمّر على ذراعيك وروح عاون خوتك من الهيه"، فالتشمير على اليدين يعني العمل ، فالذراع عضو من أعضاء الجسم التي لها الأهمية في القيام بالكثير من الأعمال .

1- المصدر نفسه ،ص29.

2- مسرحية ناس الحومة ، الفصل الأول ، اللوحة الأولى، ص45.

3- المصدر نفسه ، الفصل الثاني ، اللوحة الثانية ، ص126.

4- المصدر نفسه ، ص 126.

5- المصدر نفسه ، الفصل الثاني ، اللوحة الثالثة، ص 139.

6- ناس الحومة ، الفصل الثاني ، اللوحة الثالثة ، مصدر سابق ، ص147.

وفي اللوحة الأخيرة¹ يقول الشيخ ابراهيم: "يمسك خرابطة من عنقه ، أنا ما انرشح روحي وأنت ما تفوطي عليّ.... كنت قاعد الهيه...." فاستخدام عبارة: "يمسك خرابطة من عنقه" إشارة إلى بداية عراك أو نزاع بين خرابطة والشيخ ابراهيم، فقد جرت العادة أن من إشارات النزاع أن يمسك الشخص بعنق الشخص الآخر، فيفهم بهذه الإشارة أن هناك نزاعا بينهما.

ومن الضمائر الشخصية في مسرحية ناس الحومة نجد في اللوحة الأولى من الفصل الأول قول الشيخ ابراهيم:² "...أنا خوك واش فيها؟"، فالشيخ ابراهيم تلقى خطابا من السي محفوظ الذي قرأ رسالة لابنة الشيخ ابراهيم. فاستعمل الشيخ ابراهيم الضمير أنا ، وهو ضمير المتكلم قائلا: أنا خوك ليحيل على نفسه. ونجد الضمير أنا في مواضع أخرى من اللوحة الأولى وكلها تحيل إلى ضمير المتكلم. أيلدلالة على المتكلم الحقيقي الذي صدر منه الخطاب ونوجزها فيما يلي:

السائق:³ "وأنا ما نستعرفش بكم وما نستعرف بحتي حد...أنا يا من عاش من الخبزة المرمدة هذي كرهت.

الزميل:⁴ "أنا نضمنها لكم

وفي اللوحة الثانية نجد:

الفيجيتيف:⁵ "أنا يا صحابي بالسيف انخافراكم عارفين هارب من السانطرومانيش حاب نرجع ليه"

عبد العالي:⁶ "وأنا مانيش موافق ."

الشيخ ابراهيم:¹ "أنا انروح، نعيظلك على الرباعة.

1- ناس الحومة ،ص166.

2- المصدر نفسه، الفصل الأول ، اللوحة الأولى ، ص36.

3- المصدر نفسه ، ص43 .

4- المصدر نفسه ، ص44.

5- ناس الحومة ، المصدر السابق ، اللوحة الثانية ، ص52.

6- ناس الحومة ، المصدر السابق ، اللوحة الثالثة ، ص69.

الهامل :² "أنا وزهري والسلعة في les galleries

عبد القادر:³ "أنا لي قريب حسابي"

الشيخ المحفوظ:⁴ "أنا وقدرتي ومعرفتي وما توصلتشانخرجهم من داري"

الشيخ المحفوظ:⁵ "أنا بكما لي يطيحوا فيا هذا الهاجوجوالماجوج."

الهامل:⁶ "أنا ما عنديش حانوت قاعد والمشتاريةيجبوني ...أنا نحوس ونجري وراهم..."

الهامل:⁷ "وأنا عليكم انفوطي...."

خرابطة:⁸ "أنا حطيت...."

فالضمير أنا هنا ، أستعمل للدلالة على المتكلم فهو يحيل على نفسه.ولكن قد يستعمل الضمير أنا بمعنى نحن ونجد ذلك في قول الشيخ المحفوظ :⁹ "أنا اللجنة ونتكلم باسم الغائبين... يا الله".فالشيخ المحفوظ أعطى لنفسه حق التكلم باسم الجميع مع أنه استعمل أنا ولكن سياق الخطاب هو الذي وضّح لنا معنى الخطاب ودلالة أنا.

أما عن أهم الإشارات الجسمية في مسرحية فجر وأفول فنجد في الفصل الأول قول الغريب:¹⁰ "يسجد للصنم"

"يقترّب من الصنم واضعا يديه إلى السماء"

- 1- المصدر نفسه، الفصل الثاني ، اللوحة الأولى ، ص 104.
- 2- المصدر نفسه، ص 115.
- 3 - المصدر نفسه ، اللوحة الثالثة ، ص 139.
- 4- المصدر نفسه، ص 139.
- 5- المصدر نفسه، ص 139.
- 6 - المصدر نفسه ، اللوحة الرابعة، ص 147 ، 148.
- 7- المصدر نفسه ، الفصل الثاني ، اللوحة الرابعة ، ص 151.
- 8- المصدر نفسه، ص 166.
- 9- المصدر نفسه ، اللوحة الأولى ، ص 103.
- 10- نورجايغلاش ، فجر و أفول ، مصدر سابق ، الفصل الأول، ص 146.

وهي إشارة إلى أنّ هذه الشخصية تسجد للصنم ومن مؤشرات ذلك رفع اليدين إلى السماء وهو نوع من أنواع العبادات الخاصة بقوم من الأقوام. وفي الفصل الثاني¹ نجد: "يظهر شديد حامل بيده سيفاً وغمده مزخرفاً يريقه يدهش الناظرين" ص 168 فشديد يظهر سيفه للإشارة إلى زئير الذي يريد الحوت ليتخلص من القفص المرمي بداخله، ويحث الغريب على ضرورة صرف النظر عن زئير وعدم الاهتمام بأمره، فهو يهدّده ويخوفه بإشهار السيف الذي يبرّق بغمده المزخرف البراق .

وفي المشهد السابع من الفصل الثاني نجد :

زئير: "إني أرى شراسة الفوارس في عينيك"، هيا يا غريب اصرخ في وجهي "فبريق العينين يشير إلى شدة القوة والشراسة التي يتمتع بها الفوارس ، فلمعان العينين وبروزهما تدل على القوة ويقول شديد في المشهد نفسه: "إنك من آل جواد، القتل يجري في عروقتك لن تحرر العبيد بلسانك وقلبك. فشديد يوجه خطابه إلى زئير الذي يتمتع بالجرأة والقتل فهو ينتمي قبيلة يجري القتل في عروقتها، فالإشارة إلى العروق يعني إشارة إلى الدم الوجود فيها ، فهو دم تتبعث منه روائح الغدر والقتل ، فهو بعيد كلّ البعد عن تحرير العبيد باللسان والقلب، فلغة حوار هـ لغة قتالية لا لغة سلمية.

يقول زئير³ في المشهد السادس من الفصل الثالث: "...إنها رائحة الموت أنها رائحة رائحة الرؤوس التي اقتطفتها السيوف لقد بدأت تتعفن أنتشم يا غريب ؟ أنتشم؟"، وها هي رؤوسهم تتكتل حولك أنظر يا غريب لقد تحولت إلى مقبرة غريب مقبرة العبيد"، فزئير بخطابه هذا وبإشارته إلى الرؤوس المتكتلة المنبعث منها رائحة الدماء ، لقد اقتطفتها السيوف وبدأت تتعفن شيئاً فشيئاً، وفي هذا تهديد لغريب وما سيحل به هو الآخر فإنه النور لم يسمعه ولم يستجب لندائه.

هذه أهم الإشارات الجسمية في مسرحية فجر وأقول لنور جاي علاش أما عن الإشارات الجسمية في مسرحية انتحار كاتب وهي من نصوص الكاكي الذهبي أيضاً نجد في

1- المصدر نفسه ، الفصل الثاني ، ص 168.

2- المصدر نفسه ، المشهد السابع، الفصل الثاني ، ص 193 ، 194.

3- المصدر نفسه ، المشهد السادس ، الفصل الثالث ، ص 208.

المشهد الثاني قول الكاتب: "1.... إنَّ الكتابة تلتصق بروحي ودمي!!! "؛فالكاتب يقرّ بأن الكتابة ملتصقة بروحه ودمه وهي إشارة جسمية ولكنها خفية لا تمثلها الأعضاء البارزة في جسم الإنسان إنها متعلقة بالروح والدم.

ويقول شبح المرأة في المشهد الرابع²: "إنَّ الشر يتطاير من عينيك!!! وهي إشارة جسمية تتعلق بالعين ولكنها ليست حقيقة فهو تعبير مجازي عن الإنسان الشرير الذي تظهر على عينيه علامات الشرّ والغضبتي وإن لم يتكلم بها.

الكاتب³: " كانت الوجوه شاحبة كالحة...كانت الدموع تقتل الأفراح في مهدها ..."، فالإشارة إلى الوجوه الشاحبة الكالحة هي إشارة عن شدة الحزن والأسى ،كما أن الإشارة إلى الدموع تعني قتل الأفراح وزرع الهموم والمآسي.

وفي مسرحية زعيط ومعيط ونقاز الحيط نجد في الفصل الثالث معيط⁴: "ألي يتكلم الحق تجيه ضربة للقم"، إشارة إلى أن المتكلم الذي يقول الحق يتلقى ضربة لقمه ويقول في موضع آخر من الفصل نفسه: "... والقائد يفهم وبال شك الشيخ ثاني ، ويكتفوه ويسدولوا فمه قبل ما يعيط لصحابه "ص52 وهذه إشارة جسمية إلى الأعضاء المسؤولة عن الكلام والحركة وهي الفم والأطراف فبغلق الفم وتكتيف الأطراف يحدث العجز عن الكلام وحتى العجز عن الحركة.

وفي مسرحية بوحدبة لمحمد التوري نجد في الفصل الأول من الموقف الثاني قول السّي عبد الرحمان⁵: "... كي نصبّح على حديتك نعرف نهاري ما يجيش فيه الريح"، فبعد الرحمان وهو والد زوجة بوحدبة يتشأم من النظر إلى حذبة (بوحدبة) وهي موجودة على كتفه فالإشارة إلى هذه الحذبة يعني الإشارة إلى فساد نهار السّي عبد الرحمان .ولكن بوحدبة يردّ عليه وفي الموقف نفسه قائلاً: "الحذبة في كتافي والناس ثقيلة عليهم ؟"،فبوحدبة راض

1- انتحار كاتب ، مصدر سابق، المشهد الثاني ، ص116.

2 - المصدر نفسه، المشهد الرابع ، ص125.

3- المصدر نفسه، المشهد الخامس ، ص131.

4- زعيط ومعيط ونقاز الحيط ، مصدر سابق ، الفصل الثالث ، ص 50.

5 - مسرحية بوحدبة ، محمد التوري،، الفصل الأول ، الموقف الثاني ، ص59.

بحدبته ولكن يرى ويقول عبد الرحمان في الموقف الثالث¹: "... واش راك تتمم بين أسنانك؟"، فعبد الرحمان يخاطب بوحدة مشيرا إلى أسنانه التي كان يتمم بها كلاما لم يفهمه عبد الرحمان، فالكلام يكون بين الأسنان.

وتقول زوليخة والدة زوجته²: "يقولوا على الناس اللي عندهم الحدب عندهم زوج مخاخ مخ في الرأس ومخ بين الكتاف"، وهذه إشارة ظاهرها جسمي وهو الحدبة الموجودة على كتفيه ولكنها خفية في معناها فهي تخفي معنى محتواه أنه يتمتع بذكاء حاد سببه حدبته التي زوّده بذكاء المخ وذكاء لكتف.

وفي الموقف الثالث نجد:

بوحدة³: "شوف هذا الإنسان وروسواطايحين ، يا هل ترى هذا الغيرة تنبتهم له؟ وهذا العمى آه يالوكانيرجعولوا البصر؟"، فبوحدة يوجّه خطابه إلى الدّجال الذي يدعي إشفاء المرضى فأشار إلى إنسان لا يملك أسنان ، وآخر فاقد البصر، طالب من الدّجال إرجاع البصر للأعمى وإنبات أسنان له.

ويرد الدّجال عليه قائلا وفي نفس الموقف: " انت لسانك ياكلكبزاف، وهذه إشارة جسمية إلى عضو اللسان المسؤول عن الكلام فبوحدة وصفه الدّجال بكثرة الكلام وعبارة " لسانك ياكلكبزاف" تشير إلى كثرة الكلام والثرثرة

الإشارات الزمانية:

إن الإشارات الزمانية هي من بين الإشارات التي لها الدور البارز في تحقيق الإطار التداولي، وذلك لأهمية الزمن في التحديد الدقيق الحقيقي لحظة التّلفظ بخطاب ما، ولهذا يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطا قويا في المرحلة الأولى ونربط كذلك ، بين الزمن والفاعل ، لأهميته الكبرى، في مرحلة ثانية⁴، ولتحقيق هذا الربط ما على المخاطب أو المرسل إليه

1- المصدر نفسه ، الموقف الثالث ، ص62.

2- المصدر نفسه، ص63.

3- المصدر نفسه، ص77.

4-PARRET : SEMIOTICS. AND PRAGMATICS, P123

إلا أن يدرك ويتحقق من اللحظة التي تَلَفَّظ فيها بالخطاب حتّى يكون تأويله للخطاب تأويلا صحيحًا ودقيقًا جاء على لسان عرّفية في الترنيمة الأولى :عرّفية:¹"كان نمشي . والليل . إننا لا نمشي إلا ليلا..." فعرفية هنا قامت بتحديد اللحظة والوقت الذي كان فيه المشي تحديدا دقيقا ممّا يجعل تأويلها للخطاب

تأويلا صحيحا ودقيقا جاء على لسان سليم يؤكد لنا ذلك أيضا سليم:²"والآن ، ها أنا تحت أمرك أيها النقيب..." فقد حدّد لنا اللحظة التي امتثل فيها أمام النقيب وهي الآن مع أنه يسعى تحديدها تحديدا دقيقا فقد تكون دقائق أو ثوان أو ويقول باسل :³"أحم اللعنة ! النهار سوف يبزغ الفجر...." فقد استدرك باسل لحظة طلوع النهار وبزوغ الفجر من خلال النظر إلى السماء أو تحديد الوقت على ساعته مثلا.

عرّفية:⁴"إنه الليل ، الذي حلّ ، الليل هو الذي يعطيك هذا الإحساس"؛ فعرفية هنا تخبر سليم بحلول الليل الذي سيعطي له فرصة النوم والراحة.

باباناغ:⁵"... سأخونك الآن حالا..." فهو يؤكد بكلمة "الآن حالا" اللحظة التي قرّر فيها خيانة عرّفية.

باسل:⁶"ها هو الليل قد رحل وبعد حين يشرق النهار، فباسل بخطابه هذا يتفاعل لرحيل الليل وشروق أو بزوغ النهار بتأكيد (قد رحل)، يبدأ نهار جديد ومغامرات جديدة

الصدى⁷: "نهار...نهار....نهار،ويقصد بالصدى هنا اجتماع الأصدقاء معا وتحفظهم وتحفظهم بهذه الكلمة التي توحى لهم بنهاية المأساة والآلام، فالنهار هو رمز لزوال التفكير والانشغال بالأمر الهامة.

1- مسرحية ألف مرحى لمتسولة ، الترنيمة الأولى ، ص11.

2 - المصدر نفسه، ص 16 .

3- المصدر نفسه، ص18.

4- المصدر نفسه ، الترنيمة الثالثة ، ص54.

5- المصدر نفسه ، الترنيمة الرابعة ، ص59.

6- مسرحية ألف مرحى لمتسولة ، الترنيمة الخامسة ، ص79.

7- المصدر نفسه، ص83.

سليم: ¹ "بفرح.. صباح الخير... إنني هنا"، عرفية "وسوف اصل إلى هناك... بعد ساعة.. ساعتان... ثلاث ساعات..." فسلميم هنا متفائل بطلوع النهار، لأنه سيصل، وقد حاول أن يقدم لعرفية تخمينات عن الزمن الذي سيصل فيه، قد تكون ساعة، أو ساعتين، أو ثلاث ساعات، ولكن بهذا التخمين فعرفية ستحاول أن تعرف هي الأخرى بتخمينات زمن وصول سليم.

هذه أهم الإشارات الزمانية التي وردت في مسرحيتنا والتي كان لها دور هام وبارز في تحقيق الإطار التداولي أو التواصلية بين المتخاطبين.

أمّا عن الإشارات الزمانية في مسرحية ناس الحومة فنجد:

الزميل: ² "... في هذه الأثناء يظهر السائق والشخص 4 ومعاهم الشيخ إبراهيم" فاستعمال عبارة "في هذه الأثناء" أمام الفعل يظهر تبيين لنا زمن ظهور السائق، فبذلك تحدّد لنا اللحظة التي ظهر فيها السائق ومن معه ف: "كلما استعمل المتكلم الصيغة النحوية الدالة على الحاضر جعل الحدث متزامنا لحال الخطاب" ³ فهي من الظروف المبهمّة إذن.

ومن الإشارات الزمانية الدالة المبهمات البعدية نجد: قول الشيخ المحفوظ: "... خمس دقائق ونقفل الباب"، فتلفظه ب: "خمس دقائق" يعني حينما تقترب الخمس دقائق سيغلق الباب فقد دلّت هذه العبارة على زمن لحدث غير منقض.

ومن مسرحية زعيط ومعيط ونقاز الحيط نجد:

القائد: ⁴ "... هذو عامين واحنا نحوسوا عليه وماعرفناش وجه"

1- المصدر نفسه، ص 83.

2 - مسرحية ناس الحومة، الفصل الأول، اللوحة الأولى، ص 45.

3-E. BENVENISTE, 1966, PROBLEMES DE LINGUISTIQUE GéNéRALE . TOME 1 , GALLIMARD O P .CIT P 73

4- مسرحية زعيط ومعيط ونقاز الحيط، الفصل الثالث، ص 50.

وهذا النوع من الإشارات يسمّى بالمبهمات القبلية الدالة على الزمن المنقضى، فقد انقضت مدّة عامين ولم يتمكنوا بعد من معرفة وجه شعبان السارق الخاين وفي موضع آخر نجد:

القائد: "إذا ماشي اليوم غدوة... اليوم جاو يتكلموا غير على الشروط... وإلا شوفوا غدوة الصباح نجي معاكم... تورولي المضرب هاهوجا الشيخ ماتبينوش"

لقد تضمن هذا الخطاب مبهمات حيادية ومبهمات بعدية؛ فالحيادية تمثّل في: "اليوم جاو يتكلموا...". فهي ليست لا قبلية ولا تزامنية . والبعدية في قوله: "والا شوفوا غدوة الصباح نجي معاكم..."، ومن المبهمات الحيادية نجد أيضا:

شبح المرأة²: "... سأعود هذا المساء..."، ومن المبهمات البعدية أيضا نجد: الغريب³: "...سيأتي يوم تحضنك فيه الجبال وتطرحك أرضا، وتنال منك الفؤوس..."

فهذا اليوم الذي سيأتي بعيد المدى ولا نعرف وقته بالتحديد لذلك فهو مبهم بعيد ونجد أيضا: الغريب⁴: "غدا سأخرج به إلى وادي الأرواح وستلحق عندئذ بعصابتك وتستعدون للإغارة على المدينة"؛ فالخروج حدث لم تنقضى بعد مدّته.

1- المصدر نفسه، ص51.

2- مسرحية انتحار كاتب، المشهد الرابع، ص 126.

3- مسرحية فجر وأقول، الفصل الأول، المشهد الرابع، ص 146.

4- المصدر نفسه، الفصل الرابع، المشهد السابع، ص237.

الإشارات المكانية:

لقد تحدثنا عن الإشارات الشخصية والإشارات الزمانية ودورهما البارز في تحقيق الإطار التداولي وبقي لنا الآن أن نقف عند إشارات هامة وهي الإشارات المكانية، هذه الأخيرة التي تهتم بتحديد أماكن التلّفظ بالفعل، فالمرسل أو المتكلم أثناء كلامه لا ينفك عن الكلام، فله مكان معيّن تُلّفظ منه بكلام محدّد إذ: "لا ينفك المرسل عن المكان عند تُلّفظه بالخطاب وهذا ما يعطي الإشارات المكانية مشروعية إسهامها في الخطاب"¹ ويكون تحديد مواقع التلّفظ بالخطاب بالتسمية أو بالوصف أو بتحديد الأماكن، ومن بين الإشارات المكانية التي سنجدها في مسرحيتنا مثلاً: هنا، هناك، فوق، تحت، يسار، يمين، وراء... أو بذكر الأماكن بمسمياتها. تقول عرفية²: "...الليل تشكل أماناً، خلفنا، من كل الجهات" فهي تخبرنا بأنّ الليل قد حلّ وعمّ الظلام المكان وهو الوقت المناسب للسّير عندهم فكلمات، أماناً، خلفنا، كل الجهات توحى لنا مكان مظلم سادته الليل، فالظلام لا يسود منطقة دون أخرى.

ويقول سليم³: "أتركني هنا، أتركني هنا، أتركني هنا" فإمكان الذي يريد البقاء فيه أماناً، ولهذا يودّ البقاء فيه.

وتقول عرفية⁴: "أترى هناك أمامكنا لست إلاّ عائدة من هناك" فعرفية تتساءل عن المكان أو عن المخبأ، وتقر في الأخير أنها كانت عائدة منه.

ويقول سليم في الترنيمة الثالثة⁵: "...إنّه هنا هنا في الداخل هذا الجبل الملعون، في هذه اللحظة قد أكلمك فيها يسحق هو مخي" فإسليم يشعر بالخوف من هذا المكان (الجبل) ووصفه بالملعون، فقد حدّد لنا المكان المملوء بالصمت المخيف الذي هو يسحق المخ ويسحق الأذن، فالوساوس تلاحق الجميع من كل مكان.

1- براون ويول : تحليل الخطاب ، ترجمة محمد لطفي الزليطي منير التريكي ، جامعة الملك سعود ، 1418 هـ / 1997 م / مقدمة المؤلفين، ص 64.

2 - ألف مرحى لمتسولة ، محمد ديب، الترنيمة الأولى، ص 11.

3- المصدر نفسه ، ص 12 .

4- المصدر نفسه، الترنيمة الثانية، ص 36.

5 - المصدر نفسه، الترنيمة الثالثة، ص 48 .

وفي موضع آخر تقول عرفية لسليم كي تشجعه وتبعث فيه نوعا من الأمل للعيش، فسليم يأس ولا يعرف الطريقة المناسبة للعيش تقول عرفية¹: "إذن ستريح (تضرب الأرض بقدميها) هذه الأرض تنبض سوف تغيّر قشرتها، وتعيش" فعرفية تحت سليم بخطابها إلى ضرورة الصراع من أجل العيش، وتحدّد المكان بضرب قدميها على الأرض إنها أرض الوطن التي ستعود لها الحياة من جديد.

ومن الأماكن التي أشار إليها الكاتب في مسرحية ناس الحومة نجد:

الشيخ إبراهيم: ".....يشير إلى النافذة وباب العمارة انصرم عليها البيان والطواقي..."²

الشيخ إبراهيم³: " ينظر من هنا وهناك مع جانبي، أي يحاول أن يكتشف من هو الشخص الذي يحاول السّي المحفوظ أن ينبّهه إليه.

خرابطة⁴: "راهمرايحينيحلّوك الحانوت".

الشيخ المحفوظ⁵: "ما تقدروا لا اهنا ولا الهيه"

الصالح⁶: "لازم واحد فينا يروح للبارك انتاع البلدية باه يشوف الصّح ويتحقّق...".

الشيخ إبراهيم⁷: "...كنت قاعد الهيه واش جابك اهنا...".

فالإشارات المكانية السالفة الذكر كلّها تشير إلى أماكن بعينها عمارة، الحانوت، البارك، البلدية... وهناك إشارات مكانية لا تدلّنا على مكان واحد محدّد مثل هنا، هناك، الهيه، اهنا.

1 - ألف مرجى لمتسولة، ص53.

2- ناس الحومة ، الفصل الأول ، اللوحة الأولى، ص36.

3- المصدر نفسه ، ص 38.

4- المصدر نفسه، الفصل الثاني، ص124.

5- المصدر نفسه، اللوحة الثانية ، ص137.

6- المصدر نفسه، اللوحة الرابعة، ص 151.

7- المصدر نفسه، اللوحة الخامسة، ص 166.

ومن العلامات الدالة على المكان نجد كلمات مثل يمين، شمال، يسار إضافة إلى إشارة إلى أماكن بعينها:

ونجد في مسرحية فجر وأقول ما يلي:

" الغريب يقف بمفرده ليلا في ساحة المعبد في حالة اضطراب يلتفت يمينا ويسارا يتربح مجيء سراب"¹، فقد أشار إلى مكان بعينه هو ساحة المعبد ثم استعمل علامات مكانية أخرى هي يمينا ويسارا فغريب طرف في الخطاب لذلك كان واقفا يتربح مجيء سراب إما من جهة اليمين أو جهة اليسار فلا توجد دقة في تحديد الجهة التي سيأتي منها سراب، فوضعية الغريب وهو ينتظر سراب لمحت له ولو من بعيد الجهة التي سيظهر منها سراب.

وفي موضع آخر من نفس المشهد نجد:

الغريب: "...كلّ هذا البنيان شيّد فوقجثث الكادحين"²، فقد حدّد الغريب المكان الذي شيّدت فوقه الجثث وهو البنيان، كما دعمه بكلمة (فوق) التي أكدت لنا أن الجثث توجد فوق البنيان فعلا، ونجد أيضا:

الغريب³: "نعم ذهبت إلى المعبد القديم وجدت الكتاب داخل القبو....".

قد حدّد الغريب المكان الذي ذهب إليه وذكره بعينه وهو "المعبد القديم" كما يبيّن لنا المكان الذي وجد فيه، الكتاب وهو: "داخل القبو".

حطّام⁴: "... رأيتك داخلا إلى المعبد القديم تعقبت خطاك، وإذا بك تفتح بابا أرضيا سرّي يقود إلى نفق مظلم..." لقد حدّد حطّام بدقة كيف رأى زبير وهو يتسلّل داخل المعبد

1- مسرحية فجر وأقول ، الفصل الأول، المشهد الأول ، ص145.

2- المصدر نفسه ص145.

3- المصدر نفسه ، المشهد الثالث، ص152.

4- مسرحية فجر وأقول ، الفصل الثاني، ص 186.

القديم ولم يكتف بذلك، بل تتبع خطاه حتى فتح الباب الأرضي الذي يقود إلى النفق المظلم، وهذا تحديد دقيق للأماكن التي سار عليها زئير.

ويقول رماد في المشهد الثامن من الفصل الثالث: "رأيتَه عند البوابة الشمالية وهو يخرج من المدينة"¹، فالبوابة الشمالية هو المرجع المكاني الذي رأى رماد الرجل يخرج منها.

هذه إذن أهم الإشارات الموجودة في المسرحيات (ناس الحومة، زعيط ومعيط ونقاز الحيط، فجر وأقول، انتحار كاتب، ألف مرحى لمتسولة) ولقد لاحظنا الدور الذي لعبته هذه الإشارات المجتمعة في تحقيق الإطار التداولي، وفي تحقيق التواصل، في هذه الإشارات (الآن، الأنا، هنا) لها الدور البارز والواضح في تحقيق التواصل بين شخصيات المسرحيات السالفة الذكر.

1- المصدر نفسه ، الفصل الثالث ، المشهد الثامن ، ص270.

👉 الباب الثاني: الفصل الثاني - استراتيجيات الخطاب -

1- مفهوم الاستراتيجية في الخطاب

2- قوانين الخطاب:

2-1- مبدأ المشاركة.

2-2- قانون الإفادة

2-3- قانون الصدق.

2-4- قانون الإخبارية.

2-5- قانون الشمول.

3- استراتيجيات الإقناع:

3-1- الدراسات القديمة

3-2- الدراسات المعاصرة

4- آليات الإقناع:

1- الحجاج

2- ضوابط التداول الحجاجي:

2-1- أصناف الحجاج: 2-1-1- الحجاج التوجيهي

2-1-2- الحجاج التقويمي

5- تقنيات الحجاج:

5-1- الأدوات اللغوية

5-2- الأفعال اللغوية

5-3- السّلم الحجاجي.

أ-استراتيجية الخطاب المسرحي:

إنّ عبارة إستراتيجية تعني المعبر أو المسلك الذي يعتمد عليه أو يتخذه المتكلم للتألف بخطابه، وذلك باستعمال علامات قد تكون لغوية وذلك بكلمات و عبارات مقصودة أو غير مقصودة أو غير لغوية كاستعمال إشارات و إichاءات و يكون ذلك وفقا للسياق الذي يكون فيه المتلقي أو المستمع و المتكلم ، و لكل خطاب استراتيجيته الخاصة به ، هذه الإستراتيجية تعني تحقيق التواصل و تنفيذ إرادة المتكلم و التعبير عن مقاصده ، و للخطاب المسرحي إستراتيجيته الخاصة به إذ أنّ الخطاب المسرحي بالفعل هو دائما خطاب الشخصية الموجه نحو شخصية أخرى، وخطاب المؤلف(عمل) الموجه إلى المشاهد في الوقت نفسه...¹؛فإستراتيجية الخطاب المسرحي إذن هي تقنية تتخذ بغية تحقيق التواصل بين المتكلم و المستمع فالخطاب على حدّ تعبير جافري لنتش Geoffrey ومايكل شورت Michael short "اتصال لغوي يعتبر حقيقة بين المتكلم و المستمع و نشاطا متبادلا بينهما، وتتوقف صيغته على غرضه الاجتماعي...²؛فيكون تحقيق التواصل وإيصال ما يريد المتكلم إيصاله للمستمع وذلك وفقا للسياق و القصد.

إنّ الخطاب هو تواصل بين طرفين (المتكلم و المستمع) أو بين المخاطب والخاطب و يكون وفق وحدات لغوية تتسم بالتنضيد و التنسيق و للانسجام ، و لتحقيق هذه الإستراتيجية في الخطاب المسرحي ينبغي أن يقدم هذا الخطاب على عناصر هامة منها :الهدف ؛أي أن يكون لهذا العمل المسرحي عمل يصبو المؤلف إلى تحقيقه أو الممثل إلى إيصاله للمشاهد، كتقويم سلوك .أو إثارة انتباه، كما يجب أن يتمتع هذا العمل بالحركية و تحقيق المتعة من خلال السياق العام للمسرحية من بدايتها إلى نهايتها، هذا الأخير الذي يشكل عناصر المسرحية من شخصيات و أحداث و حوار و صراع و عقدة وحل ،إضافة إلى أداء الممثل.

الذي يتمثل في حركته وأفعاله المتنوعة قصد عرضها على المشاهد كما لا ننسى الفاعل الحقيقي للعمل المسرحي والمتمثل في كاتب المسرحية أو الممثل أو مخرج المسرحية.

1-أوزوالديكرو،جان ماري سشايبر ، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ترجمة منذر عياشي ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء،المغرب،ط2007،ص266.

2- سارة ميلز ،الخطاب ،ترجمة يوسف بغول، منشورات مخبر الترجمة في الأدب و اللسانيات، جامعة منتوري قسنطينة، 2004، ص20.

يتحقق التواصل في الخطاب المسرحي بفضل اللغة هذه الأخيرة باعتبارها "أداة وظيفتها الجوهرية التواصل.. وماريني يعترف أن اللغة يمكن أن تكون وظائف أخرى كأن تكون حاملة للفكر أو أن تسمح لشخص ما، للتعبير عن نفسه و تحليل ما يحس به دون أن يهتم كثيرا بردود فعل مستمعين مختلفين.."¹؛ أي أن اللغة هي التي يتحقق بواسطتها التواصل في الخطاب المسرحي بين المتكلم و المستمع أو بين شخصياتها المحاورة، كما لا ننسى دور الإشارات و الإيحاءات التي قد تصدر من الشخصيات كتحريك اليدين، رفع العينين،.....

إن مصطلح إستراتيجية كما أشار إليه عبد السلام المسدي "في منبعه من قاموس لغة الحرب و لغة السياسة تتم تداولته لغة الاقتصاد، ثم تعمم استعماله ودخل اللفظ علوم اللسان واطردت الأبحاث فيما عرف في اللغة الأجنبية بعبارة إستراتيجية الخطاب ، ثم قرب إلى النقد الأدبي باعتباره من المفاهيم الإجرائية التي تعين على كشف خصائص الكلام الأدبي و قيل الكتابة من موقع المحاورة الضمنية بين طرفين باث و متقبل"²؛ فتحقيق محاورة شفوية كانت أو كتابية تحكمها قوانين تتحكم في نجاحها وفي إيصال الأفكار المقصود إيصالها للمتلقي وهذا ما يعرف بقوانين الخطاب.

ب- قوانين الخطاب

سبق و أن أشرفا في مبحث سابق عن مبدأ التعاون الذي يجب أن يتوقف في العملية التواصلية بين الباث و المستقبل أو بين المتكلم و المستمع ، إن هذه القوانين لا تتعلق بقواعد التركيب و الصرف وإنما هي مواضع صريحة تعرض لها الفيلسوف الأمريكي ج ب جرابيس بعنوان البديهيات التخاطبية³

وهو ما أطلق عليه فيما بعد بقوانين الخطاب Lois de discours وهو ما أشار إليه أوزوالديكرو، هذه القوانين التي يجب على المتخاطبين احترامها لأجل تحقيق فعل التواصل وكل هذه القوانين تعود إلى مبدأ التعاون وتنبثق منه .

1- مارسيلو داسكال ، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة ،ترجمة حميد الهمداني و آخرون مكتبة افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ط1987، ص 46-47

2- عبد السلام المسدي ، المصطلح النقدي مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر و التوزيع تونس، ص 42.

3- Grice , Logique et conversation in communication n 30, paris 1979, p 57

1-مبدأ المشاركة:

يعد هذا المبدأ الرئيسي و الأساسي لتحقيق النشاط الكلامي بين المتخاطبين، فهو ذو مصدر اجتماعي وأخلاقي إذ أنه يصبو إلى تحقيق الفائدة التي سيجنيها المتخاطبون أثناء تواصلهم وخطابهم أو أثناء ممارساتهم الكلامية فتبادل الكلام نشاط اجتماعي متحقق¹؛ ولتحقيق هذا المبدأ أو تطبيقه وضع جرایس أربعة مبادئ وهي بمثابة قواعد تساهم في تشكل وتواصل النشاط الكلامي² وهي أحكام أعيدت صياغتها لتكون قوانين ، تمثلت في :

1-1-قانون الإفادة:

وهو ما يقابله حكم المناسبة، يعني استفادة المتلقي من كلام المتكلم أو الباث ، أي تحقيق الإفادة سواء كان القول مخبراً أو غير مخبر عنه ، إذ يستفيد المستمع من كلام المتكلم فيستجيب مثلاً لطلباته كأن يقول أحدهم : البحر هائج هذا الصباح ، فهو إخباري ولكنه مفيد من جهة أخرى التزم المتلقي ، و تقادى السباحة صباحاً . يقول ويلسون و سيربر : "إننا نعترف بأن كل الأحكام تتضوي تحت مسلمة الإفادة ، التي هي أكثر دقة و صحة من الأحكام الأخرى"³، فيتحقق الإدراك للمستمع مما يؤدي إلى النتائج العملية المحققة فعلاً. أي التي امتثل المستمع لها و طبقها كامتثال للمستمع في الحوار الآتي⁴ :
مريم: "ثقي بأنني الأولى أعلن عفئك و أبرئ المرحوم و المرحومة كذلك مما أشارته التحاليل خطأ بتأثير العين و إنها لقوية جاعلة الفارس المغوار طريح الفراش من غير أدى لا يكشفه الطب و إنما يدركه الدين ثم يشفه بالرقية ولذا أحتك على إرقاء هذه الدار"

زكية : "إني لا أرفض إرقائها فعسى أن يصل الخبر إلى النسوة فيكفن عن البهتان و لو بدافع تدين.. " ؛ فزكية في هذه الحالة امتثلت لرأي مريم بعد ما أخبرتها بأهمية الرقية في تخفيف الألم عن حسناء المريضة فرأت زكية أن ذلك قد يخفف عنها و لم ترفض الفكرة . ففي كلام مريم الإخباري إفادة للمستمع (زكية) ومن المشهد نفسه نجد⁵ مريم: ".كأن تجده صدفة في وثيقة لم تسلم وسلمت غيرها بعدما تسري القدرة الخطية بفضل الدين مزيلة تأثير العين ومرشدة العبادة إلى التحاليل الصحيحة و تكون إيجابية"

1- CK Orecchioui,1986, Limplicite, Armand Colin,p 198

2- عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، مصدر سابق ، ص 95.

3 - CKOrecchioui, ,Limplicite P 198-199

4- ك.ل ابن آدم، الوهم ، الفصل الثالث ، المشهد الأول ، ص 64.

5- المصدر نفسه ، الفصل الثالث ، المشهد الأول ، ص 65.

زكية : "إنّ رغبتى لشديدة في أن ألجأ إلى الدين مثلما تحثيني عليه توقا...، فزكية هنا أيضا متمسكة برأي مريم على اللجوء إلى الدين لحل المشكلة فقد امتثلت لأمرها وأقرت على اللجوء إلى الدين.

وها هي زكية مرة أخرى تمتثل لأمر ابنها سهيل ، الذي يخبرها و يحثها على معاملة حسنة معاملة حسنة للتخفيف من حالتها النفسية السيئة:¹

سهيل : "أمّاه عامليها بإحسان فلعله يخفف عنها أزمته مع أدوية مهدئة لأعصابها "

زكية : "...أعدك بأنني أغير سيرتي معها عسى أن تعود إلى عافيتها". ومن نماذج قانون الإفادة نجد:²

الرجل 1: "العقل املح يا الهامل ما عنده ما أذاك... الإنسان ذرعيه طوال..."

الهامل : "وأنا انقصهمه "؛ فالرجل يخبر الهامل أن السيء الحظوظ إنسان متهور و ذرعيه طوال .أي يمكن إيذاء الآخرين ، لكن الهامل ردّ عليه بأنّه سيقص له ذراعيه ؛ فالمستمع هنا قد يأخذ بالنصيحة و يبتعد عن هذا الرجل ،أو يتصدى له و يوقفه عند حدّه . و ها هو حمدي من جهته كمستمع يمتثل لأمر الصالح الذي يخبره بأنّه سيعمل وفق ما يمليه القانون لمحاربة الفساد و لإيقاف الحظوظ عند حدّه³

خرابطة : " حاب يحاوزنا من الدار..الراجل"

الصالح : "احنا نعملوا بلّلي يسمحلنا بيه القانون و إذا هو المعني فينا رانا واجدين..."

حمدي: "آملة غدوة لعشية نتلاقا و ننتفاهموا منين نبداو "

ومن نماذج قانون الإفادة نجد أيضا⁴

الهامل : "آه.. راح للأروقة Les galleries"

خرابطة: متدخلا: " تعس التتم...؟"

الهامل: "إيه على الدالة.."

1-ك.ل ابن آدم ، الوهم ، الفصل الثالث، المشهد الأول ، ص 68.
2- مسرحية ناس الحرفة ، الفصل الثاني ، اللوحة الأولى ، ص 109.
3- المصدر نفسه ، ص 110-113.
4-مسرحية ناس الحومة ، الفصل الثاني ، اللوحة الأولى ، ص 115.

الشيخ إبراهيم: "آه.. باهفي الصباح كي يطلوا أتكون أنت الأول .."
الهامل:"وبلاصة الأول تسوى خمسين ألف.."

؛ فالهامل يخبر كل من خرابطة و الشيخ إبراهيم عن فائدة الذهب للأروقة و فائدة من (يمسك الدالة) على حدّ تعبير الهامل ، فالمستمع (خرابطة) الذي يرى فيها فائدة هو الآخر طالبا من الهامل أن يأخذه معه قائلا :

خرابطة:" يجبد الهامل بعيد عن دكان إبراهيم : واش تقول و انجي معاك ..العفسة هذه ما جريتهاش..¹"

و ها هو الشيخ المحفوظ الذي يخبر الشيخ إبراهيم عن إسراره على مساعدته لإكمال تجهيز المنزل ، و ما على المستمع إلا الاستماع و تنفيذ ما يطلب منه :
الشيخ محفوظ²:"انعم إيه ..الليلة هذه انحظرهم و غدوة تصبح ساكن وما تنسالنناش الزردة..."

الشيخ إبراهيم:" خطيك ..الزردة هي الأولى ..ابرانشيليلزيقو برك.."
فالشيخ إبراهيم كمستمع يكون قد استفاد من كلام الشيخ المحفوظ الذي سينفذ أمره و قد أنطلق لتحضير الزردة هي الأولى.

و نجد قانون الإفادة كذلك في ردّ المستمع (الشيخ المحفوظ) على كلام عبد القادر الذي يخبر الجميع بأن ينظفون الحي و يجمعوا القمامة:³
عبد القادر:" ليها يا جماعة ليها ، الحجر و الزيل لموهم على جهة".
الشيخ المحفوظ:" النظافة من الإيمان .."

و ها هي عزيزة بدورها كمستمعة تطمئن معيط و رفاقه و تعدهم بتدبير الأمر بعدما أخبرها بأن الشيخ سيعاقبهم بحرمانهم من الأكل⁴ :
معيط:" إذا قعدنا نتكلمو معاكم ، راهو شيخكم يخلينا اربع أيام بلا مأكلة.."
عزيزة:" ما تخافوش إذا ما عطاوكم شتاكلو أنا ندبر عليكم ."

1- مسرحية ناس الحومة ، الفصل الثاني ، اللوحة الأولى ، ص 115.

2- المصدر نفسه ، ص 119.

3- المصدر نفسه، الفصل الثاني ، اللوحة الرابعة، ص 149.

4- مسرحية زعيط ومعيط و نفاز الحيط ، الفصل الثالث ص 45.

و قد بادرت ليلي بدورها كمستمعة إلى رفض الخروج للقاضي ، بعدما أخبرتها أمها بأنه قادم لتطليقها من زوجها بوحديّة؛ فقد كان جوابها بالرفض التام و القاطع قائلة:¹
زوليخة: " يا سواد السعد .. أنت هبلتني .. القاضي جاي .."
ليلى: " قولوه يرجع للمحكمة " ، فليلى كمستمعة التزمت وأصرت على موقفها ورأيها، رافضة مجيء القاضي.

1-2- قانون الصدق:

يعدقانونالصدق من قوانين الخطاب الهادفة إلى قول الحقيقة كما هي موجودة في الواقع. سواء عن طريق استفهام يريد به المتكلم معرفة جواب صادق أو بالأمر، أو أن يطبع المستمع أوامر المتكلم فينفذ طلبه ، لكن قد لا يتحقق الصدق دائما في بعض الخطابات إذ يلجأ المتكلم أحيانا إلى الكذب ، إذ قد يفرض المقام على المتكلم أن لا يكون صادقا تماما فلكل مقام مقال . فعادة ما يلجأ المتكلم إلى الكذب في خطابه مخافة الفتنة مثلا أو نشوب شجار فيستدعي منه المقام الكذب في خطابه . فالسياق هو الذي له دور تبيان الصدق في القول و الصدق يعتبر أصلا و فرعا في الخطاب ، إنّ الكذب شيء استثنائي، إلا أنه سلوك مندرج في الخطاب و يخضع لمعيار الصدق"لا يمكن تصور لغة بعكس هذه القاعدة"²؛ فتساؤل زكية مثلا عن وجود تاريخ ميلاد مطابق لتاريخ أب ميلاد حسناء من طرف الأعمام أو الأخوال ، فاستفهامها حقيقي و صادق أرادت من ورائه معرفة الحقيقة قائلة و متسائلة³:
زكية: " وهل تحققت منها يا منصور؟"

منصور: "تحققت منها فلم أجد ذكرا أو أنثى من الأعمام أو الأخوال يطابق تاريخ ميلاده بتاريخ ميلاد أب حسناء أو أمها فجزمت بأن احتمال القرابة بالاستدلال لم يحدث في المستشفى"؛ فالمستمع (منصور) تحقق مما استفهم عنه المتكلم (زكية). وقدّم المعلومات اللازمة لها بكل صدق و أمانة وما يثبت ذلك هو تواريخ الميلاد المدونة على شهادات الميلاد ، فقد تحقق الصدق في الحوار وكان للاستفهام عن شيء حقيقي وواقعي وجد في المقابل له جوابا مقنعا و دقيقا .

ومن الخطابات المشتملة على قانون الصدق نجد:⁴

1- مسرحية بوحديّة ، الفصل الأول ، الموقف الخامس، ص 69.

2- J.Austin 1970, quand dire c'est faire, traduction Gilles lane, Edition du seuil, paris, p 69-70

3- ك.ل ابن آدم ، الوهم ، الفصل الثالث ، المشهد الثاني، ص 73.

4- ناس الحومة، الفصل الثاني ، اللوحة الأولى ، ص 108.

الشيخ المحفوظ: "وباه نعلمكم الدراهم اللّي لميناهم راهم في الأمان و الضمان رايعين يستعملوا في أحياء تراثنا و شخصيتنا... اشريت بهم السيماء"

خرابطة: "مقاطعا ، آه... هذه صحيحة و هذي ليلتين و أنا و الفيجيتيفالقوله فيها القراج"
ففي الحوار يتحقق قانون الصدق ، و ذلك وفقا لكلام المستمع(خرابطة) الذي أكد صدق ما قاله المتكلم (الشيخ المحفوظ) و في الحوار الآتي ما يبين لنا تحقق قانون الصدق، أي صدق ما تلفظ به كل من زعيط و معيط و الحيط و القائد:¹

زعيط: " حنا مانعرفوهش .

القائد: " ما تخافوش

معيط: " باش نوروهولك و تتعاقبوا؟

القائد: " اعطوا فينا الأمان وما تخافوش

الحيط: " ايه...من بعد تقول لنا كيفاشعقلتوه لوكان ماشي اصحابوا

القائد : " عليكم عاهد ربي و النبي ما تخافوا.

الثلاثة: " نعرفوا وجه...، فبعد الحوار و النفاش الطويل ، تأكدّ الثلاثة من حسن نية القائد و صدقه فيما قال ، قرّروا و اكدّوا معرفتهم بشعبان فنادوا ما يتحقق قانون الصدق ، و ذلك كما ذكرنا سابقا راجع للمقام ، فقد يتحتم على المتكلم الكذب في خطابه خشية أمر ما نجعله.

1-3 قانون الإخبارية:

إنّ قانون الإخبارية من القوانين التي تعدّ أحد مكونات عملية التواصل الكلامي، فتكون رغبة المتكلم من خلاله خطابه إخبار المستمع بمعلومة يجهلها" فقانون الإخبارية هو الشرط الذي يخضع له الكلام ، و الذي هدفه إخبار السامع ، و لا يمكن أن يتم ذلك إلاّ إذا كان هذا الأخير يجهل ما يشار إليه "،² فالباث أو المتكلم يتلفظ و يتكلم ما يعرفه السامع إذ لا يمكنه أن يلقي كلاما غريبا كلّ الغرابة عن المستقبل أو المستمع ، و يتحقق قانون الإخبارية بجملّة من الأفعال كالأستفهام ، و التقرير، و الأمر..... على أن تكون هذه الأفعال متحققة فعلا في الواقع و منها نجد:

1- محمد التوري ، زعيط و معيط و نقاز الحيط، الفصل الثالث ، ص 50.

2 - O.Ducrot :1980 dire et ne pas dire 2 emeédition ,hermam, paris,p 133

الزوجة:"...لنذهب الآن إلى المستشفى لزيارة ابنتنا ... لم نراها منذ أيام.. لعلها اشتاقت إلينا كثيرا.."

الكاتب:" أه..كدت أنساها...المسكينة... لنذهب إليها حالا..."؛فالكاتب يعلم أنّ ابنته في المستشفى و لكنّ الزوجة تذكره و تطلب منه الذهاب لزيارتها ففي الحوار نلمس طلبا و تقرير بالذهاب من طرق الكاتب.

ومن نماذج قانون الإخبارية نجد:¹

الزوجة:"لقد تأخرتم كثيرا... كان يجب عليكم أن تقدروا وزنه و قيمته في الماضي أما اليوم فلم يعد لمجيئكم فائدة ترجى ، تعترفوا..."

الصحفي1:"سيدتي...لم نكن يوما ضد السيد المحترم زوجك بالعكس كنا نبجله و نقدره .. كنا نعترف له في السر و العلانية ... " ؛ فالزوجة تخبر رجال الصحافة عن وزن و قيمة زوجها الكاتب،ففي كلامها نلمس تقديرا و تأكيدا ، لاقى استحسانا و تقبلا لدى

رجال الصحافة و ذلك ما لاحظناه في إجابة الصحفي 3 الذي لم ينف صحة ما قالته الزوجة وأكدّ لها القدر و التبجيل لزوجها الكاتب المحترم.

وهاهو سراب يسأل الغريب عن حال جدّه ، منتظرا منه إجابة دقيقة وواضحة ، وبدوره الغريب كمستمع سيجيبه إجابة فيها تقرير ووضوح ، فقانون الإخبارية كما أشرنا سابقا يمكن المتكلم من الإخبار المستمع أشياء يجهلها ، و التي بدورها قد تكون تقارير أوضح ، أو استفهام و منه نجد هذا الحوار بين سراب و الغريب :²

سراب : "قل لي يا غريب ما أخبار جدّك؟"

غريب : "إنّه مريض و لكنّه مرتاح النفس أظن أنّه مستعد للرحيل"

يقترّب من سراب:

1- محمد التوري ، المصدر السابق، المشهد الأخير، ص136
2-نورجاي علاش ، فج رو أفول، الأول، المشهد، ص151.

"يجب أن تخرج من المدينة فأعداؤها موجودون في كل مكان"؛ فالغريب هنا سراب و يحثه على ضرورة الخروج من المدينة خوفا من الأعداء و لكن الغريب أجابه إجابة اشتملت الأخذ بالنصيحة مقدا له أسباب ذلك قائلا:¹

سراب: " لا تخشى فسراب يعلم كيف يتخلص من الجند دون قتله أم الجان الذين يتجسسون عليك فإنهم يفرون عند سماع الحديث المقدس"

من أساليب قانون الإخبارية نجد الاستفهام الذي كانت إجابته بينة في الإجابة التي أجابها الغريب عن السؤال المطروح من قبل سراب²

سراب: ".... قل لي يا غريب هل وجدت الكنز؟"

الغريب: "نعم ذهبت إلى المعبد القديم ، وجدت الكتاب داخل القبو ، كنز الأولين ، إن نفسي تطمئن لكلمات هذا الكتاب ."

ومن الأساليب التقريرية نجد:³

الغريب: " السحر ليس بعلم يا ابن العم إنه سمّ ، إنها جريمة يقتلون بها من يعاديهم "

شديد: "إنهم أقوى منا ، يروننا من حيث لانراهم"

الغريب: "إنّ بصرهم ضعيف ، لا يفرقون بين الخير و الشر." ؛ فالغريب هنا يخبر شديد بحقيقة يقينية و هي أن السحر شر و لا يفيد كل من يلجأ إليه ، حتى أنه كد له بأن بصيرة السحرة ضعيفة بحيث لا يمكن لا يمكنهم حتى التفريق بين الخير و الشر ففي الخطاب تقرير و تأكيد لحقيقة لا ينكرها أحد.

1-نورجاي علاش، المصدر السابق،ص151- 152.

2- المصدر نفسه ، ص152

3- نورجاي علاش ، فجر و أفول ، الفصل الثاني ، المشهد الأول،ص170.

ومن أفعال الكلام التي تطبق فيها قانون الإخبارية نجد الأمر في خطاب الغريب¹:

الغريب: " يجب أن تكتم هذا الأمر".

حطام: " لا تخشى يا غريب لن أغدر بك أبدا.."; فالغريب يلزمه و يأمره و يطلب منه كتمان الأمر (اختيار السماء للغريب لأن يرى كتاب كنز الأولين)، فالمستمع فور تلقي هذا الأمر قرّر الكتمان و أخبر الغريب بأنه لن يغدر به أبدا ، فقد تحقق هنا فعل الأمر فور التلفظ به، و هذا شرط من شروط تحقق قانون الإخبارية.

وها نحن الآن أمام استفهام حقيقي لاقى إجابة بينة من طرف المستمع²

رجل آخر : "هل حقا تخليت عن هذيانك و كلامك الغريب ، أنت من كان يريد أن يصدنا عن ديننا ؟"

الغريب : "نعم يا أهل المدينة ، الغريب أصبح رجل جديد كنت مسحورا و زال مفعول السحر بعد موت سراب المشعوذ ... أعاهد نفسي وأعاهدكم أنني سأمضي بقية حياتي في خدمة المعبد و العباد...." ؛ فالمتكلم (رجل آخر) طرح سؤالا على الغريب (المستمع)، فقدم هذا الأخير إجابة بينة و واضحة ، أمتعت المتكلم و أكدّت له تغير الغريب و عهده الوفي للعباد والمعبد.

ونجد فعل الأمر المتحقق فور التلفظ به من المتكلم في :³

شديد : "...أذهب من هنا ارحل يا ابن العم ارحل قبل أن أقتلك،اهرب،اهرب،يا ابن العم فأني لا أريد أن أسقي الأرض بدمك ."

الغريب:"سأرحل يا ابن العم، سأرحل يا ابن العم"،فالمتكلم يأمر المستمع بالرحيل ، و المستمع سينفذ أمره ، فتحقق فعل الأمر يكون بتنفيذه فور التلفظ به.

1- نورجاي علاش، المصدر السابق،الفصل الثاني ، المشهد السابع، ص 188.

2- المصدر نفسه ،الفصل الرابع ،المشهد الأول،ص212

3-المصدر نفسه ،ص.212.

4.1- قانون الشمول:

تطرقنا في المبحث السابق - قانون الإخبارية- إلى ضرورة إعطاء المستمع الخبر الذي يجهله مع ضرورة المحافظة على الوضوح و تجنب الغموض ؛ فالمتكلم سيخبر المستمع بمعلومات يجهلها و لكنها تعكس واقع كلّ منهما، وكي يكون الخطاب مفيدا و مخبرا عنه بطريقة جيّدة لابد أن يكون شاملا ؛ فالشمول يرتبط بهذا القانون ارتباطا وثيقا ، فالشمول عادة يكون عند الإخبار ، فحتّى يكون كلام المتكلم شاملا لابد أن يحتوي على أكبر عدد ممكن من المعلومات ، فيتحقق بذلك الشمول وهذا ما حدده لنا ديكره بقوله : " إنّ المتكلم يجب أن يعطي المعلومات اللازمة التي بحوزته عن موضوع الخطاب ، والتّي من شأنها أن تنفع المخاطب "1؛ إذ أنّ إعطاء الخبر بما يحتويه من معلومات مفيدة يحقق الشمول فيتحقق الوضوح للمستمع "فيسمح هذا القانون للمخاطب بالتزود بمعلومات لم يفصح عنها المتكلم ، أو لم يرغب في الإفصاح عنها ، هذا من جهة و من جهة أخرى قد يهتم المتكلم بالكذب لأنّ المقام قد يضطره إلى عدم الإفصاح عن كل ما يعرف ، وهذا ما يخلق سوء التفاهم بين المتخاطبين" ، أي أن المقام هو الذي يفرض على المتكلم الإفصاح عن المعلومات بالقدر الذي يحقق الإفادة مع تجنب خلق سوء التفاهم الذي ينشأ بين المتخاطبين، فتعطي بذلك المعلومات اللازمة التي تنفع المستمع و تحقق له الإخبارية و الإفادة في آن واحد . ففي الخطاب الآتي² نجد أنّ المتكلم قد أعطى أكبر عدد ممكن من المعلومات حتّى يتزود المستمع بمعلومات تنفعه و تعطي له فكرة عما يجول في المتكلم

الغريب:"سأحرر العبيد لن أياس كل نفس ذائقة الموت سراب كرس حياته من أجل الدعوة حفظ حديث النبي المنسي، كان يدعو.... الناس إلى عبادة إله النور، نحن عبيد إله النورعبيد إله النور عبيد إله أرأف و أرحم من البشر كلّ نفس ذائقة الموت سراب ضحّى بحياته من أجل الدعوة لقد مات...

سأكمل الدعوة، حتى ينتصر النور سأكمل الدعوة حتى ينتصر النور على الظلام"

1 - c.k oRecchioui.l'implicite,p19.20

2 - نور جاي علاش ، فجور و أفول ، الفصل الثالث ، المشهد الثاني ، ص 199-200.

لقد وجّه هذا الخطاب لزيير كمستمع، إنّه مليء بالمعلومات اللاّزمة التي ستساهم في محاولة إقناعه لتحرير العبيد التي سعى إلى تحقيقها سراب؛ فالمستمع سينتفع حتى من هذه المعلومات المفيدة التي تنقل مسيرة سراب في دفاعه عن الدعوة؛ فالخطاب شامل و مفيد ، لقد تحقق فيه قانون الإخبار و الإفادة و الشمول إذ أنّ الحدود بينهما غير واضحة.

وفي الخطاب الآتي ¹ نجد شمولاً واضحاً أراد منه المتكلم أن ينفذ المستمع بمعلومات لازمة

مريم: "إنّ حسناء كنتك قد بدت لي اليوم في صحة جيدة ولا يبدو عليها المرض ، بعد إجهاضها الجنين الثالث إنّني لم أنقطع عن تفقد صحتها كلّ صباح قبل الشروع في المسح و الغسيل ، و هذا واجب عليّ"

زكية: "لقد عادت إليها عافيتها بعدما مر أسبوع على إجهاضها للمرّة الثالثة ...؛ فالمتكلمة مريم قدمت معلومات لازمة للمستمعة زكية و التي من شأنها أن تنفعها ويتمثل انتفاعها في اطمئنانها على كنتها حسناء و عودة عافيتها لها ، بعد إجهاضها للمرّة الثالثة ، فالكلام شامل و مفيد تمثل في تفقد مريم لحسنا و هذا ما زاد من سعادة زكية.

ومنه نجد أيضاً ²

حمدي مقاطعاً: " احبساحبس واش من لجنة هذه ، إذا حاب اجتماع رانا قابلين ، بالصح لازم سكان الحي الكل يكونوا حاضرين . و الناس اللّي في اللجنة هذه اللّي تتكلم عليها أنت و احنا عمرنا ما شفناها ، وإذا كاين لا بد يحضروا ...السع نشوفوا كيفاه .."

الشيخ المحفوظ: "أنا وحدي نكفي ، و اللّي حاسبين رواحكم فاهمين ..."

فحمدي كمتكلم قدّم معلومات لازمة للشيخ المحفوظ ، و التي من شأنها توضح له خطاب أهل الحومة و تؤكد له أن ناس الحومة يجهلون أمر هذه اللجنة، فقدّم له توضيحات ومعلومات عسى أن تنفعه قبل اتخاذ أي قرار لا يرضي أهل الحومة.

1-ك.ل ابن آدم ، الوهم ، المشهد الأول ، ص 04.

2-ناس الحومة ، الفصل الثاني ، اللوحة الأولى ، ص 105.

و ها هو الشيخ المحفوظ من جديد يلقي بخطابه لأهل الحومة ، هذا الخطاب المليء بالمعلومات اللازمة ، و التي من شأنها أن توضح لهم ، أن أمر اللجنة قائم وأن كل العيب يكمن في سلوكات السكان وعدم اكتراثهم بما يدور حولهم من سوء النظام ، و انعدام النظافة الشيخ المحفوظ¹: "تشكيوا على الضوء الّي غايب في الحومة و اللّي ولادكم كسروه و اللّٰه يظلمها عليكم و عليهم جايز تشكيوا على الخماج و الوسخ اللّي مبلية بهم الحومة و انتم يا هاجوج و ماجوج اسبابه ..تشكيوا على الماء جايز ..على الديار اللّي في الرياب جايز ..على الطرق جايز ..تطلبوا بينيولكم مراكز باه يتسلاواويترباوا اولادكم و انتم ناقستكم تربية و هي خسارة فيهم جايز ..لكن واش أداكم لّي ..آه ..واش عرفكم بللي لجنة ماهيش موجودة وماهيشقايمة بدورها؟"؛ فالشيخ المحفوظ هنا ألقى خطابا مليء بالمعلومات اللازمة ما صدر من سكان الحي (كتابة رسالة شكوى ضده).

ومن النماذج التي اشتملت على قانون الشمول نجد الحوار الآتي الذي دار بين الأصدقاء الثلاثة (زعيط و معيط و نقاز الحيط) لأجل كشف أمروجهته ليلي لأّمها زوليخة.

هذه الأخيرة التي طالما حثت ابنتها على الطلاق من زوجها بوحدبة الرجل الطيب والمخلص لزوجته ، فنجد ليلي تقدّم معلومات لازمة ، تذكرها بخصال بوحدبة و طبيته لعلّها تنفعها و تتراجع عن مطالبتها بالطلاق

ليلى: " تفكري يا يما ، تفكري بلّي مراد هو اللّي رجع لي صحتي ، مراد بوحدبة كيما تقولي أنت و بابا بسبابه بريت ،حوس بي الأطباء الكل ، أداني للحمامات الدنيا بأسرها ...أداني كل مكان، ما ريح ما غمض عين ، حتى بريت..خسر عليّ جميع ماله باع حتّى الدار اللّي ورثها من باباه"²

وها هو بوحدبة من جديد يعطي معلومات لازمة للملاكم عساها تنفعه في المستقبل وهي عبارة عن نصيحة ، فقانون الشمول كما قلنا على علاقة وطيدة بقانون الإفادة والإخبارية والتي من أساليبها نجد النصيحة و التي يجب أن تلقى قبولا من طرف المستمع

1- ناس الحومة، المصدر السابق،ص 105.

2-محمد التوري ، بوحدبة ، الفصل الأول ، الموقف الرابع، ص 67.

بوحدة¹: " أنت شاب جاي لحياتك، أرفع صنعتك و شرفها ... خصوصا هذا النوع من الرياضة التي راك فيها، حقا تتعلم مريح ، و تتقنوا و توجذ روحك في عوض الي تضيع وقتك في التمسخير...و الزوخ في الباطل ، هول الرياضة حاله صعب...إذا اعتنى بها مريح ، و تعب و ضحى، يطلع شأنه ، وإذا عجز و حقر الدعوة يشعل مثل الشمعة و من بعد يطفى ...ديما يتفكر يرجع كي لقبر المنسي ...وين الشهرة وين الجرايد...وين الزهو و الحطات ، وين لحباب وين وين ...

الملاك: " أيما تقول مفتي الفخر؟ أحضر في الشهر الجاي، و نعطيك لخبرفياالشمبيونا...تسمع بداداك ..."، فالملاك كمستمع انتفع بمعلومات شعبان الخائن ، فقرروا إعطاء معلومات لازمة للقائد و الشيخ حتى يتعرفا عليه:

معيط²: تبعوني (موسيقى، غناء):

"ريحت الغدار داخل الداراخلفواالثار راهوا هنا "

معيط:أرمي عينيك يمين و شمال راه يقابلك ذاك الخنزير دبر راسك كيفاش تدير ما تقوليش برك بلي حنيا ريحت... "

زعيط: " حل وذنك وسمع كلامنا مركب بثبوت و تحقيق يا الله غاول قبل ما يفيق تحصلوا نتوما وانزيدوا حنايا ريحت ... "

الحيط: " الحمد لله بديت تفيق رد بالك والا ياخذ الطريق اربطلوافموا و رجليه صحابه راهم غير اهنا "

معيط: " احمد ربي على السلامة إما يرشوك كيفالنعامة راك راقد قدام واحد الرزامة ...سترك ربي زدنا احنايا ريحت "

القائد: " هذا هو الخاين شعبان احكموه ...اربطوله فمه باش ما يزقيش لصحابه "، فكل هذه المعلومات قرّبت الفهم للقائد الذي تمكن في الأخير من القبض على شعبان الخائن ،

1- محمد التوري ، بوحدة،المصدر السابق، الفصل الثاني ، الموقف الثاني ، ص 74،75

2-محمد التوري، زعيط و معيط ونقاز الحيط، الفصل الثالث ، ص 52،53.

فالخطاب كان شاملا ومفيدا نفع القائد إذ بفضل له الرؤية و تعرف على الخائن شعبان.

و مما لاحظناه من خلال تتبعنا و تفحصنا لقوانين الخطاب في مسرحياتنا المعاصرة نجد أنّ هذه القوانين مرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا إذ أنّنا لا نكاد نجد فارقا بينهما ، فكل قانون يخدم الآخر و يرتبط به ارتباطا بيّنا فقانون الشمول مثلا يرتبط بقانون الإخبارية ارتباطا وثيقا فكل خطاب شاملا لابد أن يكون إخباريا، و الإخبار يتضمن التقرير ، و الوعد و الاستفهام و الأمر ، النصيحة...كما لا ننسى قانون الصدق هذا الأخير الذي لابد للمتكلم فيه أن يكون صادقا في خطابه الذي قد يكون استفهاما أو إثباتا لأمر ما ، حتى تكون استجابة المستمع له صادقة وواضحة وفق سياق محدد و مقام محدد.

ج- استراتيجية الإقناع

سبق و أن تعرضنا في المبحث السابق إلى تحديد مفهوم الإستراتيجية وهي معبر يتخذه المتكلم للتلفظ بخطابه ، و نحن الآن أمام استراتيجية الإقناع فما المقصود بها ؟ و ما هي أسباب استعمالها ؟.

إنّ العلاقة بين طرفي الخطاب (المتكلم و المستمع أو المرسل و المرسل إليه) تعتمد على المعيار الاجتماعي بالدرجة الأولى ثم على شكل الخطاب اللغوي ، و ذلك قصد تحديد ما يرمي إليه المرسل من جراء التلفظ بخطابه للمرسل إليه أي تحديد الهدف الذي يقصده المرسل من خلال إلقاء خطابه على المرسل إليه ، و هذا ما يدخل تحت إستراتيجية الإقناع، أي إقناع المرسل إليه ، و بذلك "يتحقق التغيير في الموقف الفكري أو العاطفي"¹، فإستراتيجية الإقناع إذن هي إستراتيجية تداولية تتعلق بالهدف أذن نفعي ، فتأثيرها التداولي أقوى على المرسل إليه.

إنّ هذه الإستراتيجية-إستراتيجية الإقناع - تحدث بالخطاب المتبادل بين المرسل و المرسل إليه فينتامي بذلك الخطاب و يأخذ بعدا تداوليّا عن طريق استعمال الحجاج هذا الأخير "

1-هنريس يليث: البلاغة و الأسلوبية ، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ترجمة و تقديم و تعليق محمد العمري ، دراسات (سال) ، الدار البيضاء، ط 1 ، 1989 ص 63-64.

شرط في ذلك ، لأنّ من شروط التداول اللغوي شرط الإقناعية " ¹؛ فالمرسل أثناء تبادل الكلام مع المرسل إليه يلجأ دوماً إلى استعمال أساليب إقناع متنوعة حتى يتمكن من التأثير في المخاطب أو المرسل إليه "فمطالبة المرسل لا تكتسي صبغة الإكراه ولا تدرج على منهج القمع ، و إنّما تتبع سبلا استدلالية متنوعة تجر الغير جزاً إلى الإقناع ...ف تكون إذ ذاك أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب ، و توجيه سلوكه كما يهبها هذا الامتناع من قوة في استحضار الأشياء، و نفوذ في إشهادها للمخاطب ، كأنه يراها رأي العين"²

و بذلك يتحقق القناع الذي " يعدّ مجال المبحث الحجاجي نظراً إلى كونه محدد المقام و المخاطب و للإطار القومي أما أهم وظيفة حجاجية في هذا المجال ، بعد الإعداد لقبول الأطروحة أو الفرضية فهي الدفع إلى العمل"³، فالحجاج إذن شرط أساسي لتحقيق إستراتيجية الإقناع ، و قبل أن تتطرق لتحديد آليات الحجاج أو الإقناع و تقنياته و ضوابطه و أصنافه علينا أن نعرّج قليلاً على بعض الدراسات السابقة أي القديمة ثم المعاصرة لهذه الإستراتيجية (إستراتيجية الإقناع) و ذلك لتحديد جذورها الأصيلة و كذا لتحديد ما توصل إليه العلماء في هذا المجال (قديمًا و حديثًا).

1-الدراسات السابقة في استراتيجيات الإقناع:

أ-الدراسات القديمة

يعدّ الجاحظ من الممثلين الأوائل للدراسات القديمة في هذا المجال ، إذ تناول هذه الاستراتيجية في كتابة(البيان والتبيين)، هذا الأخير الذي تحدث فيه عن صفات الخطيب الجسدية و الملكات الذهنية ، من حلاوة و فطنة و حذق ، بل تجاوز ذلك إلى الحديث حتى عن الصفات السلبية التي تؤثر في كلامه، كالعيوب النطقية مثلاً. كما تعرض للطول والقصر، التي تؤثر على هيئة الخطيب و هو يلقي خطابه ، وهذا ما نجده في حديثه عن دور العلامات السيميائية في الإقناع والإمتاع و ذلك عندما تعرض إلى الخط والإشارة والعقد والنسبة" فكان بذلك من المؤسسين لعلم العلامات في الثقافة العربية بل كان ممن وسّع دائرة

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 445-446.

2- طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي، ط2 ، 2000، ص 38،37.

3- محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند برلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر ، الكويت ، المجلد 28، العدد الثالث، يناير مارس2000، ص67، 68.

العلامة في الخطاب ... كما أنه لم يصل أهمية المكان بوصفه علامة خطابية ذات سلطة¹، فحدد بذلك الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الخطيب حتى يؤثر في مستمعيه و نجد ذلك في إيضاحه لمفهوم البلاغة و البيان فيقول: "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة ..."² ، فقد اجتمعت الصفات إذن مع المقام لتحقيق هدف الإقناع والمتاعوهذا ما نجده عند المتكلم و هو يحاول أن يقنع المستمع بخطاب ألقاه عليه.

إنّ الدراسات القديمة اعتمدت غالباً على خطاب المناظرة الذي ينتج لغاية الإقناع وفق سياق محدد و مقام معني و محدد ، و نجد ذلك مثلاً في ما يجعل المناظر أكثر تأدباً مع المرسل إليه و هذا ما ذكره الباجي في مقدمة منهاجه³ الذي يبين لنا من خلاله أنّ على المناظر أن يكون أكثر تأدباً مع مراعاة ما يتعلق بحق نفسه ، إذ لا يجوز له أن ينزل إلى مستوى يجعل المرسل إليه لا يأبه له و لا يهتم لمناظرته.

كما استعمل ابن خلدون الحجاج كوسيلة أو آلية للإقناع في أصول الفقه ، والمناظرات الفقهية و الجدلية فيقول: "إنّ معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم ... و لذلك قيل إنّه معرفة بالقواعد، من الحدود و الآداب ، في الاستدلال ، التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدفه..."⁴

كما لا ننسى أن ننوّه بكتاب الخطابة لأرسطو،⁵ هذا الأخير الذي قدّم من خلاله كتابة بؤرة الخطابة، إذ يعد الكتاب من الكتب القيّمة التي تناولت إستراتيجية الإقناع و أدواته و آلياته.

كانت هذه إطلالة وجيزة عن أهم الدراسات القديمة والتي اهتمت بإستراتيجية الإقناع و تبنّت أهميتها في إحداث التأثير والإمتاع و الإقناع باستعمال آلية الحجاج الذي يكون بين طرفي الخطاب لأجل الإقناع وتحقيق الهدف التداولي.

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 447، 448.

2- الجاحظ، البيان و التبيين ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الغانجي ، ط 5 ، 1405-ج1، ص93، 94.

3- أبو الوليد الباجي ، كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج ، تحقيق عبد المجيد التركي دار الغرب الاسلامي ، ط2، 1987، ص 8، 9، 10.

4- ابن خلدون ، المقدمة، تحقيق درويش جويدي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ط 2، 2000، ص 427، 429، 428.

5- أرسطو طاليس، الخطابة ، حققه و علّق عليه بدوي عبد الرحمن وكالة المطبوعات ، الكويت، 1979، ص 67، 68.

ب-الدراسات الحديثة المعاصرة:

لقد استفادت الدراسات الحديثة المعاصرة مما قدمه القدامى من نظريات و دراسات حول هذه الإستراتيجية ، فالدراسات المعاصرة ماهي إلا امتداد لها و تطبيق لنظرياتها ، وهذا ما نجده مثلا عند محمد العمري الذي "حاول تطبيق نظرية الإقناع عند أرسطو على نماذج خطابة القرن الهجري الأول متبعا تقسيم أرسطو الثلاثي لعناصر الخطابة ، وهي وسائل الإقناع أو البراهين ، والأسلوب أو البناء اللغوي ، وترتيب أجزاء القول...¹"؛فصنف بذلك الخطابة إلى أصناف متنوعة كالخطابة الدينية والسياسية ...كما تعرض إلى التعريف بقانون الموازنة بينمتناقضين ...كما نجد اهتماماته الأخرى ببلاغة أرسطوالإقناعية و هذا ما اهتم به النقاري حم أيضا وذلك في دراسته:²حول التقنين الأرسطي لطرق الإقناع و مسالكة مفهوم الموضوع ، فصاغ في دراسته السابقة كيفية بناء العملية الإقناعيةالحجاجية بناء منطقيا و توصيل إلى تحديد مفهوم الإقناع على أنه " عملية خطابية يتوخى بها الخطيب تسخير المخاطب لفعل أو ترك بتوجيه إلى اعتقاد قول يعتبره كل منهما أو يعتبره الخطيب شرطا كافيا و مقبولا للفعل أو الترك "³

وممن حاول التأصيل للحجاج في التراث العربي نجد طه عبد الرحمن ، هذا الأخير الذي انبنت دراسته على المزوجة بين القديم العربي و الحديث الغربي ، ونجد ذلك خاصة في كتابه (أصول الحوار و تجديد علم الكلام)؛⁴ هذا الأخير الذي حاول من خلاله أن يجد رابطا منطقيا لغويا لسبك نظريته التي ستأخذ بقوة المنطق و سلاسة اللغة.

كما لا ننسى كتاب (اللسان و الميزان)⁵، هذا الأخير الذي تحدّث فيه عن الخطاب والحجاج والحجاج ، فعرّفنا بأنواع الحجاج ، و أصنافه و آلياته ، و خاصة التسلم الحجاجي الذي يعدّه عمدة الحجاج⁶

1-عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 450.
2- النقاري حم ، حول التقنين الأرسطي لطرق الإقناع ومسالكه مفهوم الموضوع ، مجلة كلية الأدب و العلوم الإنسانية بفاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، العدد التاسع ، 1987، ص 114-115.
3- المرجع نفسه ، ص 89.
4- طه عبد الرحمن ، أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، مرجع سابق.
5- طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط1، 1998.
6- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ، ص 452، 453.

ومن المقالات التي تطرقت للإستراتيجية الإقناعية نجد) نحو مقارنة حجابه للاستعارة) لصاحبها أبو بكر العزاوي¹، إذ تطرق إلى السلم، الحجاجي مطبقاً إياه على الاستعارة فرأى " أن الاستعارة الحجاجية هي نوع أكثر انتشاراً لارتباطها بمقاصد المتكلمين سياقاتهم التخاطبية و التواصلية"²؛ كما لا ننسى أن نذكر ببعض القراءات الغربية و التي عرضها محمد سالم ولد الأمين و التي تتعلق بأعمال (بيرلمان وزميله)، فعرض لنا مفهوم البلاغة الحجاجية و كيف يمكن للمرسل إليه أو المستمع أن يتهيأ لاستقبال الخطاب و أثر كل ذلك على المرسل في صياغة خطابه .

وممن أسهم كذلك في درس الحجاج و آلياته و أصنافه و تقنياته .
حسان الباهي ، هذا الأخير الذي عقد باباً في الفرق بين الحجاج و البرهان و ذلك في كتابه المشهور (اللغة و المنطق بحث في المفارقات)³، فتوصل إلى نتيجة مفادها أن البرهان يتعلق بالاستدلال الصوري الذي يمثله المنطق أما الحجاج فمجاله الاستدلال الطبيعي .

كما تعرض بعض الباحثين إلى الخطاب الأشعاري ، الذي تجاوز الإعلان التجاري إلى التأثير في سلوك الناس و نجد ذلك في كتاب (الخطاب الإقناعي ، الإشهار ، أنموذجاً)⁴ لصاحبه محمد خلّاف ، حيث عرض لبعض التراكيب الخاصة بالأسلوب كما تطرق للمنطق بوصفه الإشهار عملية تخاطبية تتجسد عبر المنطق.

أما الدراسات الغربية للحجاج فنجدها في دراسة بركات و زميله في كتابيهما (البلاغة الجديدة : بحث في الحجاج)، إذ يعرف بركات الحجاج على " أنه يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها من آراء ، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان فأنجع الحجاج ما وفق فيجعل حدة الإذعان تقوي درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب أو أن يجعلهم يمسكون عنه ، أو هو ما وقف على الأقل في أن يجعل السامعين مهيبين لإنجاز ذلك العمل في اللحظة المناسبة"⁵، فنقطة ارتكاز البلاغة الجديدة هي العقل و الكلام بتقنياته الخطابية

1-أبو بكر العزاوي، نحو مقارنة حجاجية للاستعارة ، مجلة المناظرة ، المغرب السنة الثانية، ع4، شوال 1411-1991، ص 78، 84، 85

2-المرجع نفسه، ص 83.

3-حسان الباهي ، اللغة و المنطق بحث في المفارقات ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط3، 2000، ص 138، 141، 142.

4-محمد خلّاف ، الخطاب الإقناعي ، الإشهار ، نموذجا ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية بفاس ، العدد التاسع، 1987، ص 72، 73.

5-Michel .Meyer , histoire de la rhétorique .des Grecs. A nos jours 1999, p 59,60.

الخطابية " فبلاغة بيرلمان (البلاغة الجديدة) تعتمد حجة اللوغوس* Logos بالمعنى المزدوج الذي لكلمة logos اليونانية : العقل و الكلام "la raison, la parole"¹، وهذا ما جعل ديكرود الذي عوّل هذا الآخر على الكلام وحده أن يلتحق ببيرلمان على الرغم من اختلاف وجهاتهما ، فحجاج بيرلمان حجاج عادي Argumentation ordinaire، أما حجاج ديكرود فهو حجاج تقني Argumentation technique فعند بيرلمان يتحدّد الملفوظ الحجاجي بقدرته على توجيه الأذهان إلى الإذعان ، أما عند ديكرود فإنّه لما كان كلّ كلام حجاجيا بطبعه فإنّ الكلام وظيفته الجوهرية أن يوجه لا أن يدلّ²؛ فاستراتيجية الإقناع إذن تساهم في تحقيق الهدف الخطابي و لكنها لم تجد ما يكفيها من الاهتمام في ثقافتنا العربية و ذلك بعد الجاحظ، فتوجهت بذلك الدراسات البلاغية إلى مناهج شكلية بحثية و هذا " ما جعلنا ننسى جانبها التداولي المرتبط بنظرية الإقناع المعبر عنها بالمحاجة و المخاصمة ، و المجادلة و المنازعة...و المناظرة...."³، و حتى تتعرف لدى المرسل إليه لأبد من الوقوف عند أدوات الإقناع و آلياته والتي من شأنها أن تساعد على تحقيق الهدف الخطابي الإقناعي الحجاجي لدى المرسل إليه.

د -آليات الإقناع:

للإقناع آليتان أحدهما غير لغوية تتمثل خاصة في الإشارات الجسدية و هيئات المرسل و هو يلقي خطابه و هي آليات مادية ، في حين تتمثل الآلية الثانية ممارسة الخطاب و يكون ذلك باستعمال اللغة الطبيعية ، كما لا ننسى دور العلامات السيميائية في الإقناع ذلك لكونها عنصرا مهما من عناصر الحجاج ، سواء التي تسبق التلفظ بالخطاب مثل هيئة المرسل، أو تلك التي يسعى المرسل إلى رسمها بحركة أعضائه أو أي وسائل أخرى ..⁴، و نجد ذلك خاصة في استعمال بعض الحركات الجسدية كتحريك اليدين أو الرأس وذلك لأجل إقناع المرسل إليه إضافة إلى نبرات الصوت التي تساهم هي الأخرى في إقناع المرسل إليه و التأثير فيه" فحركات الخطيب و نبرته و تموجاته الصوتية هي عناصر محض خطابية لكن ماذا عن الأوجه البيانية التي عادة ما تحصر البلاغة فيها وحدها؟ إنّ الاستعارة و

1- نجد هذه العبارة في خطبة المشاجرية التي غايتها بيان العدل و الظلم فتناسبها حجة اللوغوس أي الكلام نفسه ، أنظر د. حافظ اسماعيل علوي الحجاج عالم الكتب الحديث ، الجزء الأول ، ط1، الأردن 2010، ص 30. discours judiciaire

2- المرجع نفسه، ص 32.

3- رولان بارت، قراءة جديدة لبلاغة القديمة ، ترجمة عمر أوكان ، إفريقيا الشرق ، 1994 ، ط 4، ص 4، 6، 5.

4- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجية الخطاب ، ص 456.

المبالغة و الطباق هي وسائل بلاغية من حيث إنها تساهم في الإقناع و التأثير ، و لكنها أيضا حجاجية من حيث إنها تعبر عن حجج بطريقة مركزة مع جعلها أكثر تأثيرا وإصابة¹ و ما سنركز عنه في دراستنا هذه هو آلية الحجاج لكونها الطريقة الأبرز في الإقناع ، فعن طريقها تتجسد الإستراتيجية الإقناعية ، و هذا ما أكده لنا طه عبد الرحمن كما قال : "الحجاج كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"²، و قبل التعرض لهذه الآلية بأصنافها و تقنياتها علينا أن نعطي تعريفات وجيزة أو إطلالة عن مفهوم هذه الآلية عند العرب و عند المحدثين الغربيين ، و تبين مدى تأثيرها على الخطاب المسرحي خاصة بوصفه مجال دراستنا.

1- الحجاج

إنّ الحجاج وسيلة من وسائل الإقناع أو آلية من آلياته اللغوية و التي نهدف من ورائها إلى التأثير أي عندما نتكلم نقصد من وراء كلامنا التأثير في المرسل إليه أو الخاطب أو المستمع فيكون الحجاج بذلك " تقديم الحجج و الأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة ، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال ، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي نستنتج منها "³، وهذا ما يبين لنا أن نظرية الحجاج في اللغة قد انبثقت من داخل نظرية للأفعال اللغوية ، هذه الأخيرة التي وضع أسسها أوستين وسورل، وقبل التطرق لأصنافها و تقنياتها علينا أن نبين مدى اقترابها أو تعارضها مع البلاغة ، فمنذ السكاكي تقريبا نجد التعارض البين بين مفهوم البلاغة و طريقة التناول بالدرس للمعاني و البيان و البديع ، وهذا ما جعل مفهوم البلاغة يبتعد في جانبه التطبيقي عن مفهوم الحجاج "البلاغة في اللغة الوصول والانتهاى ومبلغ الشيء منتهاه... و بلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال أي حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه..."⁴؛ فيتكون الكلام وفق ما يقتضيه المقام ، فلكل مقام مقال " فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها... فحسن

1- أوليفي ريبول (طبيعة البلاغة ووظيفتها)، ترجمة الغروس المبارك، مجلة نوافذ النادي الأدبي بجدة، العدد 16، 1422هـ، يونيو، 2001، ص 74-75.

2- طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 225، 226.

3- د.حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه و مجالاته ، دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة ، ص 57. عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ط3، 1431/2010

4- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ، ص 31، 33.

الكلام تأليفه مطابقا لذلك...¹؛ فمعيار إخراج الكلام في صورة مخصوصة يكون بمطابقته للمقام و كان ذلك بتطبيق قانون الأنفع في الخطاب² Loi de l'utilite، إذ بتطبيقه نفهم ما يقال لنا و نحسب Calculons...فقانون النافع يترجمه متأول الملفوظ إلى سؤال من قبيل: لماذا قال المتكلم ما قال؟ وسيستعين في تحصيل الجواب بالمقام؛ هذه الطريقة التي تبين أبواب البلاغة البيان و المعاني والبديع ، لقد اكتفت البلاغة العربية بتقسيمها التقليدي المعروف علم البيان وعلم المعاني وعلم البديع من غير الغوص في دراسة آليات التي تحقق الإقناع و تبين حجة المتكلم في إيصال المعلومة إلى السامع ، وهذا ما جعلها تبتعد عن الحجاج من الناحية التطبيقية و لكنها تقترب منه من حيث التعاريف النظرية.

إنّ الدرس البلاغي العربي معياري وصفي في أغلب الأحيان بعيد عن التعليمية التواصلية والتي تأخذ في اعتبارها المقام والتفاعل بين طرفي الخطاب .

ومن مجالات تطبيق الأنفع حجاجيا على البلاغة العربية نجد مشاكلة اللفظ للمعنى مثلا كأن تختار عبارات أو ألفاظ رقيقة ولينة في المدح والغزل والجزلة الشديدة للفخروهو ما نجده عند الزركشي مثلا في أن تعدل عن ذكر لفظ و تذكر غيره لمعنى لطيف ، هذا ما نجده مثلا في قوله تعالى(إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب)³، فقد حدث عدول هنا فاستعملت كلمة تراب بدل الطين " فإنّما عدل عن الطين الذي هو مجموع الماء والتراب إلى ذكر مجرد التراب لمعنى لطيف و ذلك أنّه أولى العنصرين و أكتفهما"⁴

كما تتوفر الاستعارة والكناية والتشبيه على عدول يمثل درجة أعلى في الإقناع فعند الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي تحدث فعالية حجاجية تمثل درجة أعلى في الإقناع والتأثير كما لا ننسى شكل الفصل و الوصل الحجاجيين و دورهما في محاولة تطبيق مبدأ الأنفع في الكلام.

إنّ الحجة يتم تقديمها عادة لتؤدي نتيجة معينة فلو تلفظنا بجملة : عليك أن تتناول أدويةك لتشفى أو لتتعافى ، أو أنا مرهق، إذ علي أن أخلد للنوم...فالجملتان السابقتان تتكونان من حجج و نتائج، فالتعافي في الجملة الأولى يستدعي شرب الدواء، و الإرهاق في الجملة الثانية يستدعي الخلود للنوم ، فالمتكلم هنا يقنع المستمع أو المرسل إليه بضرورة تناول

1- أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، مصدر سابق ، ص 169 ، 170.

2- O.Ducrot, te dire et le dit , ed , edminit 1984, p 65.

3- سورة آل عمران آية، 59.

4- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ج 3 ، ص 378.

الدواء و بضرورة الخلود للنوم، فهو يقدم حجبا و أدلة لصالح ما يترتب عليه من نتائج مقصودة.

هـ-ضوابط التداول الحجاجي

يجب أن يلتزم المتكلم أو المخاطب بجملة من الضوابط أثناء استعمال تقنية أو آلية الحجاج ، وذلك حتى يتحقق الهدف التداولي و الحجاجي و بذلك تحقيق الإقناع في المرسل إليه أو الخاطب أو المستمع ، كاحترام المتكلم لجملة من المسلمات كالثوابت الدينية و العرفية فليس كل شيء قابلا للنقاش أو الحجاج¹؛ إذ لا يجوز التكلم مثلا أن يناقش أو يحاجج المستمع في أمر كالصلاة أو الزكاة ...، كما أنه لا يجوز للمتكلم أو المرسل أن يناقض نفسه بقول أو بفعل معين ، كأن يخبر المرسل إليه على أنه شخصية مرموقة تنتمي إلى هيئة سياسية ذات نفوذ قوي ، و يدعي ذلك باستعمال حجج واهية ، قد تؤدي إلى الإساءة للمرسل إليه. يجب أن يكون حجاج المتكلم منطقيا أي " وفق ما يقتضيه و يقبله العقل وإلا بدا زيف الخطاب ووهن الحجة"²؛ فكل ما هو منطقي و يقبله العقل يجوز فيه المناقشة و الحجاج و محاولة الإقناع ، وما عدا ذلك فهو زيف و لا مجال للحجاج فيه.

يجب أن تتوفر معارف مشتركة بين طرفي الخطاب، وذلك متى يلقي الخطاب صدى و قبولا في نفس المرسل إليه كي يستعد لحجاج المرسل أو لمناقشته بغية تحقيق هدف الإقناع و التأثير مع مناسبة الخطاب الحجاجي للسياق العام أي تحقيق التناسب بين الحجة و السياق في جو واضح بعيد عن الغموض و المغالطة و الإبهام مع استهلاك المتكلم أو الباث أو المرسل بثقافة واسعة تمكنه من بناء خطابه بناء واضحا قابلا للمناقشة و الحجاج.

1-أصناف الحجاج:

1-1-الحجاج التوجيهي:

إنّ الحجاج التوجيهي حجاج يخص المرسل فقط الذي يكتفي بتكوين حججه بهدف تنظيم خطاب، و لا يهمله المرسل إليه، فيكتفي فقط بإرسال و إيصال الحجج " إذ ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقاؤه لها و لا ينشغل بنفس المقدار يتلقى الخطاب لها و رد فعله عليها...فهو يولي أقصى عنايته إلى قصوده و أفعاله..."³؛ فتكون بذلك الأفعال خاصة

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 465.

2-المرجع نفسه ، ص 465، 466.

3-طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص 226، 227.

بالمرسلفقط، و نجد ذلك في حديث أبي حيان التوحيدي للوزير ابن سعدان و هو يروي كلاما لابن المقفع إذ قال أي الأمم أعقل؟ فظننا أنه يريد الفرس، فقلنا فارس أعقل الأمم... فقال كلا ليس لها و لا فيها هم قوم علموا فتعلموا... فقلنا الروم ، فقال ليس ذلك عندها ... قلنا الصين قال :أصحاب أثاث و صنعة... قلنا: فالترك قال " سباع للهراش. قلنا : فالهند :قال: أصحاب وهم و خرقة : ..فالزنج قال: بهائم هاملة، فرددنا الأمر إليه قال: العرب...إنّ العرب ليس لها أول تؤمه ولا كتاب يدلّها، أهل بلد فقر ووحشة...وعلموا أن معاشهم من نبات الأرض فوسموا كلّ شيء بسمة، و نسبوه إلجنسه و عرفوا مصلحة ذلك في رطبه و يابسه و أوقاته و أزمنته...ثمّ نظروا إلى الزمان و اختلافه فجعلوه ربيعيا و صيفيا و خريفيا و شتويا ، ثم علموا أن شربهم من السماء ، فوضعوا لذلك الأنواء ، و عرفوا تغيير الزمان و جعلوا له منازل من السنة ، ...حتّى أن الرجل منهم و هو في فج من الأرض يصف المكارم ، فما يبقى من نعتها شيء...ليس لهم كلام إلا و هم يحاضون به على اصطناع المعروف ، ثمّ حفظ الجار وبذل المال و ابتناء المحامد...فلذلك قلت لكم: أنهم أعقل الأمم ، لصحة الفطرة و اعتدال البنية و صواب الفكرة و ذكاء الفهم..."¹؛ فلكي يقنع ابن المقفع من سأل أكثر من الحجج التي يصنف فيها العرب معتمدا على جمل تربطها حروف عطف وبتسلسل ساعد على الإقناع حيث استعمل حروف العطف " بوصفها روابط حاججية ، فعرف كيف يستعمل ثم في موضعها ، وكذلك (الفاء والواو)كلّ منهما في موضعه المناسب الذي يؤدي إلى بناء خطابه بناء حاججيا ..."²؛ فجاء ترتيب الحجج ترتيبا ساعد على تقوية الحجة في كلّ مرة و هو يقنع سامعيه بمآثر العرب و صفاتهم الحسنة، فكانت كلّ حجة سابقة تقوي حجة لاحقة .

ومن هذا الحجاج نجد قول عرفية و هي توجه خطابها إلى البؤساء الذين تريد إقناعهم بأنهم في زمن مليء بالبؤس و الحرمان ، زمن سقط فيه الرجال و انسحقوا ، لكثرة ما عانوه فهم على اجتماع دائم بعرفية و لكنهم يجهلون لما يدور حولهم فقالت لهم:³

عرفية: " تهز كتفيها و لما لا ؟ لما لا أعيد كل الأشياء التي سبق أن حكيتها ؟ لأنني لكثرة ما حكيتها صرت أعرف كيف وقعت، ولكثرة ما حكيتها، لم أعد في حاجة لأتذكرها ، لأنها كلها

1 - أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و الموانسة ، صححه و ضبطه و شرحه غريبه أحمد أمين و أحمد الزين ، دار مكتبة الحياة ، لبنان د، ت ص 69، 73.

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 466، 467.

3 -محمد ديب ، ألف مرعى لمتسولة، الترنيمة الأولى، ص 11، 12.

هنا تضع يدها على صدرها و كما في اللحظة التي وقعت فيها كان زمن يسقط فيه الرجال كالجدران في شهر أوت ، دائما هذا الزمن و كأن الأرض تريد أخذ ملكيتها و كان ذلك يبدو عدلا...جدار نعم جدار من حجر، من جليد ، كنا نتوقع أن تتفجر فينا و كان على العكس...نعم انسحقتم في الفراغ، لا أرجل ، ولا أيدي، و لأضلع، ولا أقدام...¹ " فعرفية هنا كمتكلمة أو مرسلّة توجه خطابها المليء بالحجج لأجل إقناع من حولها من بؤساء، هذه الحجج التي يربط فيما بينها حروف عطف، كما أن كل حجة تدعم حجة لاحقة، كي تثبت و تؤكد و تقنع من حولها بحقيقة البؤس المحيط بها .

و ها هي عرفية من جديد تحاول إقناع بابا ناغ من خلال حجج تثبت له (فيها)من خلالها على أن التضحية و الصراع من أجل البقاء هو الكفيل لأجل الدفاع عن الثورة: عرفية: " بؤس البؤس، أنا التي كنت أقول لرجالي من يمكنه إنقاذ بلدتهم ليبقوا أحياء، لكن ليس هذا ما ينفع، بل ما ينفع هو التضحية، التصارع، الدفاع عن الثورة.. نعم قلت لهم هذا و كنت أعرف من سيقى حيا ومن سيموت، و كانوا يتظاهرون بعدم التفكير ، ويمرحون مع بعضهم البعض ..أترى هناك أمامك، أنا لست إلا عائدة من هناك، أنا كذلك لست من الأحياء تمامًا ، ولكنني روح صعدت من الأموات يوم إن عدت من المعركة ، ورجعت إلى القرية ..لقد بعثت إلى الحياة...إنها جريمة أن تحيا يا بابا ناغ في الوقت الذي يعتقد الجميع أنك ميت...¹؛ فعرفية هنا تريد إقناع بابا ناغ بأنّ الأرواح الصاعدة من منزل الأموات والعائدة من المعركة تحاول إنقاذ الأحياء على عكس بابا ناغ الذي ترى فيه عرفية الموت فقط فعلى حدّ قولها ، جريمة أن يحيا حتى باقتراب ساعته.

وها هو بابا ناغ بدوره يحاول إقناع عرفية، بعدما و صفته بالمجنون، و أنه يغمغم فقط. بابا ناغ: "...لقد خرجت من ليلة كهذه، إنّه تفوقي عندما لم يكن الأب سوى الفحل.لم أر أبي عن قرب أبدا، أو ما يسمى بالأب، أنا ابن أمي ، لم أكن سوى هذا...أنت كذلك ليس أب ..لا تصدقني من يوم دخول الفرنسي إلى بلدنا لم يكن لأحد منا أب حقيقي، فقد أخذ هو مكانه ، و كان هو السيد ...و هذا الوطن لن يكون إلّا وطننا للهجناء²

فقد أراد بابا ناغ إقناع عرفية بعدم وجود أب حقيقي لوطن دخله الفرنسي فسلب كل الآباء و ترك الأمهاتّ ؛ فالرجل الفحل أو الأب الفحل أقلّ نجمة بدخول الفرنسي إلى بلدنا.

1-محمد ديب، ألف مرحى لمتسولة ، الترنيمة الثانية ، ص 36، 37.

2-المصدر نفسه ، الترنيمة الرابعة ، ص 55.

وحتى يقنع مراد ، سفيان و أحمد ، بضرورة التعجيل بزواج سلمى من الرجل الذي تقدم لها ، حتى لا يكشف العيب الموجود فيها ، قدم حججًا كثيرة لإقناعهما و الحوار الآتي¹ يوضح لنا ذلك:

أحمد: "...وإنما شكي ينحصر في أن هذا الزواج لن يتم بسبب الفرق الواضح بينه و بين سلمى في الدين "

سفيان : " من هذه الناحية لا أشك مادام لم يؤكد على تدين زوجته لكن ما أخشاه هو غموض هذا الزواج و استعجاله في الزواج و لم يمكننا من معرفته قدر الكفاية ."

مراد: " و إنّي أرى العجلة فيه ضرورية و دعوته حالا واجبة علينا لكي لا ينفذ صبره من الانتظار يؤدي به إلى الرجوع عن طلب يد سلمى، والأكبر من هذا أخشى من سعي الوشاة في وصف سلمى له بأقبح الصفات فيرفضها فقير مقطوع من شجرة و هنالك لا تلمن إلا نفسها في بقاء ابنتها بغير زوج...ولن يتحقق سفيان إلا من أنه مفقود الأهل أو له أهل وأخفاهم عتًا من أجل إعادة الزواج حسب شكّه. غير أنني مستعد على أن أضمن للجميع بطلان هذا الشك بأن أقصد معه مصلحة عقود الزواج وأتأكد يقينا من أنه أعزب حقًا قبل أن أقوده إلى هنا لعقد القران على سلمى..."، فخطاب مراد مليء بالحجج لإقناع كل من أحمد و سفيان بأنّ خاطب سلمى سيأتي لعقد القران ؛ في أسرع وقت، فقدم حججا كي يسرع ويقنع سفيان و أحمد بضرورة العجلة كي لا يصرف الخاطب نظره عنها.

1-2-الحجاج التقويمي:

إنّ الحجاج التقويمي على عكس الحجاج التوجيهي الذي يكون فيه المرسل مكتفيا بقصده فقط أثناء تكوين حججه" إذ أن الحجاج التقويمي يكون فيه المرسل مجردًا نفسه ذاتًا ثانية ينزلها منزلة المعارض على دعواه فيها .

هناك يكتفي المستدل بالنظري فعل التلقي...فبيني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به...فإن المستدل يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه و بين نفسه ، مراعيًا فيه كل مستلزمات التخاطبية من قيود تواصلية و حدود تعاملية ، حتى كأنه عين المستدل له في الاعتراض على نفسه²، فيعول بذلك المرسل على سعة معرفته بالموضوع و ذلك حتى يكون خطابه الحجاجي فينجر بذلك المرسل مقولات من قبيل : قال

1-ك ل ابن آدم الصماء ، الفصل الثاني ، المشهد الأول ، ص 50.

2- طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص 227، 228.

.. فقلت.. إن قلت قلنا....كيف لا يكون كذلك معانته كذا و كذا...¹، فتكون بذلك أقوال المرسل مبنية على اعتراضات مفترضة من المرسل إليه حيث يورد حججا يسند بها اعتراضه، فيدحضها المرسل.

قد يكون الحجاج التقويمي أيضا بالإشارة " وذلك بالتلميح إلى مرسل معين بالأداة الإشارية مثل : من يقول كذا ، من يدعي كذا... " ²، فيحاجج بذلك المتكلم المستمع حججا واقعية وفق سياق ممكن ، ليتوقع نتائج معينة ثانية من قبل المستمع ، و المرسل إليه" كما يستعمل فعل الأمر لمخاطبة المرسل إليه و كأنه حاضر أمامه و ذلك من قبيل (و اعلم أن)، أو نهى مثل(ولا يغرب عن بالك)لدحض أي حجاج لا ينتسب إلى مرسل معين ، و لكنه حجاج متوقع ...³، و يكون ذلك بحسن اختيار الحجج و توظيفها توظيفا واقعيا و ذلك بمساعدة الخلفية المعرفية للمتكلم و التي تكون وفق سياق معين و عناصر واضحة تمكنه من إقامة حجاجه التقويمي ، كالحوار الآتي⁴ الذي دار بين عرفية و نميش فكان كل خطاب أو سؤال يستدعي سؤال آخر يدعمه و يوضحه ، و ذلك لأجل تحقيق الإقناع :

عرفية: " في النهار عليكم الاختفاء مفهوم ..الاختفاء.."

نميش : " و إذا لم ننجح؟ "

عرفية: " ماذا؟إذا لم تتجحا؟"

نميش: "أ لم تعد الجماعة هناك؟و إذا لم نجد أحدا ؟ أين نلتقي؟"

عرفية: " عليكم أن تتواجدا في.. أتعرف أين؟"

نميش: " أين ؟.."، فكل خطاب من المرسل مبني على اعتراض مفترض من المرسل إليه ، فيحاول دائما المرسل أن يدحض حججا مرسله من طرف المرسل إليه ، فالمرسل هنا مكتفي بقصده فقط و معوّل على سعة معرفته حتى يحقق حجاجه التقويمي كما نجد الحجاج التقويمي من خلال التلميح إلى مرسل معين في قول أو تساؤل نميش عن صاحب النصيحة .

نميش: " المهم أن لا تكون الثواني التي ترحها هي التي تهلكنا"

1-طه عبد الرحمن ، المرجع السابق، ص 303، 304.

2-عبد الوهاب بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ، ص 473، 474.

3-المرجع نفسه ، ص 474، 475.

4-محمد ديب ، ألف مرجى لمتسولة ، الترنيمة الأولى، ص 23.

باسل: " من يتحدث عن الهلاك ؟"¹؛ فباسل هنا لمّح أو أشار باستعمال من يتحدث...حتّيحاجج المستمع حجاجًا واقعيًا ووفق سياق ممكن حتّى يتوقع النتائج التي ستأتيه من قبل المرسل إليه أو المستمع

وفي الحوار الآتي حجاج تقويمي مبني على اعتراضات مفترضة من المرسل إليه .²
عرفية: " إذن هكذا دفنتها؟"
وسيم : " دفنا من؟"

عرفية: " كلّ الناس الذين على شاكلتيكما "
وسيم : " ومن على شاكلتنا ؟ كلّ من على شاكلتنا؟"
عرفية: " بالضبط هذا ما أردت قوله "
بابا ناغ: " محركا رأسه : ناس على شاكلتنا؟"

ومن نفس النمط نجد الحوار الآتي الذي دار بين المجنون والملك ، و المبني على اعترافات مفترضة من المرسل إليه يحاول المرسل في كلّ مرة دحضها بحجج يحاول إقناع الملك على أن المجانين أحيانًا أذكى من العقلاء ، فيجعل بذلك المجنون الملك يعترف له بالذكاء و الفطنة التي يملكها الأصحاء ، فقد أقنع المجنون الملك من خلال حجج و براهين أثبتت صحة عقله و صحة ما توصل إليه من نتائج و هذا ماسنبيهمن خلال الحوار الآتي³ :

الشاب المجنون للملك: " لقد سألتني عن أشياء عديدة، و أجبتك، و أنا بدوري أيها الملك سأوجه لك سؤالًا واحدًا إن سمحت لي "

الملك: " ما هو سؤالك ؟"

المجنون: " متى يتذوق النائم لذة النوم ؟"

الملك: " يتذوقه حين ينام "

المجنون: " إنّه حين ينام يفقد العاطفة والإحساس "

الملك: " قبل أن ينام "

المجنون : " كيف يشعر باللذة قبل أن يأخذ النوم ؟"

الملك: " بعد أن ينام "

1-محمد ديب، المصدر السابق، الترنيمة الأولى، ص 30.

2-المصدر نفسه ، الترنيمة الثانية، ص 30.

3- محمد ديب ، ألف مرحى بمتسولة ، الترنيمة الرابعة ، ص 64.

المجنون: " هل تتذوق اللذة بعد أن تموت؟يبقى الملك صامتا أيها الملك إتك لم تجب ..تري من منا يوجد خلف هذا الشباك يقدم بحركة دائرية من يديه و من منا أمامه من هو النائم؟ ومن هو اليقظ؟من العاقل ومن المجنون؟"

الملك: " عقلاء ليس لديهم ما لديك من الذكاء إتك تستحق أكثر من أي أحد تستحق أكثر من أي أحد أن تكون نديمي..".

ومن الحجاج التقويمي ما يكون من قبيل قال، فقلت، قلنا...ومن قبيل الاعترافات المفترضة من طرف المرسل إليه .

كالحوار الآتي¹:

الرجل الأول:"لا شيء عنده"

الرجل الثاني:"يبدو لي بأنه يموتلقد ضربناه بقساوة"

الرجل الأول : " أعتقد ، إنه مازال يتنفس "

الرجل الثاني ضاحكًا: " كيف عرفت بأنه يتنفس "

الرجل الأول:"سمعتهيتنفس ...قلت لك..وقد تحرك كذلك...."

الرجل الثاني : " وأنا أقول لك بأنه ماتلنهرب من هنا..."

فالمتكلم وسعة معرفته بالموضوع يلح دائما على رأيه وقصد محاولا دحض الحجج و البراهين .

و منه نجد أيضا:²

الشيخ إبراهيم : " يا الشيخ المحفوظ أنا أنقولك الصبح..الصبح.."

الشيخ المحفوظ: " يقاطع، خليني أنقولك أنا خيريقترب الشيخ إبراهيم و يحاول أن يقنعه :خطيك منهم خذ رأيي ما عندك ما الداك ليهم ...واتوله بنفسك و راس مالك برك...خاطر الطيرة هذه ما تجي غير في راسهم... أنا اللي انقولك...؛فالشيخ المحفوظ و سعة معرفته بناس الحومة و ظروفهم ومن خلال معايشته الطويلة له ،يعرف خباياهم وما يجول بأفكارهم الخفية ،فحاول اقناع الشيخ ابراهيم لغرض الإبتعاد عن التفكير في مشاكلهم أمورهم التي لا يوجد لها حلّ.

1- محمد ديب، المصدر السابق ، الترنيمة الخامسة ، ص73، 74
2- مسرحية ناس الحومة ، الفصل الثاني ، اللوحة الأولى ، ص117.

و- تقنيات الحجاج:

يتوجب على المرسل اختيار حججه و بنائها بما يتناسب والسياق ، ويكون ذلك بتقنيات مخصوصة لذلك ، ويكون ذلك باستعمال أو توظيف أدوات لغوية كالتعلييل والأفعال اللغوية، والتركييب الشرطي، والحجاج بالتبادل ، كما قد تكون التقنيات باستعمال الآليات البلاغية كالاستعارة والبديع والتشبيه .إضافة إلى السلم الحجاجي ، هذا الأخير الذي يعد من الآليات شبه المنطقية، ويكون تطبيقه باستعمال آليات لغوية كالروابط الحجاجية مثل لكن، حتى، فضلا عن أدوات التوكيد...

1-لأدوات اللغوية:

يعد التعلييل بألفاظه المتعددة من الأدوات اللغوية التي يستعين بها المتكلم أو المرسل أو الباث لأجل تركيب خطابه الحجاجي ، " وتعدّ (لأنّ) من ألفاظ التعلييل الهامة والتي تستعمل لتبرير الفعل ، كما تستعمل لتبرير عدمه ...إذ يستعمل هذا الرابط السببي في الإثبات والتّفي ومن ذلك استعمال كي الناصبة للفعل المضارع ...و مثلها اللام سواء أكانت لام كي، أم لام التعلييل..."¹؛ فمن ألفاظ التعلييل إذن لأنّ إذ تعدّ من أهم ألفاظه، تستعمل لتبرير الفعل ومنه نجد الخطاب الآتي :

الكاتب : "...و لكن إلى متى أظل أتقبل انتقاداتكم الفارغة...إنهم يسارعون إلى دفن المبدع حيّ قبل أن بزغ فجر شهرته..."

الناقد الصحفي : مشجعا : " لأنّ هذا يشبعك و يحفزك على المزيد من الإبداع و العطاء"²؛ فالناقد الصحفي هنا برّر للكاتب سبب الانتقادات التي كانت توجه له، و يؤكد له أنها تعدّ تشجيعا و تحفيزا له لمواصلة عطائه الفكري ومنه نجد أيضا الحوار الآتي³

الصديق: " و كيف تقول كلامًا كهذا ؟ وأنت تتفنن في قتل شخصياتك المسكينة..."

الكاتب بكل برودة : " لأنه كان يجب أن تموت ، هذا كلّ ما في الأمر ..."، فالكاتب هنا يؤكد ويبّرر للصديق سبب التفنن في قتل الشخصيات ، كما أنّه أوجب ذلك و بكل برودة

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 478، 479.

2-انتحار كاتب ، المشهد الثالث، ص 119.

3- المصدر نفسه ، ص 120.

أعصاب ، وها هو الكاتب من جديد يبّرر سبب غرابته طباعه و تصرفاته للمرأة الشبح التي ظهرت¹ :

شبح المرأة بسخرية: " لم أر في حياتي كلها إنسانًا مثلك أنت غريب جدًا في تصرفاتك...".
الكاتب: " تأكدي جيّدًا أنك لن ترين و لن تجدي أحدًا في العالم يشبهني لأتني فريد من نوعي..."; فالكاتب هنا يرى أنّه فريد من نوعه من خلال كتاباته التي يرى أنها عبقرية و لن يضاهيه و يجابهه أحد ، فهو متأكد من نفسه و لهذا برّر سبب غرابته بأنّه فريد من نوعه.
وها هي حسناء تثبت و تقرر أن تلجأ للتحاليل حتّى تحلّ معضلتها حتّى و إن رفض زوجها ذلك لأنه متشائم و لا يرى نتيجة مجدية من هذه التحاليل والحوار الآتي² يبين لنا سبب قرار حسناء و تبريرها بما ستقوم به:

حسناء: " و إن لم يتخل عن الرفض تشاؤمًا أتخل عنه متفائلة بقرب الفرج لي و لكم سهيل: " لن أوافقك على هذا الموقف و إنّنا على موقف معرفة النتيجة بالطب يجده عقبة معضلة معك تحل بالتحاليل فيقررها".

حسناء: " وإن لم يقرّر لأتني ضقت ذرعا بآرائه المتشائمة التي صورت لي الوجود شرا..."; فحسناء تبرّر سبب قرارها في اللجوء للتحاليل و ذلك لأنها ضاقت ذرعا بآراء زوجها المتشائمة فرأت أن قرب الفرج سيأتي من وراء إجراء هذه التحاليل.
ومن الأدوات اللغوية نجد (كي) سواء أكانت متصلة باللام أو ناصبة للفعل المضارع و هي كذلك للتبرير ومنه نجد³:

سيد رماد : "الحيوانات لا تعاقب ، و أنا أقتل لكي أعاقب ..يقترّب من العبد لكي يضربه بالسوط الذي بيده ..."; فالتبرير هنا جاء مع لكي + أعاتب ومع لكي + يضربه فجاءت ناصبة للفعل المضارع ، (سبب القتل) فسيد رماد هنا يبّرر فعل العقاب بالقتل ، و الشيء نفسه مع الخطاب التالي⁴ :

"...غضب العفريت مجددا فأمر الجان بقتل الفارس، فضحى الوهاج بروحه و قدم العقد السحري للفارس لكي لا ينال منه الجان..."، فالوهاج ضحّى بنفسه و قدم العقد للفارس حتى لا ينال منه الجان.

1-انتحار كاتب، المصدر السابق ، المشهد الرابع ، ص 123.

2-ك.ل،ابن آدم ، الوهم ، الفصل الأول ، المشهد الأول، ص 18.

3- نور جاي علاش ، فجر و أفول ، الفصل الأول ، المشهد الثاني، ص 148.

4-المصدر نفسه، الفصل الثاني ، المشهد الثالث، ص 176.

ومنه نجد أيضا¹:

حطام: " ... هذا الكتاب هو كنز الأولين ، أليس كذلك ؟".

الغريب: " بلى يا حطام لقد اختارتك السماء لكي تراه" .. فالغريب هنا يبزر لحطام و يقدم له سبب اختيار السماء له و هو أن يرى هذا الكتاب الذي هو كنز الأولين فاستعملت هنا لكي تراه.

وها هو الغريب يبزر لرماد سبب استعانتته بالسيف و القوة قائلًا²:

الغريب: " ... لقد فشلت الدعوة حان الأوان لكي أستعين وبالسيف"

ومن نماذج استعمال لكي +الفعل المضارع نجد³

الغريب: " لقد كلفني عشرة أضعاف هذا السعر" و يقصد بذلك العبد الذي اشتراه و يود بيعه من جديد .

شديد: " الغريب حامي العبيد يبيع صاحبه ؟ يشتري عبداً لعتقه ثم يشهر سيفاً لكي يسترجع ماله ؟"، فسبب إشهار السيف في الوجه هو الرغبة في استرجاع المال لأنه ندم و يود استرجاع المال لأنه ندم و يود استرجاع ماله من جديد .

وها هو زئير يخاطب الغريب و يبين له السبب الذي جعله يختار الخطة لدخول الأعداء قائلًا⁴:

زئير: " فهمت خطتك الآن حطام سيكون مفاتحك مفتاح تفتح به الأبواب لكي يدخله الذئاب إلى المدينة فهمت كل شيء...".

كما قد يستعمل الرابط كي أو لكي أو لأن في النفي و نجد ذلك في⁵:

زئير: " ... إنني أرى شراسة الفوارس في عينيك ... هيا اقتلني "

الغريب: " أنا لست مجرماً لكي أقتل " ، فزئير يرى في الغريب الجرم و العدوانية و لكن هذا الأخير نفى ذلك بقوله (لست مجرماً) و أكمل خطابه ب(لكي أقتل)؛ فالصيغة هنا ليست للإثبات و إنما جاءت للنفي.

1-نور جاي علاش ، المصدر السابق ، الفصل الثاني ، المشهد السادس ، ص 187.

2- نور جاي علاش ، المصدر السابق الفصل الثاني ، المشهد التاسع ، ص 210 .

3- المرجع نفسه ، الفصل الرابع ، المشهد الثالث، ص 218.

4-نور جاي علاش ، فجرو أفول ، الفصل الرابع ، المشهد السابع، ص 235.

5-المصدر نفسه، الفصل الثاني ، المشهد التاسع، ص 194.

ومن نماذج و أمثلة استعمال لكي للنفي نجد¹:

تاج الملوك: " اعلميا شديد أنك لن تظفر بقلبي أبدا "

شديد: " أنا لا أبالي بحبك، فلم يخلق الجمال لكي يحب بل لكي يرضخ للرجال "

فشديد ينفي كون الجمال بخلق لأجل الحب و يفسر ذلك بقوله بل لكي يرضخ للرجال.

2-الأفعال اللغوية:

يعدّ الاستفهام من أنجع الأفعال اللغوية حجاجا ، إذ أن كثرة الأسئلة أو طرح التساؤلات التالية يضخم الموضوع المراد إقناع المرسل إليه به، فيكون هذا الاستفهام حجاجا قويا، خاصة لدى مرسل إليه صعب الإقناع و لا يشاطر رأي المتكلم أو المرسل فيكون الاستفهام إذن حجة بعينها تعين على إقناع المخاطب أو المرسل إليه و هذا ما أكده لنا علي القارصيقوله: "...إنّ طرح السؤال يمكن أن يضخّم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما ، ما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف..."²، ومن ذلك الحوار الآتي³:

الكاتب: " إنّه نص أنجبته قريحة فنان مبدع خلاق ..أتدري ؟...أتدري إنّه نص كامل متكامل من حيث اللغة و الفكرة و الأسلوب...اسمع اسمع عليك أن تؤمن بفكرتي أفهمت .عليك أن تدرك قيمة تفكيري و تعبي...أفهمت؟...إذا أنت لا تؤمن بعقيريتي ؟"، فالأسئلة المتوالية حجج لأجل إقناع مدير المسرح بعقيرية الكاتب ، فقد أثار الكاتب تساؤلات أراد ورائها إقناع مدير المسرح بعقيرته، فمدير المسرح يشك في عقيرة هذا الكاتب و يشك حتّى في سلامة صحته النفسية..هذه التساؤلات ضخمت الاختلاف حول موضوع النص الذي يعده الكاتب و نجد ذلك في رد فعل مدير المسرح قائلاً⁴:الكاتب " اهدأ...اهدأ...لا تتفعل ...لا تكن متهورا ..كن منطقيا في اتخاذ قراراتك ...كما تريد ...مع السلامة ..مع السلامة..."

و الحوار الآتي⁵ بين الكاتب و شبح المرأة و المليء بالتساؤلات التي يوّد كلّ واحد منهما أن أن يقنع الآخر بماهية الدراما:

1-نور جاي علاش ، المصدر السابق، الفصل الرابع، المشهد الخامس، ص 224.
2- محمد علي القارصي، البلاغة و الحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم بإشراف حمادي صمود، جامعة الآداب و الفنون و العلوم الإنسانية ، تونس، كلية الآداب منوبة، 1998، ص 398، 399.
3-انتحار كاتب،المشهد الأول ، ص 111.
4-المصدر نفسه ص 111، 112.
5-انتحار كاتب ، المشهد الرابع ، ص 126.

شبح المرأة: " أنت مخطئ.. أنت لا تدرك حقيقة الدراما ."

الكاتب ساحرا : " هل تتفضلين يا سيدتي بأن تشرحي لي ماهية الدراما؟"

شبح المرأة : " هل تظن أن الدراما هي القتل و الدم و الموت و الخراب؟؟؟"

الكاتب: "إذا ماهي الدراما يا سيدة الدراما؟..."

وها هو الغريب يثير تساؤلات لأجل إقناع المرشد بأن الصنم إزري لا يمكنه إنقاذ العشيرة¹:
المرشد: " ستندم يا غريب ، ستندمون جميعا، العفريت زقوم سينتقم سيأمر أولاده الجان بالإغارة عليكم..."

الغريب: "...ستموتون أيها الأشرار ستنالون عقابكم تحت أنظار إلهكم أين هو ؟ لما لا يغيثكم؟ تحرك يا إزري لماذا لا تغيث عبادك؟ تكلم يا إله الظلام تكلم؟" فالأسئلة المتوالية التي طرحها الغريب على الصنم و أمام أنظار المرشد حجج قوية لإقناع المرشد بأن هذا الإله صنم ولا يمكنه تقديم يد المساعدة لأحد لأنه جماد فهو لا يقوى حتى على الدفاع عن نفسه.

كما قد يكون الحجاج من نمط الاستفهام التقريري، فكثرة الأسئلة أكثر إقناعا للخطاب أو المرسل إليه، خاصة إذا كان قصد المرسل بطريقة غير مباشرة وذلك عن طريقة إثارة أسئلة غير مباشرة ، يفهم من خلالها المرسل إليه من أنه مطالب بالإقلاع عن شيء ما غير محمود، وذلك يكون من خلال المعرفة المسبقة للمتكلم بما سيقع أو بما هو متوقع من طرف المرسل إليه إيجابا أو سلبا ومن ذلك نجد:²

حطام : "...و البعض يقول أنك تخليت عن حديثك يقولون إنَّ برق إزري قد أصابك ...أنت يا غريب، أنت تصنع الأصنام ؟ أنت تركع لإله الظلام و العفاريت ؟أنت تتخلى عن العبيد، أنت تتخلى عن الضعفاء؟ أنت يا غريب ، أنت تبيع صاحبك رماد؟...أنت تدخل نفق الظلمات بعد أن أبصرت نور الحق؟" فحطام هنا يعرف أن الغريب لا يليق به أن يفعل أمورا كهذه ، بل أنه لم يصدق ما رآه و ما سمعه ، ولكن وجّه تساؤلات للغريب وأمام الصنم الذي صنعه حتى يرشده و يقنعه بأنه إنسان خير ومحب للغريب ومنقذهم؛ فالغريب هنا لا يجهل

1- نور جاي علاش ، فجر و أفول ، الفصل الخامس ، المشهد الأول ، ص 264.

2 -نورجاي علاش، فجر و أفول ، الفصل الرابع ، المشهد السادس، ص 226-.

ما قاله حطام و يعرف أنه على صواب وسيوافق على طلبه وهو العودة إلى رشده و التخلي عن كلاً صدر منه و سنجد ذلك لاحقاً و بعد جدال كبير مع حطام قائلاً¹:

الغريب: " هل أستطيع أن أثق بك يا حطام ؟...لقد قررت الرحيل عن المدينة لقد خسرت كل شيء لقد خسرت كنز الأولين ..."; فحطام كان يعلم أن الغريب يخفي عنه سرا كبيرا، أن تصرفاته الأخيرة ، لم تكن صادرة من عن وعي تام لذا ألح عليه بأسئلته المتوالية و التي تعدّ حجاجاً قوياً لإقناعه لتغيير وجهته الخاطئة "معرفة المتكلم بموافقة المخاطب أو رفضه أجوبته لا تكون إلا من باب التوقع الذي تحدده معرفة الشخص ، كما تحدده لذلك ظروف المقام بما فيها المسألة المطروحة ، ولا يكون الاتفاق و الاختلاف إلا في درجات متفاوتة من القوة و الضعف، إلا صوغ السؤال بهذه الطرق يحتكم أساساً إلى ما يتصوره المخاطب من علامات اتفاق أو اختلاف تربطه بغيره و بالعالم"²؛ فظروف الغريب جعلته يتصرف هذا التصرف والمقام كذلك ، فهو يتأهب للرحيل بعد أن فقد الكتاب (كنز الأولين). و ها هو الغريب يثير أسئلة متوالية لأجل إقناع زئير بأنه لن يتخلى عن ثاره و عن رغبته في تحرير العبيد قائلاً³ :

الغريب : " أنت فعلاً أحمق يا زئير ، أنت فعلاً أحمق، أظننت أنني فعلاً عزمت عن الهروب؟أظننت أنني سأخلى عن ثأري ؟ أظن أنني تخليت عن رغبتني في تحرير العبيد ؟"؛ فالغريب هنا أثار تساؤلات متتالية لأجل إقناع زئير بأنه لا يرغب في التخلي عن تحرير العبيد و أنه غير راغب في الهروب أصلاً ، فأسئلته عبارة عن حجج قوية أدت معنى الإقناع.

2-السلم الحجاجي:

يعدّ السلم الحجاجي تقنية من تقنيات الحجاج ، و يكون ذلك باستعمال أدوات لغوية يتمثل من خلالها فعل الحجج وذلك من خلال تدافع الحجج ترتبها حسب قوتها ؛ فيسعى بذلك المرسل إلى ترتيب حججه ترتيباً تكون فيه الحجة الأقوى هي الأبرز في دعم دعواه. أن هذا الترتيب هو ما يطلق عليه بالسلم الحجاجي و يمكن التمثيل له بأبسط مثال و هو ترتيب مؤهلات الشخص العملية من أدنى شهادة إلى أعلاها :

1- نور جاي علاش ، المصدر السابق، ص 227.

2- محمد القارصي، مرجع سابق، ص 401،400،402.

3- نورجاي علاش، فجر و أفول ، الفصل الرابع، المشهد السابع ، ص 232، 233.



قيل س لشهادة التعليم الابتدائي هي حجة أولى على كفاءته و نيله لشهادة التعليم المتوسط هو حجة أقوى من الأولى ...و تأتي شهادة الدكتوراه في المرتبة الأعلى و هي أقوى حجة وأبرز دليل على كفاءة س ؛ فترتيب هذه الشهادات إذن في سن حاجي كان منطقيا من أدنى شهادة إلى أعلاها.

فالسلم الحاجي إذن هو " عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ... " ¹، وتكون هذه العلاقة موفية بشرطين أساسيين هما:

" أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث يلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه

ب- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين ، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه و له ثلاث قوانين هي : قانون الخفض ، قانون تبديل السلم ، قانون القلب" ²

قيل س كما قلنا سابقا شهادة التعليم الابتدائي هي حجة أولى على كفاءته ، و شهادة الثانية أقوى حجة من الأولى ...و شهادة الدكتوراه أقوى الحجج، و هذه الأخيرة مبنية لمل دون سابقها من شهادات .

" فمقتضى قانون الخفض أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها" ³ ، وذلك من الحاجج بين طرفين يكون الطرف الأول ناقدا و الثاني مبررا له ، وحتى لا يظن الطرف الآخر أن الطرف الأول ضد ذلك الشخص فيقول له شخص مثلا: عبد الرحمان زميلي ، فهو يواسيني دائما في أقوات الشدائد و الأحزان .

1- طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان ، أو التكوثر العقلي ، ص 276، 277، 278

2- المرجع نفسه، ص 277، 278.

3- المرجع نفسه، ص 277.

أما عن قانون تبديل السلم فيقول طه عبد الرحمان : " إذا كان القول دليلا على مدلول معين ، فإن نقيض هذا القول دليلا على نقيض مدلوله ¹، ونجد ذلك في العبارة الآتية : كان أبو الوليد كريما و نبيل الأخلاق فهي تمثل لنا قانون الخفض :

كريم و طيب مع والديه

// // // إخوته

// // // جيرانه

// // // زملائه

// // // خصومه

فهذه كلها حجج تؤكد لنا نبيل أخلاق أبو الوليد ، فحجته الأعلى (مع خصومه) هي أقوى الحجج في دلالتها على الكرم و الطيبة ، و كرمه مع زملائه و كرمه مع زملائه أقوى من طيبته مع إخوته و هكذا...

أما إذا أخذنا ترتيب النفي فسيكون العكس: أبو الوليد ليس كريما ولا طيبا مع خصومه ، و زملائه و جيرانه و إخوته ، ووالديه ففني ما هو أدنى السلم أقوى لمدلول الخطاب إذ أن نفي طيبته و كرمه مع والديه أقوى من كل الأدلة على عدم نبيل أخلاقه ، و ذلك كقولنا مثلا (أبو الوليد ليس كريما ولا طيبا مع زملائه)، فالترتيب إذن في السلم الحجاجي يكون من الأعلى إلى الأدنى أو العكس.

لتحقيق الحجاج بالسلم الحجاجي نستعين بأدوات لغوية وروابط حجاجية متنوعة منها (لكن ، حتى ، فضلا عن ، ...)، إضافة إلى القصر ب(إنما) و إلى غير ذلك من الأدوات و التي سنفصلها لاحقا .

2-2- وسائل السلم الحجاجي اللغوية:

كما قلنا سابقا ، يتحقق الحجاج بالسلم الحجاجي عن طريق أو بإستعمال أدوات لغوية وأخرى منطقية ، و سنكتفي هنا بالإشارة إلى الأدوات اللغوية و بالأخص الروابط الحجاجية لكونها الأبرز و الأوضح استعمالا في خطاباتنا المتنوعة .

1- طه عبد الرحمان، المرجع السابق ، ص 278.

2-2-1 الروابط الحجاجية:

نعتمد عادة للربط بين قطعتين على روابط متنوعة (لكن ، حتى ، بل ، فضلا عن ...وهو ما سماه المناطقة باللفظ أو الأداة إذ " هو اللفظ لا يدل بحد ذاته على أي معنى ، وإنما من طبيعته أن يربط فقط بين الألفاظ المختلفة لتبيان العلاقات القائمة فيما بينها..."¹، فوظيفة هذه الروابط إذن هي الربط بين حجتين أو قضيتين ومن هذه الروابط نجد لكن " وهو حرف استدراك ، و معنى الاستدراك أن تتسب حكما لاسمها ، يخالف المحكوم عليه قبلها، كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر ، خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك ، فتدار بحث بخبره ، إن سلبا و إن إجابا ... قال الزمخشري : فتستدرك بها النفي بالإيجاب والإيجاب بالنفي ..."² وفي الحوار الآتي³ ما يبين لنا القوة الحجاجية للربط لكن:

الكاتب : فرحا: " أظن أنني سأنتهي قريبا تلك المسرحية التي أخذت مني وقتا طويلا

مدير المسرح مستبشرا : " جيد ... جيد ، ممتاز ولكن؟

الكاتب : " ولكن ماذا ؟ "

مدير المسرح : " أنت تعرف جيدا ماذا أقصده بالضبط ..."

الكاتب : " لا تقلق فأنا تغيرت كثيرا ، لم أعد كما كنت في الماضي ..."

مدير المسرح : " أ صحيح ما تقول ؟"

الكاتب : " بكل تأكيد"

المدير : " ولكن هل هي مسرحية ممتازة حسب رأيك؟"

ولنرى الآن كيفية حجاجية لكن الترتيبية ، فالقول هنا بنجاح الكاتب في كتابة مسرحية ممتازة ، يستلزم إحدى النتيجتين ، وذلك أن الكاتب ، إما أنه سوف يحقق نجاحا باهرا يرضي به مدير المسرح و الجمهور والقارئ الذي ينتظر بفارغ الصبر خروج هذا المولود الجديد إلى النور ، فالنتيجة الأولى هي الأقرب ، فهي التي انقاد إليها ذهن المدير وذلك من خلال ردّه " جيد جيد ممتاز" فماذا عن لكن التي جاءت بعد جيد جيد ممتاز؟ و هذا ما يؤكد

1- نجم الدين القزويني ، الشمسية في القواعد المنطقية ، تقديم و تحليل و تعليق و تحقيق مهدي فضل الله ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط1998، ص48، 47

2- الحسن ابن قاسم المرادي ، الجني الداني في حروف المعاني ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة و الأستاذ محمد ناديم فضل ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1413 ، 1992 ، ص590

3- مسرحية انتحار كاتب ، المشهد الأول ، ص109.

لنا طواعية لكن في الدلالة على الإيجاب بعد النَّفي ، وهذا ما منح الحجة التي تأتي بعدها قوة أكبر وذلك من خلال قول الكاتب:

لكن ماذا ؟ و إجابة الكاتب له بأنه تغير كثيرا و لم يعد كما كان في السابق ، و تأثيره له ذلك بقوله (بكل تأكيد)

(قالك)فمدير المسرح هنا وصف العمل بأنه جيد وممتاز ولكنه يعترض على انطباق الجدية و جودة العمل الذي سينهيه الكاتب قريبا و لذلك كان خطاب المدير (ولكن هل هي مسرحية ممتازة حسب رأيك) في درجة أقوى دليلاً على عدم مهارته و لذلك كان هذا الخطاب حجاجاً على عدم أهلية الكاتب و قدرته على إخراج النص أو المسرحية على أحسن وجه.

وقد يستعملها المخاطب بعد الإيجاب المقدر¹، ونجد ذلك في تحليل الخطاب الآتي²:
عرفية: "...كان لابد من المسي وهي كلف ذلك ، المشي ، المشي ولا شي في الرأس غير المشي و لكنه لا يستطيع و أقول لنفسي إن المسكين لم يتمكن من تحريك لسانه في هذا البرد..." ، فهذا اعتراض ، إذ يقدر في خطابها: لابد من المشي، ولكن لا يستطيع كما يستدرك ب (لكن) بعد نفي ، مثل³:

مريم : " لا ضير في إصلاحها -أي الغسالة- ما دام الأمر لم يكن إهمالا لها بعدما أخبرتك عن تعطيها"

زكية: "ثقي بأنني اهتمت بتعطيها لكنني تعمدت ألا أطلع عقبته عليها"، إذ عمدت زكية إلى نفي الكذب في الدرجة الأولى ، ثم ارتقت بحجاجها درجة وهي إثباتالتعمد في عدم إخبار عقبة بما آلت إليه الغسالة.

ومن نماذج استعمال لكن بعد الإيجاب المقدر نجد الخطاب الآتي⁴:

سهيل : "إنها الهستيريا يا خالة يصاب بها من يعاني من صراع نفسي إلى درجة سيئة"

مريم : "سمه الهستيريا أو الكلام غير المعقول لكنه لا يشفى إلا بالرقية"

إذ يقدر في خطابه: صحيح أنها الهستيريا ، ولكن لا يشفى صاحبها إلا بالرقية فالإقرار بالهستيريا درجة، ونفي علاجها هي الدرجة الأقوى حجاجيا صوب فشل إيجاد العلاج المناسب لحسنا

1-د حافظ اسماعيلي علوي ، الحجاج مفهومه و مجالاته، ص 103.

2- محمد ديب ، انتحار كاتب، الترنيمة الأولى، ص 13.

3-ك.ل، آدم الوهم ، الفصل الثاني، المشهد الأول، ص 38.

4-المصدر نفسه، الفصل الثاني، المشهد الأول ، ص 69.

فشل علاجها — ↑
الإقرار بالهستيريا —

و الأمر نفسه مع الخطاب الآتي¹:

سهيل: " وهل قدّمت لها الأدوية حسب الوصفة ولم تنقطني عنها؟"

زكية: " نعم و ظلّت هادئة لكن اليوم شرعت تهذي بكلام لا يصدقه عقل"

ومنه نجد أيضا²:

سهيل: " بأي حال تتضح الأمور ، أتقبلها وأعدّها حقيقة علمية تضاف إلى رصيد الإنسانية لكنها لن تتال من عزيمتي في الاهتمام بشفاء حسناء و إنّي أعلم أنّ شفاءها يكون نسبيا في هذه الدار التي عانت الشقاء فيها لكن علاجها ضروري لها لكيلا تستمر في هذيانها " فالإقرار بالحقيقة العلمية درجة ، و نفي النيل من العزيمة في الاهتمام بشفاء حسناء هي الدرجة العليا حاجيا.

والخطاب الآتي³ يبين لنا كذلك الإقرار أو احتمالا لإيجاد أب حسناء بوسائل الإعلام كدرجة من السلم الحاجي ، و نفي الاتكال عليها درجة أعلى منها حاجيا:

منصور: " إذا كان على قيد الحياة أحتمل أنّي أجده بوسائل الإعلام جرائد أو أنترنيت لكن لا أتكلم عليها لأنّي أظن منتظرا.

ومنه نجد أيضا⁴:

مريم: " اصرفي انشغال بالك عنهن بقولك: حسبي الله و نعم الوكيل "

زكية: " إنّي لا أخالفك الرأي لكن لن أتراجع عما عزمتم عليه"، فعدم مخالفة الرأي حجة لها درجتها ، ولكن نفي التراجع عما عزمتم عليه زكية حجة أقوى من الأولى.

1-ك.ل، آدم الوهم، المصدر السابق، الفصل الثاني، المشهد الثاني، ص 71.

2- المصدر نفسه، الفصل الثالث، المشهد الثاني، ص 78.

3- المصدر نفسه، الفصل الرابع، المشهد الأول، ص 79.

4-المصدر نفسه، ص 89.

ومن نماذج النفي بالإيجاب نجد الخطاب الآتي¹:

زكية: " بالرغم من أنه لا توجد لك بينة لكن شبيهه الجبهتين يعدّ بينه عندي في قرابة الدم"

إذ عمدت إلى نفي وجود بينة في الدرجة الأولى ، ثم ارتقى بحجاجها درجة و هي إثبات شبهه الجبهتين و هذا ما يؤكد قرابة الدم.

شبيهه الجبهتينلا توجد بينةفالأداة لكن إذن وحسب رأي ديورااشيفرنdeborahschiffrin "إنها من أدوات تنسيق الخطاب ، إلا أنّ لها وظيفة تداولية مختلفة وهو أنها تجعل للوحدة التي تليها فعلا مضادا... و لا تسق بين الوحدات الوظيفية إلا إذا كان هناك بعضا من العلامات المتضادة في محتواها الذهني أو التفاعلي"²، فمعناها وفي جميع المواضع الاستدراك.

وتعدّ العبارة (فضلا عن) من الأدوات التي يستعملها أو يعتمد إليها المخاطب لترتيب حججهفي سلّم حاجي كالخطاب الآتي³:

زكية: " أظن أن وجودها كان مريحا لهم بدليل عدم البحث عن صهرهم بحجج أختهم أو غيرها لأنها كانت مع أبويهم لها حق شرعي في المأوى فضلا عن هذا لم تكن عاطلة عن التشغيل..."، فمعناه أنّ وجودها معهم مزيجا بدليل عدم البحث عن صهرهم المفقود كما أنها لم تكن عاطلة عن العمل ،وهذا ما حفزهم على اتخاذها خادما لهم وبذلك فهم ليسوا بحاجة للبحث عن صهرهم، لأنّ في ذلك خسارة لهم ، و هذا ما يحقق إقناع الخاطب باستعباد نعاء و اتخذها خادم ومن ذلك نجد أيضا الخطاب الآتي⁴:

زكية: " إني أجزم الآن بأنهم قد خبروا عن إثمها بدليل علمي في أن حسناء قد كانت ذليلة في بيتهم"

منصور: " لأنهم علموا بسبب اختفاء نبيل عن الأنظار فعدوا العزم على الثأر لكرامتهم من أبنينا...و تقبلوا حسناء على مضض لأن لا ذنب لها و فضلا عن هذا كانت صغيرة السن؛"

1- ك.ل ابن آدم الفصل الثاني ، المشهد الثاني ، ص 74.

2-Deborah .schiffrin ,Discourse.markers, cambridgeuniversitypress, 1992, p 151,152,153.

3 -ك.ل ،م،ابن آدم ، الوهم، الفصل الرابع، المشهد الأول، ص80، 81.

4-المصدر نفسه، الفصل الرابع ، المشهد الثاني ، ص 106.

فتقبل حسناء لأن لا ذنب لها كحجة أولى دلالة على أخلاقها الحسنة، و صغر سنها كحجة أعلى درجة من الحجة الأولى دلالة على عدم تحملها المسؤولية و جهلها لأمر تفوتها سنًا فالترتيب السلمي يتحقق باستعمال فضلا عن إذ " لا تستعمل إلا في النفي..."¹، و لكن يمكن أن تزد الجمليتين لوحدها كأن تقول : لا ذنب لحسنا ، حسناء ليستكبيرة " فالجملة المحللة ذات معنيين قد يكونان منفصلين انفصاليًا يجعل فهم أحدهما لا يلزم عنه فهم الآخر أو متكاملين يلزم أو يمكن أن يلزم عن فهم أحدهما فهم الآخر "².

ومن أدوات السلم الحجاجي حتى ؛ فنجد حتى الجارة و التي تعني انتهاء الغاية ، و لكن بشرط أن يراعي فيها المخاطب أو المتكلم تحقق شروط مجورها في التركيب ، " فالأول أن يكون ظاهرا في الغالب، و الثاني أن يكون آخر جزء أو ملاق لآخر جزء وأن يكون المجرور بها داخل فيها قبلها على الغالب و أن يكون الانتهاء به أو عنده"³، كأن يقول أحدهم :تناولت أكلا شهيا فقد أكلت الحمام حتى ، ومن استعمالات حتى نجد (حتى العاطفة)وهنا تراعى شروط المعطوف " فالأول أن يكون بعض ما قبلها ، أو ...و الثاني أن يكون غاية لما قبلها في زيادة و الزيادة تشمل القوة و التعظيم و النقصيشمل الضعف و التحقير "⁴؛ فمن نماذج اشتمال حتى و التي تكون لانتهاء الغاية⁵:

رشيد : " اشكون أرقد آبنتي...البارح القياد و أصحاب المال درسوا عندنا قانون المالية"

نزيفة:" بزاف ..ليلة البارح وحدها ...كاين اللي تعشوا رقدوا مقصرين حتى طلبوا فطور الصباح " ؛ إذ لم يكتف أصحاب السهرة من وجبة العشاء، فحسب بل تجاوزوا ذلك وبقيت السهرة مستمرة حتى تناولوا فطور الصباحأما نماذج اشتمال حتى العاطفة والتي تشمل الزيادة في القوة و التعظيم أو النقص الذي يكون في الضعف و التحقير فنجد:

1- جلال الدين السيوطي ، للأشباه و النظائر في النحو ، الجزء الثالث، تحقيق ابراهيم محمد عبد الله مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1986، ص 447، 461، 462.
2- محمد صلاح الدين الشريف ، تطابق اللفظ و المعنى بتوجيه النصب إلى ما يدل على المتكلم حوليات الجامعة، التونسية ، تونس ع 43 ، 1999، ص 26، 27
3-الحسن بن قاسم المرادي، الجني الداني في حروف المعاني ، ص 542، 543، 544.
4- المرجع نفسه ، ص 546، 547، 548.
5- علي ناصر ، كح وفوت، المشهد السابع ، ص 08.

" أنا الراوي ... ما جئت نحكي قصيدة و لا نمدح تاريخ أجدادي...نحكي على رأسي ألي تلف و خلاني في مدينة نمشي و نخرف... نحكي على الوقت و الرشوة ألي عمّت والي طيحتني حتّى أنا في الفخ ..."¹؛ فالراوي في موضع ضعف و تحقير لنفسه و التي دعته إلى اتباع طريق الرشوة ، ومن نماذج التحقير و الضعف نجد²:

رفيق: " نورمال المافيا عايلة متينة...!"

بسمّة: " متينة و قوية ... حتّى مخلصين الدولة ما طقوش عليها..."; أي حتّى مخلصين الدولة بقوتهم و فطنتهم لم يتمكنوا من النيل من المافيا، فهم في موضع ضعف و تحقير ومنه نجد أيضاً³:

الهادي: " أخرج...راك في مكان خاص.."

اليائس : " حتّى أنت وكلوك !؟";فاليائس هنا في موضع ضعف و تحقير و ذلك لما بدر منه من سلوك لا يليق به و بالمكان الذي يجلس فيه مع عامة الناس.

أمّا مواضع القوة و التعظيم فنجدها في⁴:

بسمّة: " أنقدم أولدي ...البنيت مقبومة من نهارك ب 4×4 و الفيلة وبوها دولةتفورني من الخزينة"

رشيد: " ...حتّى حنا مع أصحاب البارود و الكارابيننة..."; فرشيد هنا يضع نفسه موضع قوة و تعظيم شأنه شأن والد البنيت صاحبة 4×4 و الفيلة.

ومنه نجد أيضاً⁵:

ر . البلدة: " وش اندير مع الأعضاء الجدد...؟"

1-علي ناصر، المصدر السابق، المشهد الأول، ص 06.

2-المصدر نفسه، ص 22.

3-المصدر نفسه، المشهد السابع ، ص 98.

4-علي ناصر ، كح و فوت ، المشهد الأول ، ص 25.

5-المصدر نفسه، المشهد الثاني، ص 46.

فيصل:" إلي يحبوا ياكلوا و يسكنوا...!إما بقاش تداول على السلطة و لا تداول في مجلس الأمة غدوا الأغلبية نتاوعنا..."؛أي أغلبية أعضاء مجلس الأمة هم من معارف و أعيان ر.البلدةوفبصل، فهم في موضع قوة و تعظيم.

كانت هذه التفاتة وجيزة لبعض أدوات السلم الحجاجي و التي تنوعت بين لكن ، فضلا عن ، حتى، و التي أدت بدورها إلى الربط الحجاجي بين أطراف الحديث أو الكلام ، فيكون الترتيب في سلم حجاجي تتدافع من خلاله الحجج من الأدنى حجة إلى الأقوى حجة، ومن الأدوات اللغوية التي يتحقق بها الحجاج نجد أيضا:

2-2-2-درجات التوكيد:

و يكون ذلك عند إنتاج الخطاب الخبري¹ طبقا لثلاثة سياقات : الخبر الابتدائي ، الخبر الطلبي، الخبر الإنكاري.

أ-الخبر الابتدائي (الضرب الابتدائي):

يكون المخاطب في هذا الخبر خالي الذهن من الحكم الذي يلقيه إليه ، المتكلم أو المخاطب ، وليس لديه أدنى فكرة عن موقف مسبق كخلو هذه الآية الكريمة من أي توكيد كقوله تعالى:(و يقولون آمنا بالله و بالرسول ، و أطعنا ، ثم يتولّى فريق منهم من بعد ذلك)²، كما نجد مثال هذا الضرب من الخبر في قول الشاعر أبو الطيب المتنبّي³:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم و تأتي على قدر الكرام المكارم
و تكبرفي عين الصغير صغارها و تصغر في عين العظام العظام .

"..فكان الغرض من هذا الأسلوب مطلق الإخبار من غير تعرّض كما وراءه أرسل هذا الشكل التقريري.."⁴؛ فلا يستعمل المرسل في هذا الضرب من الخبر أي نوع من أدوات التوكيد و ذلك كالاتي⁵:

1-السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 17، .173.

2- سورة النور الآية 24، 47.

3-ديوان أبو الطيب المتنبّي...

4- حسين جمعة ، جمالية الخبر و الإنشاء، ص 103.

5-ك.ل ابن آدم 1ن الوهم ، الفصل الثاني ، المشهد الأول ، ص 41.

سهيل: ".. أقول لك صراحة بعدما زحزحنا عقبة عن رفضه إن احتمال العلاج ضئيل في نفسي بناء على اجهاض أجنة بأشعة..أصررت على معرفة السبب الحقيقي بدافع الأمل ككل الأطباء و العلماء في رفع الأسى عن البشرية..."; فسهيل هنا يخبر زكية و بكل صراحة عن احتمال العلاج ، فهي خالية الذهن من أي خبر مسبق عن أمل شفاء حسناء

ومن نماذج الشكل التقريري أو الخبر الابتدائي نجد¹:

الضايط:" الأمور كيما هذه سرية ، مانقدرش نهدرك عليها ، زيد على ذلك القرارات من عند الحكومة ، و حنا غير نطبقوا الأوامر ..."; فالضايط يخبر ماري بقرار واضح تجهله هي ، وهو عدم الإفصاح عن الأمور السرية التي تصدر من عند الحكومة.

و ها هو الراوي يخبر القارئ بأخبار لا يعرفها و لا تخطر باله و لم تمر بذهنه قائلًا²:

الراوي:" ...بيع ساحة المدينة نساني في قصتي ألي نحكيها من بعد...أسمع قبل و شوف يأللي مستعجب في شي ناس واش تكسب...تبع تشوف النهار ألي تفرعن منين راه يحلب..نعيش الحكاية في مطعم معروف بأسمالك القرش chez les requins مطعم وين إلي ما هو غوّاص مل يدخل و الجيعان ما يقرب مطعم خاص للعوّام و للي أكلى و أشبع...خاص لسمسريا و التجار خاص للمستورد وبارونات الشكارة... خاص للمقاول و نئاب الإدارة ..."; فالخبر ابتدائي تجهله المتلقي و ينتظر اكتشافه و تبيان أمره و أسراره من المخاطب أو الباث للخبر، فالمتلقي لا يعرف أسرار المطعم ولا طريقة التعامل مع صاحبه، و لا ما يدور بداخله أهو مكان للأكل؟ أم لأمر آخر؟.

و منه نجد أيضا هذا الخطاب الموجّه إلى الغريب، و الذي يخبره عن سر الحديث المقدس و العقد و يعرفه به؛ فالمخاطب خالي الذهن، و لا يعلم سرّه و ما هو دوره³:

سراب:" الحديث المقدس ، حديث السلف ، حديثا يعمي أبصار الجان و يمنعهم من التجسس عليك أمّا العقد الذي تحمله فهو سينحيك من العفريت هذا العقد ميراثك ، كان حول عنقك عندما وجدتك في الصحراء مرت ثلاثون سنة عن ذلك اليوم هذه القلادة حمتك من

1-قاسي جمعة، النصر المتفجر ، الفصل الأول ، المشهد الأول، ص 275.

2-علي ناصر ، كح تقوت، المشهد الأول ، ص 67.

3-نور جاي علاش ، فجر و أفول ، الفصل الأول، المشهد الثالث، ص 155.

العفريت..لا يوجد جان ولا إنسان يستطيع حرمانك من القلادة لعجيبة، ستحميك؛ فالخبر بالنسبة للعفريت ابتدائي و باهلا إياه.

هذه التفاتة وجيزة عن هذا الضرب من الخبر ، و الذي يبين لنا خلوه من التوكيدات والتي لا يحتاجها المخاطب ، فالخبر بالنسبة للمخاطب ابتدائي تلقاه لأول مرة من طرف المتكلم.

ب-الخبر الطلبي (الضرب الطلبي):

هذا الضرب من الخبر هو طلبي أي يوجه إلى مخاطب شك أو متردد في رأيه بين القبول والرفض، فهو غير مدرك لمدى صحته " فإذا ألقاها أي الجملة الخبرية إلى طالب لهامتحيز طرفاها عنده دون الاستناد فهو منه بين لينقذه عن ورطة الحيرة استحسنتقوية المنفذ بإدخال اللام في الجملة أو إن...¹؛فالمخاطبمترددا في الحكم ، لذا يستحسن تأكيده: "يستحسن تأكيد الكلام الملقى إليه تقوية للحكم ليتمكن من نفسه ، و يطرح الخلاف وراء ظهره نحوه إن الأمير منتصر و يسمّى هذا الضرب من الخبر طلبيا²، ومن ذلك قول الشاعر³:

ليس الصديق بمن يعيرك ظاهرا متبسما عن باطن متهجم.

ومنه قوله تعالى (وإذ قالوا ليوסף و أخوه أحبّ إلى أبينا منّا)⁴؛ فلام الابتداء في يوسف أزلت تردد المخاطب كما يكون تأكيد الكلام بمؤكدات كثيرة منها القسم ، و إن...ومنه النماذج المستعملة على هذا الضرب من الخبر نجد⁵:

الطبيب النفسي:"أكتتب عن المآسي و الأحزان و الدموع و تقول إبداع؟"

الكاتب : " لقد تفحصت كلّ شيء من حولي فلم أجد غير الموت و الخراب... " ، فلكي يزيله تردد الطبيب و شكوكه حول موضوع كتابه أكدّ له ذلك باستعمال لقد.

ومن نماذج استعمال لقد و إن لإزالة الشك و التردد نجد⁶:

1- مصطفى الغلابيني ، جامع الدروس العربية ، المكتبة العصرية ، صيدا و بيروت ، ط 2 ، 1968 ، ص 142.

2- السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص 57.

3- يوسف أبو العدوس ، مدخل إلى البلاغة العربية ، ص 58.

4- سورة يوسف الآية 08/12.

5- انتحار كاتب ، المشهد الخامس ، ص 130.

6- المصدر نفسه، المشهد الأخير ، ص 136.

الصحفي1: "...سيدتي إن زوجك أصبح مشهورا في كل أنحاء البلد، لقد توج بأكبر جائزة في الإبداع ..إنه الآن يخلق في سماء المجد و الشهرة ..كوني متأكدة ..."; فالصحفي يؤكد للزوجة و يزيل شكوكها حول شهرة زوجها و إبداعه باستعمال لقد و إنّ إضافة إلى جملةكوني متأكدة ؛ فالزوجة كانت شاكة و مترددة في تصديق ما وصل إليه زوجها من ابداع و شهرة.

ومن نماذج استعمال المؤكدات لإزالة الشك و التردد من نفس المخاطب نجد¹:

سليم : " ...لا أريد أن تغير كلماتي شخصيتها."

نميش: " لقد تغيرنا "

باسل : " لقد مررنا ..نعم"

.....

نميش: " لقد تغيرنا "

باسل : " لقد مررنا نعم"; فاستعمال لقد في أكثر من موضع لإزالة الشك و التردد و إثبات صحة التغيير(نميش، باسل).

هذا عن نماذج الخبر الطلبي و التي تنوعت بين لقد و إنّ، و جاءت جميعها لإزالة الشك والتردد من ذهن المخاطب

ج-الخبر الإنكاري(الضرب الإنكاري):

يكون هذا الضرب من الخبر عند إنكار المخاطب للحكم الذي صدر من المتكلم ؛ فالمخاطب يعلم بالخبر على نحو ما و لكنه يذكره حتى يحتاج إلى مؤكد أو مؤكدين يصدران من المتكلم لتأكيد الخبر كقوله تعالى : (و إنّ ربك لهو العزيز الرحيم)²فالتوكيد هنا جاء بلام القسم ، وذلك للتأكيد أي تأكيد ما أنكره المخاطب" فالمطلوب وجوب التأكيد لأجل إنكار

1-محمد ديب ، ألف مرعى لمتسولة ، الترنيمة الخامسة ، ص 81 ، 82.

2-الشعراء 9/26.

المخاطب للخبر.. فكلما زاد الشك والإنكار زاد التوكيد في صياغة الخبر.. ومنه قول لبيد بن ربيعة:

ولقد علمت لتأتين منيتي إن المنايا لا تطيش سهامها...¹؛ فالبيت مليء بالمؤكدات لام القسم مع قد، و اللام الواقعة في الجواب مع النون الثقيلة ، إضافة إلى أن و التي تفيد التوكيد، فإنكار المخاطب للحكم الذي ألقى إليه يزيد في درجة التوكيد فيحتاج إلى أكثر من مؤكد لتأكيده "... و إما أن يكون مذكرا للحكم الذي يراد إلقاؤه إليه ، معتقدا خلافه فيجب تأكيد الكلام له بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر ؛ على حسب إنكاره قوة و ضعفا، نحو: إن الحق يعلو و لا يعلو عليه...²؛ فتحقق التأکید إذن بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر،" ومن النماذج المشتملة على هذا النوع من الضرب نجد قول تابط شرا حين وجد القوم ينكرون قتله للغول:

فمن ينكر وجود الغول إني أخبر عن يقين بل عيان

بأنّي قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صححان.³

فالمثال يحتوي على أكثر من مؤكد فنجد قد، و اللام..و أن..

أما عن نماذجنا المسرحية و المشتملة على هذا الضرب من الخبر فنجد⁴ عقبة:

" من خلال كلام فاضلة و هند الذي بدا لي احتجاجا على موافقي من التحاليل أجزم بأن" حديثك قد كان فيه أنفا؛ فعقبة يؤكد بأن حديث كل من هند و فاضلة كان حول التحاليل و ضرورة إجرائها لحلازمة حسناء ، و قد استعمله أكثر من مؤكد ؛ فاستعمل أنو قد إضافة إلى الفعل أجزم و هو تأكيد صريح على مدار من حديث بين هند و فاضلة.

ومن الضرب الخبر الإنكاري نجد أيضا:⁵

سهيل: "إني أشك في أنّ خطأ قد وقع في النتيجة..."، فنجد هنا إنّ ، و أنّ و قد لأجل التأكيد ، أي تأكيد ما أنكره عقبة و هو النتيجة التي اطلع عليها و التي تؤكد عدم الإنجاب،

1-حسين جمعة ، جمالية الخبر و الإنشاء، ص 104.

2- السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص 58.

3-حسن جمعة ، مصدر سابق ، ص 104.

4-ك.ل آدم ، الوهم ، الفصل الثاني المشهد الأول ، ص 30.

5- المصدر نفسه ، الفصل الثاني ، المشهد الأول ص46.

فسهيل يؤمن بوجود سهو في صحة النتيجة المتحصل عليها ، فاستعمل أكثر من مؤكد (إنّ، أنّ ، قد) لأجل تأكيد ما أنكره عقبة
ومنه نجد أيضا¹:

فاضلة: " إنّ العلم قد أصبح يأخذ العينة و لو من العظام النخرة و يقيم عليها التحاليل"، فنجد هنا (إنّ و قد) لأجل التأكيد على صحة النتيجة
ومن نماذج الخبر الإنكاري و التي اشتملت على أكثر من مؤكد نجد²:

زكية: " بالرغم من تدهور صحتها قد أعلنت عليها صراحة أنّ وجودها معي قد أصبح أجله قريبا و لو تكون قريبة"
وفي الخطاب الآتي نجد استعمال أكثر من مؤكد:

هند: " قد تعلق البحث إذا أثبتت الأخوة أو ربما نتجه إلى فرضية الجناية بدافع المال ولا تنسي أن زوجك قد كان تاجرا"³
ومنه نجد أيضا⁴:

زكية: " إنّني أجزم الآن بأنهم قد خيروا عن إثمتها بدليل علمي في أنّ حسناء قد كانت ذليلة في بيتهم" فالمؤكدات (إنّي ، أنّ ، قد) والتي تكررت أكثر من مرة جاءت لأجل تأكيد (الذلة) التي عانت منها حسناء في بيت أبيها .
ومن نماذج الضرب الإنكاري نجد أيضا⁵:

الصحفي¹: " سيدتي إنّ زوجك أصبح مشهورا في كلّ أرجاء البلد، لقد توج بأكبر جائزة في الإبداع، إنّها الآن يخلق في سماء المجد و شهرة..."، فقد استعمل الصحفي جملة المؤكدات (إنّ، لقد، إنّ)، لأجل تأكيد ما أنكرته الزوجة و توضيح ما بدا لها غامضا.

1- ك.ل آدم ، الوهم ، الفصل الثاني ، المشهد الثاني ، ص 60.

2- المصدر نفسه ، الفصل الثالث، المشهد الأول ، ص 64.

3- المصدر نفسه، الفص الرابع، المشهد الثاني ، ص 92.

4- المصدر نفسه ، ص 105.

5- انتحار كاتب ، المشهد الأخير ، ص 136

ومن الخبر الإنكاري نجد أيضا¹:

الغريب: "...لقد حفظ كلمات النبي المنسي ، كنز الأولين قد نجا من الزوال إنه يحي في قلب حطام إنه يحي في قلب حطام...؛ فنجد التأكيد ب قد وإته في أكثر من موضع، لأجلتأكيد نجاة حطام وهروبه بالكنز .

كانت هذه جملة النماذج المشتملة على الضرب الإنكاري و التي تنوعت بين (قد، و إن، لقد، و التي كان الهدف من استعمالها تأكيد ما أنكره المخاطب للحكم الذي ألقى إليه ؛ فكي يزيد في درجة توكيد لجأ إلى استعمال أكثر من مؤكد وينسب متفاوتة.

تتم استعراض استراتيجيات الخطاب كتقنية تتخذ بغية تحقيق التواصل بين طرفي الخطاب والذي يكون باستعمال اللغة ولهدف معين وكان ذلك باستعمال جملة من الآليات والأدوات المعنية، إذ كان الإقناع من أهم الأهداف التي يصبو المرسل إلى تحقيقها، كما عرّجنا على قوانين الخطاب وبمبادئه المتنوعة كمبدأ المشاركة وقانون الإفادة، وقانون الصدق والإخبارية والشمول.

هذه المبادئ والقوانين بفضلها يتحقق التواصل بين الباث والمستقبل بغض النظر عن قواعدها الصرفية والتركييبية.

كما تتم استعراض إستراتيجية الإقناع هذه الأخيرة التي تعتمد وبشكل رئيسي على المعيار الاجتماعي إضافة إلى الشكل الخطابي اللغوي والذي يرمي المرسل من جرائه إلى تحديد مبتغاه ومقصده من إلقاء خطابه أي تحديد الهدف الذي يقصده من خلال إلقاء خطاب معين ، كما عرضنا على آلياته-الإقناع-اللغوية إذ ركزنا على آلية الحجاج بوصفها أهم آلية من آلياته البارزة.

كما تطرقنا إلى ضوابط التداول الحجاجي وأصناف الحجاج، و تقنياته كالأدوات اللغوية،والأفعال اللغوية، وكان السلم الحجاجي هو ما ختمنا به هذا الفصل إذ تعرضنا لمفهومه

1-نور جاي علاش ، فجر وأقول، الفصل الخامس ، المشهد الثالث،ص 271.

الباب الثاني: الفصل الثاني- استراتيجيات الخطاب-

ووسائله اللغوية كالروابط الحجاجية ودرجات التوكيد فكان لتدافع الحجج و ترتيبها حسب قوتها الدور البارز والقوي في دعم ما يصبو المرسل أو الباث إلى تأكيده و ترتيبه سواء من الأعلى إلى الأدنى أو العكس.

الخاتمة



الخاتمة:

كان هدفي من هذه الدراسة التطبيقية أن أحاول الإلمام عن منهج جديد وحديث النشأة، وذلك من خلال تسليط الضوء على بعض المسرحيات الجزائرية المعاصرة محاولة تطبيق المنهج التداولي والإجابة عن جملة من التساؤلات التي تتعلق بهذا المنهج وبخصائصه وجوانبه وقد توصلت إلى جملة من النتائج أهمها:

1- ارتباط هذا المنهج- التداولي- ارتباطا وثيقا بعلوم معرفية أخرى أسهمت في الكشف عن بعض خصائصه كعلاقته باللسانيات هذه الأخيرة التي كان اهتمامها منصبا على الجملة فقط فأنتت التداولية لتتهم بالجملة من جهة وبالكلام الملفوظ من جهة أخرى ولكن ما ارتأت إليه التداولية هو الاهتمام بالجملة كبنية لغوية وظيفتها تبليغية أي وسيلة للتواصل بين المتكلم والمخاطب لا كبنية شكلية ونحوية وصرفية وصوتية لذلك فالتداولية تعد منهاجا حدوده غير واضحة ومستقرة وذلك لعلاقته الواضحة بالعلوم السابقة الذكر (اللسانيات)، النحو الوظيفي، الدلالة، علم اللغة النفسي وعلم اللغة الاجتماعي....) ولتداخلها الواضح بالحقول المتنوعة أطلقت عليها تسميات عديدة كالاتصالية، النفعية، الذرائعية.....

2- أسهمت الأفعال الكلامية في الكشف عن مميزات بعض الأفعال ودورها في تحقيق التواصل كالأفعال الإخبارية، التقريرية، هذه الأخيرة التي تسعى إلى جعل شبكة الاتصال دائمة ومتواصلة بين المخاطب والمخاطب فتكون كمية الأخبار أو ما يعرف بمبدأ الكم بقدر ما يحتاجه المتكلم والمتلقي وفق سيرورة منتظمة ومترابطة.

3- أسهمت الأفعال الكلامية في تحقيق التواصل وبطريقة واضحة بعيدة عن الغموض والإبهام وذلك وفق احترام مبادئ الكلام (الكم، والكيف، الشمول، الصدق) فتحقق هذه المبادئ أدى إلى تحقيق حديث أو كلام له معنى ومنفعة وعملية تبليغ واضحة.

4- أسهمت الأفعال الكلامية في فك مقاصد المتكلم. حتى تصل إلى المستمع تامة وواضحة.

5- أسهمت الأفعال الإخبارية في نقل الوقائع الخارجية والتي قد تكون صادقة أو كاذبة، فما طابق منها الواقع كانت صادقة وما خالفه كان كاذبا، أما الأفعال الأدائية الإنجازية أو

الخاتمة

الإنشائية، هذه الأخيرة التي جاءت بأساليب متنوعة كالأمر والنهي والاستفهام والنداء، وصيغ المدح والذم وأساليب القسم... فقد جاءت في سياق محدد حتى يتحقق عنصر التوفيق شرط أن يلتزم قائلها بما يقوله فعلا، كما ساهمت الأفعال التأثيرية في الكشف عن ردات الفعل التي تصدر من المتلقي أو السامع أثناء تلقيه لخطاب ما من طرف المتكلم فأحدثت هذه الأفعال أثرا واضحا في السامع.

6- الاهتمام بالكيفية التي تستعمل بها اللغة عند الحديث في سياق كلامي محدد وموقف محدد وبطرائق المتكلمين أثناء تبادل أطراف الحديث أو الكلام وهو ما ساهم في تحقيق عملية الاتصال والتواصل.

7- أسهمت الإشارات الشخصية والزمنية والمكانية في تحقيق عملية التواصل وفي التأثير في المتلقي وذلك مراعاة لمقاصد المتكلم وظروفه وكيفية وصول الكلام إلى المستمع.

8- أسهمت كل الروابط أي روابط الاتصال اللغوية وغير اللغوية في تحقيق التواصل والتبليغ ونقل الواقع بصورة صادقة وفي الربط بين الدال ومدلوله بطريقة واضحة ومتحددة.

9- أسهمت الشروط الخارجية كالسياق والقارئ والناقل في تحقيق التواصل فهذه الأخيرة تعد من جوانب التحليل التداولي وبذلك دراسة كل ما يخدم العملية التبليغية التواصلية ذات المقاصد الواضحة.

10- أسهمت الإشارات الجسمية في تحقيق التفاعل الاجتماعي الذي يتمثل في التواصل بين أفراد المجتمع، إذ يستعمل المتكلم بعض أعضاء جسمه في التعبير عن مقاصده وفي تأكيد ما يريد تبليغه للمستمع، وبذلك أدت الإشارات الجسمية ما أرادت اللغة أن تأديه، فهي وسيلة من الوسائل غير اللغوية والتي قامت بوظيفة التواصل من خلال سياق ثقافي معين.

11- أسهم مبدأ التعاون بصفته ركنا من الأركان التي يجب توفرها في العملية التواصلية بين المتكلم والمستمع، إذا لهذا المبدأ قوانين تفرض على المتخاطبين احترامها فتضافرت هذه القوانين (الصدق، الأخبار، الشمول...) في سياق محدد ومقام محدد لأجل تحقيق فعل التواصل.

الخاتمة

12- أما استراتيجية الإقناع فقد ساهم الحجاج كآلية من آلياتها في تحديد القصد والهدف الذي يرمى إليه المتكلم من خلال تلفظه بخطاب ما إذ بفضلها تنامي الخطاب وأخذ بعدا تداوليا وذلك بفضل استعمال جملة من الروابط التي عملت متضافرة وساهمت في تحقيق الفعل التواصلي

13- أسهم الحجاج بشقيه التوجيهي والتقويمي في محاولة إقناع المرسل إليه أو المتلقي وذلك من خلال حجج تثبت صحة ما تلقاه من خطاب من طرف المتكلم أو المرسل، إضافة إلى بعض التلميحات التي ساهمت هي الأخرى في محاولة إقناع المرسل إليه.

14- أسهمت تقنيات الحجاج بأدواتها وأفعالها اللغوية في التبرير والتعليل، فكان من أنجع أفعالها حجاجيا الاستفهام هذا الأخير الذي ضخم الموضوع المراد إقناع المرسل إليه به، فطرح الأسئلة المتتالية يعد حجاجا قويا أراد المرسل من ورائه إقناع ما صعب على المرسل إليه تقبله

15- أسهم السلم الحجاجي بوصفه تقنية أخرى من تقنيات الحجاج وبتدافع حججه وترتيبها حسب قوتها في تحقيق التواصل وتأكيد فضل الاستعانة بأدوات لغوية وأخرى حجاجية متنوعة (لكن، حتى، فضلا عن،..) كما لا ننسى دور التوكيد بدرجاته وبأضره الثلاثة (الابتدائي، الطلبي، الإنكاري) والتي ساهمت في التأكيد وبطرق متنوعة.

16- اعتمدت استراتيجية الإقناع وبشكل رئيسي على المعيار الاجتماعي إضافة إلى الشكل الخطابى اللغوي الذي يرمى المرسل إلى تحديد مبتغاه من إلقاء خطابه.

17- شكلت المعطيات السابقة (الافتراض المسبق) خلفية تبليغ واضحة أثناء العملية التواصلية، إذ ما يملكه المتكلم أو المخاطب من معطيات مرجعية تساهم وبشكل رئيسي في نجاح العملية التواصلية التبليغية.

18- أسهمت التداولية في إنتاج فعل تواصلي كلامي في إطار موقف كلامي محدد وواضح.

الخاتمة

19- أسهمت التداولية في البحث عن كل ما يقرب الفهم والتواصل بين الباحث والمتلقي وفي السياق، وفي الظروف الاجتماعية والثقافية والزمنية المكانية، هذه الأخيرة التي ساعدت على إيصال ما يقصده المتكلم من وراء خطابه الملقى إلى المستمع.

20- تعد التداولية-في الأخير- وسيلة من وسائل المعرفة كما أنها نقل للواقع وبذلك تعد منهاجاً لجميع ميادين المعرفة.

هذه بعض النتائج المتوصل إليها، وقد عرضتها موجزة، وتبقى هذه المحاولة في حاجة ماسة إلى بحوث أخرى تدعمها وتثريها وتتنظر في بعض ما أغفلته ولم أشير إليه.

-أرجو أن يكون هذا البحث محاولة من المحاولات التي تضاف إلى ما قد قدم من قبل حول دراسة المسرح الجزائري دراسة تداولية وفق هذا المنهج الذي تزال الدراسات حوله قائمة.

قائمة
المصادر
والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم برواية ورش

أولاً: المصادر:

- 1- مسرحية ناس الحومة (المسرح الجهوي القسنطيني)
- 2- مسرحية ألف مرعى لمتسولة (لمحمد ديب)
- 3- مسرحية المرأة الخالدة (لصالح رحمون) (مسرحية تعليمية)
- 4- مسرحية زعيط ومعيط ونقاز الحيط (لمحمد التوري)
- 5- مسرحية بوحدبة (لمحمد التوري)
- 6- مسرحيات من نصوص الكاكي الذهبي 2011 (انتحار كاتب، لمحمد ناصر النصر (المتفجر لقاسمي جمعة)، مسرحية فجر وأقول لـ نور جاي علاش)، مسرحية كح وفوت محمد ناصر
- 7- مسرحية الصماء لـ ك. ل ابن لآدم.
- 8- مسرحية الوهم لـ ك. ل ابن لآدم.

ثانياً: المراجع العربية:

- 1- إبراهيم إبراهيم بركات، الإبهام والمبهمات في النحو العربي، دار الوفاء، المنصورة، مصر 1987.
- 2- إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته، مطبعة العائني، بغداد 1966.
- 3- إبراهيم بن أحمد بن سليمان الكندي: الدلالات وطرق الاستنباط دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1998.
- 4- إبراهيم قلاتي، قصة الإعراب، جامع دروس النحو والصرف، دار الهدى للنشر والتوزيع، د. ط 2006.
- 5- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ج2، 1990.

- 6- ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر: تحقيق محمد الطناحي دار إحياء التراث، بيروت 1965، ج4.
- 7- أحمد المتوكل: اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام الحواري التخاطبي أعمال الندوة الثالثة في البحث اللساني والسيميائي كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1981.
- 8- أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلمة والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط3، 2003.
- 9- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب 1989.
- 10- أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة: مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب العلمية بيروت 1985 ج1.
- 11- أحمد توفيق المدني، حنبعل، د. ت، دط
- 12- أحمد مختار عمر، الصوت اللغوي، عالم الكتب د. ت، د. ط.
- 13- أحمد مطلوب: أساليب بلاغية، بغداد د. ت. دط
- 14- إدريس حمادي: الخطاب الشرعي وطرق استثماره المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1994.
- 15- أرسطو طاليس: الخطابة حقه وعلق عليه بدري عبد الرحمان، وكالة المطبوعات الكويت، 1979، دط.
- 16- الأصفهاني (أبو الفرج): الأغاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الشعب، 1982، ج23،
- 17- الأمدي: (علي بن محمد)، الإحكام في أصول الأحكام تح: سعيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1985.
- 18- امرئ القيسديوان ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1969 د. ط
- 19- الأنصاري شمس الدين، السياسة في علم الرياسة، القاهرة، 1914 د. ط.
- 20- الباجي (أبو الوليد): كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1987.

- 21- البخاري (صحيح البخاري): دار الشعب، 1968.
- 22- بسام قطوس: دليل النظرية النقدية المعاصرة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2004.
- 23- التبيري (الخطيب) شرح ديوان أبي تمام، ج1، د.ت، د.ط.
- 24- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط3 1998
- 25- التهانوي (محمد علي) كشف اصطلاحات الفنون ج5. منشورات شركة خياط للكتب والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- 26- التوحيدي: (أبو حيان) البصائر والذخائر تحقيق أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة، ج3، 1924، د.ط.
- 27- التوحيدي: ارتشاف الضرب من لسان العرب تحقيق وتعليق مصطفى النحاس، المكتبة الأزهرية للتراث 1408/1407، ج1، د.ط.
- 28- أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و الموانسة ، صححه و ضبطه و شرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين ، دار مكتبة الحياة ، لبنان ، د، ت ص 69 ، 73.
- 29- التوحيدي: مثالب الوزيرين أو أخلاق الوزيرين، حققه وعلق عليه محمد حسن تاويتالطنجي، دار صادر بيروت، 1992.
- 30- الجاحظ: عمر بن بحر البيان والتبيين تح وشرح عبد السلام هارون ج1، د.ت، د.ط.
- 31- جلال زياد: المدخل إلى السيمياء في المسرح، وزارة الثقافة، عمان، ط1، 1992.
- 32- ابن الحاجب: الأمالي النحوية: تحقيق عدنان صالح مصطفى، دار الثقافة، ط1، قطر، 1986.
- 33- حافظ اسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالات، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ط1، 2010.
- 34- حامد خليل: المنطق البراغماتي عند تشارلز بيرس، مؤسسة الحركة البراجماتية، دار الينابيع، مصر، 1996.
- 35- حسام الدين، اللغة والثقافة، دراسة أنثولوجية، دار غريب القاهرة، 2001.
- 36- حسان الباهي: اللغة والمنطق بحث في المفارقات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000.

قائمة المصادر والمراجع

- 37- حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء دراسة بلاغية جمالية ونقدية، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر، دمشق، جومانا، ط2، 2013.
- 38- ديوان الحطيئة، اعتن به وشرحه محمد طماس، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية 2005.
- 39- عبد الحميد كمون: المدرسة النفسية النظامية، ضمن كتاب أهم المدارس اللسانية (المعهد القومي لعلوم التربية د.ت، د.ط).
- 40- ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة، طبع تحت إدارة جمعية إدارة دار الكتب العثمانية في عاصمة حيدر، آباد الدكن القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية 1941، د.ط.
- 41- ابن الخشاب: المترجل، تح علي حيدر، دمشق، 1972، د.ط.
- 42- ابن خلدون (عبد الرحمن): المقدمة، تحقيق درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، ط2، 2000.
- 43- خليفة بوجادي: اللسانيات التداولية بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلة الجزائر، ط1، 2009.
- 44- خليفة بوجادي: محاضرات في علم الدلالة، نصوص وتطبيقات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع العلة، الجزائر، ط2 2012.
- 45- الرازي (فخر الدين): المحصول في علم الأصول، علق عليه ووضع حواشيه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، مج1، بيروت ط1، 1989.
- 46- الرازي (فخر الدين): مفتاح الصحاح، دار الجيل، بيروت، لبنان 1987.
- 47- الراغب الأصبهاني: المفردات في غريب القرآن د.ت، د.ط.
- 48- ابن رشيق القيرواني: العدة تح محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية ط3، 1963.
- 49- الرماني: معاني الحروف، تح عبد الفتاح اسماعيل الشلبي، مطبعة دار العلم العربي، القاهرة، 1973.
- 50- رويشد الغولة، مخطوط أرشيف المسرح الوطني الجزائري مطبوعة ...
- 51- الزجاج: معاني القرآن. تح عبد الجليل عبده شلبي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت.

- 52- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988، د.ت، د.ط.
- 53- الزمخشري (جار الله): الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج4، د.ت، د.ط.
- 54- زين كامل الخويسكي: الجملة الفعلية استفهامية ومؤكدة في شعر المتنبي، د.ت، د.ط.
- 55- سامي منير عامر: من أسرار الإبداع النقدي في المسرح والشعر منشأة المعارف الإسكندرية د.ط، 1987.
- 56- سعد الدين التفتازاني: شروح التلخيص، دار النشر، تصوير دار الكتب العلمية، ج2، د.ت، د.ط.
- 57- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط3، 1987.
- 58- السكاكي (أبو يعقوب): مفتاح العلوم ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 1987.
- 59- عبد السلام المسدي (المصطلح النقدي، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، د.ط، د.ت).
- 60- عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس 1981 د.ط.
- 61- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان، والبدیع ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الجميلي، المكتبة العصرية، بيروت د.ت، د.ط.
- 62- ابن سيدة: المخصص: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ج4، د.ت، د.ط.
- 63- السيوطي (جلال الدين): الجامع الصغير من حديث البشير النذير، تح محي الدين عبد الحميد، دار خدمات القرآن القاهرة، د.ط، د.ت.
- 64- السيوطي (جلال الدين): شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان وبهامشه أحمد الدمنهوري حلية اللب المصون على الجوهر المكنون، دار الفكرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

- 65- شاهر الحسن: علم الدلالة السيمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2001.
- 66- شكري عبد الوهاب: النص المسرحي، دار فلور للنشر والتوزيع ط2، 2001.
- 67- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، د.ت، د.ط.
- 68- الشيرازي: اللمع في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985.
- 69- صالح لمباركية: دراسات مسرحية 2، المسرح في الجزائر، دراسة موضوعاتية فنية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة الجزائر، د.ط 2005.
- 70- صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي: دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1985.
- 71- طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط1 1918.
- 72- طه عبد الرحمان: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، د.ط. 1993.
- 73- طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب ط2، 2002.
- 74- عبد الله إبراهيم وآخرين: معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1996.
- 75- على عزت: الاتجاهات الحديثة في علم الأسلوب وتحليل الخطاب شركة أبو الهول للنشر، طبع في دار نوبار القاهرة، ط1، 1996.
- 76- عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2003.
- 77- عوني كرومي: الخطاب المسرحي دراسات عن المسرح والجمهور والضحك، دائرة الثقافة والإعلام الشارقة، ط1 2004.
- 78- العياشي أدراوي: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني منشورات الاختلاف، دار رامان، الرباط ط1 2011.

- 79- عيسى باطاهر، البلاغة العربية، مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد، المتحدة، ط1، 2008.
- 80- الغزالي (أبو حامد)، المستصفى من علم الأصول تح وتعليق محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، ج1، ط1، د.ت، د.ط.
- 81- ابن فارس: الصباحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها حققه وقدمه مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، لبنان د.ط 1963.
- 82- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، د.ت، د.ط.
- 83- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، تحقيق كاظم محمد المرجان ، دار الرشيد للنشر ، د ط، 1986.
- 84- ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج2، د.ت، د.ط.
- 85- القزويني (الخطيب): الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ط5، 1980.
- 86- القزويني (نجم الدين): الشمسية في القواعد المنطقية تقديم وتحليل وتعليق وتحقيق مهدي فضل الله، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998.
- 87- ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، د.ط ج3.
- 88- كريم زكي حسام الدين: الدلالة الصوتية دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل، مكتبة الأنجلومصرية، ضمن كريم حسام الدين الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2001.
- 89- كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، دار غريب القاهرة، ط3، 1997.
- 90- مالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931، 1954، د.ت، د.ط
- 91- محمد الدالي: الأدب المسرحي المعاصر، عالم الكتب القاهرة، ط1، 1999
- 92- محمد سويرتي: النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم، تقريب توليدي وأسلوبية وتداولي، إفريقيا الشرق المغرب، 2007، د.ط.
- 93- محمد صلاح الشريف وآخرون. تقديم عام للاتجاه البراغماتي، ضمن أهم المدارس اللسانية منشورات المعهد القومي لعلوم التربية وزارة التربية تونس ط2، 1990.

- 94- محمد علي القارصي: البلاغة والحجاج ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية بإشراف جمادي صمود، جامعة الآداب والفنون، تونس، منوبة كلية الآداب 1998.
- 95- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث مطبعة نهضة مصر، القاهرة 1977، د.ط.
- 96- محمد مصايف: فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث، دراسات ووثائق الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.
- 97- محمد ناصر الشنري: الأمر صيغته ودلالته عند الأصوليين دار الحبيب، الرياض، ط2 1999.
- 98- محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، د.ت، د.ط.
- 99- محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ت، د.ط، 1985.
- 100- محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002.
- 101- محي الدين عبد الحميد: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ط2، ج1، د.ت.
- 102- مسلم (صحيح مسلم) شرح النووي، دار الشعب 1965.
- 103- مصطفى الغلايني: جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط2 1968.
- 104- منذر عياشي: اللسانيات والدلالة، مركز الإنماء الحضاري حلب، د.ط 2007.
- 105- مهدي المخزومي في النحو العربي، نقد وتوجيه د.ت، د.ط.
- 106- ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط3 2000.
- 107- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان بيروت، ط1/ 2004.
- 108- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: حققه محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان ج1، 1991.

- 109- ابن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت ج3، د.ت.
110- يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ط1، 2007.

ثانيا: المراجع المترجمة:

- 1- ارديسي نيكول: علم المسرحية، ترجمة دريني خشبة، دار سعد الصباح، الكويت ط2.
2- آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل. ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني مراجعة لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، تموز 2003.
3- أوزوالديكرو وجان ماري سشايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب ط2 2007
4- أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات ترجمة عبد القادر قيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1996.
5- أوليفيريبول، طبيعة البلاغة ووظيفتها ترجمة الغروس المبارك مجلة نوافذ النادي الأدبي بجدة، ع16/1422 يونيو 2001.
6- براون ويول: تحليل الخطاب ترجمة لطفي الزليطي ومدير التركي جامعة الملك سعود 1997.
7- جون ليونز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب مراجعة، يوثيل عزيز، سلسلة المائة كتاب دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ط1، 1987.
8- جون واي جوزيف نايجل ليف توليت جي تيلر، أعلام المفكر اللغوي التقليد الغربي في ق 20 ترجمته د.أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1 كانون الثاني جانفي 2006.
9- جيروشييه: مدخل إلى علم الاجتماع، ترجمة مصطفى دندشلي، بيروت ط1 د.ت.
10- رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، افريقيا الشرق، 1999 د. ط.

- 11- سارة ميلز الخطاب، ترجمة يوسف بغول، منشورات مخبر الترجمة، 662، في الأدب واللسانيات، جامعة محمد منتوري قسنطينة 2004.
- 12- فان ديك: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق محمد سعيد البحري، القاهرة، ط1 2001.
- 13- فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية ترجمة سعيد علوش مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986.
- 14- فيتغشتاين: بحث في الفلسفة والمنطق نقلا عن بيار أشار، سوسيلوجيا اللغة تعريب، عبد الوهاب قرو، منشورات عويدات بيروت لبنان، ط1 1996
- 15- مارسيلو داسكال: الاتجاهات السوسيلوجية المعاصرة ترجمة حميد الحمداني وآخرون مكتبة افريقيا الشرق، الدار البيضاء ط1 1987.
- 16- محمد ناشي: تصدير لوك بولطانسكي، مدخل إلى السوسيلوجيا البرغماتية ترجمة ميلود طواهري ابن النديم للنشر والتوزيع دار الروافد الثقافية، ناشرون، ط1 2014.
- 17- هنريش يليث: البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري، دراسات سال، الدار البيضاء، ط1، 1989.
- 18- يوسف مراد الفراسة عن العرب ترجمة د. مراد وهبة، الهيئة المصرية، 1982 د.ط.

ثالثا: المعاجم والقواميس:

- 1- ابن جني (الخصائص) تح محمد علي النجار ط2، بيروت ج1
- 2- الزمخشري: أساس البلاغة معجم في اللغة والبلاغة مكتبة لبنان، ناشرون، ط1 1996.
- 3- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون دار الجيل، ط2، ج2، 1991.
- 4- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الجيل بيروت، لبنان د.ت، ج2، ج4، ج6.
- 5- قطب مصطفى سانو: معجم مصطلحات أصول الفقه، دار الفكر المعاصر، بيروت ط1، 1420هـ.
- 6- ابن منظور لسان العرب مج 11، ط3، دار صادر بيروت 1999.

رابعاً: المجلات والدوريات:

- 1- احسن تليلاتي: دراسات في الجذور التراثية وتطور المجتمع مجلة الراشدية.
<http://www.rachidia.net>
- 2- إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية ع 14 و 15-
2001.
- 3- أبو بكر العزاوي: نحو مقارنة حجاجية للاستعارة مجلة المناظرة الغرب، السنة الثانية،
ع 4، شوال 1411-1991.
- 4- بوعلام رمضاني، المسرح الجزائري بين الماضي والحاضر، المكتبة الشعبية المؤسسة
الوطنية للكتاب نقلا عن مجلة الثقافة ع 55 1980 الجزائر
- 5- حسان الباهي: المفارقات وأسس الحوار، مجلة التواصل اللساني 1994.
- 6- طه عبد الرحمن، مفهوم التخاطب بين مقتضى التبليغ ومقتضى التهذيب مجلة كلية
الآداب، بني هلال، ع1، 1994.
- 7- علي سعيد إسماعيل، فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، د.ت
ضمن محمد الجاغوب، أقلام الديوان الفلسفية البراغماتية، الثلاثاء 17 مارس
2009.
- 8- محمد الحناش: الأساس المعرفي لمنظومة الإبداع مقارنة لسانية تداولية مجلة
التواصل اللساني، مج 10، ع 1، 2001/2.
- 9- محمد خلاف: الخطاب الاقناعي للإشهار نموذجاً، مجلة كلية الآداب والعلوم
الإنسانية بفاس ع9، 1987.
- 10- محمد سالم ولد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة،
مقالة مجلة عالم الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب دولة الكويت، مج 28،
عدد يناير، مارس 2000.
- 11- محمد محمود اصطنبولي: مجلة الآمال عدد 35 سبتمبر أكتوبر 1976
- 12- منصور عبد العزيز الحجيلي: البراغماتية عرض ونقد الجمعية العلمية السعودية،
لعلوم العقيدة، الأديان والفرق والمناهج مجلة الدراسات العقدية ع4، المدينة المنورة،

مستوردة من الإنترنت بتاريخ 1985/05/27 .
http.aqueeda.org./book/el pragmatigepdf.

13- نعيمة إبراهيم الغنام: مسرح الحركة روعة التواصل مجلة اليوم 23 يونيو 2012
Follow @ Alyawm. 14283

14-النقاري حم حول التقنين الأرسطي لطرق الإقناع ومسالكه مفهوم الموضوع مجلة كلية
الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ع09، 1987.
الرسائل الجامعية:

1-البوشيخي عزالدين: قدرة المتكلم التواصلية وأشكال بناء الأنحاء أطروحة دكتوراه مكناس
كلية الآداب

2-مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية
والمهنية سلسلة رسائل وأطروحات رقم 04 جامعة الحسن الثاني عين الشق كلية
الآداب والعلوم الإنسانية مطبعة فضالة المحمدية المغرب 1998
المواقع الإلكترونية:

1-جيفري ليتش وجيني توماس: البراغماتية المعنى والسياق.
2-عبد الحفيظ تحريشي: التداولية مفاهيم ومصطلحات موقع اللسانيات والترقية، مقال نشر
في 3 مارس بواسطة mektaba

3- Geoffrey leech. And Jenny Thomas. Pdf. Created with pdf. Factory
trial verson www. Pdf factory. com

المراجع الأجنبية:

- 1- Anne ubersfeld, lire le théâtre, 2^{ème} édition, editions sociaux, paris 1981.
- 2- Bénatouil. Thomas 1999 (critique et pragmatique en sociologie quelques principes. De lecture anaes Hssne Avril mai
- 3- Betty. And franz. Hauml. A. dictionary of Gestures N. J u.s.a 1975
- 4- c.K. Orecchioni : pour une Approche pragmatique du discours théâtral pratiques N41. Mars, 1984.
- 5- Charles Darwin. The expression. Of the emotions.chicago.1965
- 6- coulthard. M: An introduction. To discourse Analysis London. Longman, 1977.
- 7- D. Mainguneau : les termes clés de l'analyse du discours, Seuil, collection méno, Février, paris 1996
- 8- David Efran. Gesture. Race and culture N.4 -1972. mouton
- 9- Dominique Mainguneau : pragmatique pour le discours littéraire edition Nathan, university paris 2001
- 10- F .Flahault. 1978. La parole intermédiaire édition du seuil. Paris
- 11- F. Jacques Dilogiques, presses université de France paris.
- 12- F. latraverse : la pragmatique (histoire et critique) pièremardaga, édition Bruxelles, Belgique, 1987
- 13- G. Siouffi et DR. raenRaemdonck : 100 fiches pour comprendre la linguistique, Brécle, Rosmy, Novembres, 1999.
- 14- Grice. Logique et conversation in communication N3 Paris 1979
- 15- Jean Michel Adam : Linguistique textuelles des genres de discours. Ans texte, édi Nathan. 1999. Paris France.
- 16- Jean Michel Gouvard : la pragmatique outils pour l'analyse littéraire, Armand. Colin paris 1998
- 17- Journal de psychologie normal et pathologie tome .xl.III. année 1950
- 18- Mainguneau :Nouvellestendences en analyse du discours, paris Hachette, 1987.
- 19- Mascidico, dictionnaire encyclopédique de la langue française édition de la connaissance, 1997.

- 20- Mitchell. TF. The language of buying and selling in cyrena, ica, Hespéris 1957
- 21- Mtchel Meyer. Histoire de la rhétorique des grec a nos Jour 1994
- 22- Orcchioni c.15. enonciation. De la subjectivité dans le langage, paris Armand. Colin 1980.
- 23- Oswald Durcrot – jean Marie. Schaeffer : Nouveau dictionnaire encyclopédique. Des sciences du langage paris, seuil 1997
- 24- Paul grice. Studies in the way of words. Haward university press 1989
- 25- Philipe Blanchet : la pragmatique. D’Austin a Goffman, collection. Référence, édition, Bertrand. La coste paris France 1995
- 26- Robert. Rodman. An introduction of language Neyyork 1983
- 27- schiffrin, Deborah: discourse Markers, cambridge, cambridge university press 1987
- 28- Steephenclevinson. Pragmatics. Cambridge. University press 1983
- 29- Yule. George. pragmatics. oxford university press 1996.

المخلص: بالعربية

يعود مصطلح التداولية وكما ذكرنا سابقا بمفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي شارلز موريس. Charles Morris بعده فرعا من الفروع اللغوية الحديثة النشأة والذي لم يحظ بالاهتمام الواسع إلا في القعد السابع من القرن العشرين على يد كل من أو ستين séarle وجريس مع العلم أنهم لم يشيروا إلى هذا المصطلح بهذه التسمية الواضحة في كتبهم.

- لكل فرع من الفروع اللغوية مجال تختص به: فعلم الدلالة يدرس المعنى وعلم اللغة يدرس اللغة لذاتها ولأجل ذاتها. وعلم اللغة الاجتماعي يهتم بالعلاقات الاجتماعية بين أطراف الحديث... وعلى الرغم من ذلك فالعلوم السابقة تشارك التداولية في جانب من الجوانب، فهي تشارك الدلالة في دراسة التفاعل بين المعنى والاستعمال ويشاركها علم اللغة الاجتماعي في تبين أثر العلاقات الاجتماعية بين أطراف الكلام، وأثر السياق غير اللغوي في اختيار السمات وتنوعها.

تسعى التداولية بجوانب البحث فيها إلى دراسة الاستعمال اللغوي أي دراسة اللغة أثناء الاستعمال من خلال أفعالها الكلامية المتنوعة الإخبارية والإنشائية ومن خلال إشاراتها المتنوعة (الزمنية والمكانية والاجتماعية...) وإستراتيجيات خطابها واليات الإقناع فيه خاصة الحجاج هذه الآلية التي ساهمت وبشكل واضح ومن خلال تقنياتها وأصنافها في تحقيق التواصل بين المتكلم والمستمع في سياق محدد وقصد محدد.

كما ساهم السلم الحجاجي بتدافع حججه وترتيبها بحسب درجة قوتها في تحقيق التواصل وتأكيد، وذلك بفضل تضافر أدوات لغوية وأخرى حجاجية.

- لقد ساهمت التداولية في البحث عن كل ما يقرب الفهم والتواصل بين الباحث والمستقبل وفق سياق معين وظروف اجتماعية وثقافية وزمنية ومكانية، وبذلك تعد التداولية وسيلة من وسائل المعرفة كما أنها نقل للواقع ومنهجاً لجمع ميادين المعرفة.

Résumé:

Le terme de délibérative provient, en son sens moderne, au philosophe américain Charles Morris. Qui le considère comme une branche parmi les branches linguistiques modernes, qui n'a pas reçu une large attention, sauf dans la septième décennie du siècle, par Austin Searle et Griss. Sachant qu'ils n'ont pas fait référence à l'expression de cette étiquette évidente dans leurs livres.

Chaque branche de branches linguistiques se spécialise dans un domaine: la science de signification s'occupe du sens. La linguistique s'occupe de la langue, pour elle-même. La sociolinguistique concernée par les relations sociales entre les parties de dialogue..... Cependant, les anciennes sciences s'impliquent avec la délibérative, dans un aspect. Elles sont impliquées dans la signification de l'étude de l'interaction entre la signification et l'utilisation. La sociolinguistique s'implique avec elle, pour montrer l'impact des relations sociales entre les parties de dialogue. Et l'impact du contexte non linguistique dans la sélection des caractéristiques et de sa diversité.

La délibérative cherche par les aspects de recherche, l'étude de l'utilisation des langues: ou l'étude de la langue au cours de l'utilisation, à travers ses actions de mots divers, déclaratives et syntaxiques. Et grâce à ses diverses significations (temporelles, spatiales et sociales) les stratégies de son discours, et les mécanismes de persuasion, notamment l'argumentatives. Ce mécanisme, qui a contribué clairement, grâce à ses techniques et ses marques, à la réalisation et la concrétisation de la communication entre le locuteur et l'auditeur, dans un contexte et intention spécifiques.

L'échelle argumentative a également contribué par l'écoulement de ses arguments et leur classement selon le degré de force, à la réalisation et la concrétisation de la communication et de la confirmer. Et grâce à la combinaison d'outils linguistiques et autres argumentatifs.

La délibérative a contribué à la recherche de tous qui relie la compréhension et de la communication, entre l'émetteur et le récepteur. Selon un contexte particulier et des conditions sociales, culturelles, temporelles et spatiales. C'est ainsi que délibérative est considéré comme un moyen de la connaissance, c'est transfert de la réalité et une approche de la collecte des domaines de la connaissance.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الصفحات	العناوين
أ-ح	مقدمة
10	مدخل
الباب الأول: الفصل الأول - حفريات التداولية -	
26	1-حفريات التداولية.
40	2-علاقة التداولية ببعض العلوم.
48	1-2علاقة التداولية بتحليل الخطاب.
52	2-2علاقة التداولية باللسانيات.
55	2-3علاقة التداولية بالفلسفة والمنطق.
60	2-4علاقة التداولية بعلم الدلالة.
63	2-5علاقة التداولية بالنحو الوظيفي.
65	2-6علاقة التداولية بعلم اللغة الاجتماعي.
67	2-7علاقة التداولية بعلم اللغة النفسي.
الباب الأول: الفصل الثاني - نظرية الأفعال الكلامية -	
74	1-تصنيف الأفعال الكلامية عند العرب.
77	2-تصنيف أوستين وسيرل.
84	3-الأفعال الإخبارية.
105	4-الأفعال الأدائية الانجازية.
108	4-1-الأفعال الأدائية الصريحة.
167	4-2-الأفعال الأدائية الانجازية غير المباشرة.
183	5-متضمنات القول:
183	5-1الافتراض المسبق.
191	5-2-الاستلزام الحوارية.

فهرس المحتويات

الباب الثاني: الفصل الأول-جوانب البحث التداولي -	
200	1-الإشارة:
231	1-1- الاشارات الشخصية.
242	1-2- الاشارات الزمانية.
245	1-3- الاشارات المكانية.
الباب الثاني: الفصل الثاني - استراتيجيات الخطاب المسرحي-	
250	1- مفهوم الاستراتيجية في الخطاب.
251	2-قوانين الخطاب:
252	2-1مبدأ المشاركة.
253	2-2قانون الإفادة.
255	2-3قانون الصدق.
256	2-4قانون الإخبارية.
260	2- 5 قانون الشمول.
264	3- استراتيجية الإقناع:
265	3-1- الدراسات السابقة في استراتيجية الإقناع:
265	3-1-1الدراسات القديمة.
267	3-1-2 الدراسات المعاصرة.
269	4- آليات الإقناع:
270	1-الحجاج.
272	2-ضوابط التداول الحجاجي.
272	2-1 أصناف الحجاج:
272	2-1-1 الحجاج التوجيهي.
275	2-1-2 الحجاج التقويمي.
279	5- تقنيات الحجاج:
282	5-1 الأدوات اللغوية.

فهرس المحتويات

284	5-2 السلم الحجاجي.
302	الخاتمة:
	- ملخص بالعربية و بالفرنسية.
	- قائمة المصادر والمراجع.